الجزء الأول والثاني — المجلد الثاني والعشرون

مجلة المجمع العلمي العربي

أنشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م
تنشر في دمشق مرة في الشهر

كانون الثاني وشباط سنة ١٩٤٧ م
صفر وشهر ربيع الأول سنة ١٣٦٦ هـ

دمشق
المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي — في سورية ولبنان ٨٠٠ قرش سوري
الدفع مقدماً — وفي جميع الأقطار ١٠٠٠ 〃 〃

مطبعة الترقي بدمشق

كنوز الاجداد

— ١ —

الصولي (ابو بكر محمد بن يحيى)

نشأ في بغداد وأخذ العلم عن أئمة عصره وتأدب به ناس وروى عنه الحديث بعض المشاهير وكانت محاضرته أجمل من شعره ونثره . ومن قويت فيه ملكة من الملكات قد تضعف فيه الملكات الأخرى . وتآليفه كثيرة . ساعده على التوسع في أخبار خلفاء بني العباس ووزرائهم وشعرائهم وعلى « ذكر غرائب لم تقع الى غيره وأشياء تفرد بها لأنه شاهدها بنفسه » كونه نادم الراضي ، وكان أولاً يعلمه ، ونادم المكتفي ، ثم المقتدر دفعة واحدة .

قالوا : « كان محظوظاً من العلم ، مجدوداً من المعرفة ، مرزوقاً من التصنيف ، حسن التأليف » و « حسن الاعتقاد ، جميل الطريقة ، مقبول القول » كان زينة المجالس موصوفاً بظرفه البغدادي ، رغب الخلفاء في منادمته ، لسعة فضله ولطف عشرته . استبطن اخبار الناس ودوّن كل ظريف روي عنهم ، فهو الى الطرافة فيما دونه من طريف وتالد ، يحسن الغناء وسائر فنون الأدب الرفيع وكان ألعب اهل زمانه بالشطرنج ويمتاز بعلمه وفقهه وبعد نظره . وجميع ادواته هذه تجعله بين أفراد قلائل صلحوا للمنادمة من كبار هذه الأمة فهو أديب يحسن الكلام والحوار وليس سلك المنادمة بالشيء السهل لما يحتاج اليه من آداب تؤيدها حافظة وذاكرة وتزينها طلاقة لسان وفضل بيان وكانت له يد باسطة في نقد الشعر ونظر ثاقب في تقدير مراتب الشعراء الاسلاميين والجاهليين فهو نقادة راوية تقرأ امثلة من نقداته في كتاب الموشح لتلميذه المرزباني . اما فيما ينظم فلم يوفق التوفيق كله وما نشره له بعض اهل الأدب في كتبهم فانما كانت

اجادته نسبية بالقياس الى بقية شعره وما كان من النوع الذي يرضون عنه . وهو نديم متكلم لا اديب يخلد أدبه . حاول في كتابه الأوراق ان يأتي بقصائد ذات قوافٍ مستغربة فأبهم وعمي وظهر التكلف على ما قرض .

وفي الصولي شيء من الضعف ظهر من مبالغته في محامد الراضي لأجل عطاياه له ، وما كان الراضي بالخليفة التي تهوي اليه النفوس اذا جرى التنظير بينه وبين الممتازين من اسلافه ، وملكه لا يتجاوز اسوار مدينة بغداد وحكمه ايضاً غير نافذ فيها . وقد رأينا الصولي يستجدي الخليفة ويشكو الزمان والحرمان ولا يفتأ يقول فلان منحني وفلان حرمني . خلق لا يليق ان يتخلق به من يدعي انه من نسل ملوك وهو على اي حال يعاشر ملوكاً وأمراء ولا يجوع في قربهم مهما عدا عليه الزمان .

تدور موضوعات كتب الصولي على اخبار الطبقات الراقية في عصره وعلى شعرهم وادبهم وظرفهم . وكتابه « الأوراق » مثال جميل من ذلك . وكذلك أدب الكتاب « الفه فيما يحتاج اليه اعلى الكتاب درجة واقلهم منزلة » وهو هنا اذا كتب بدأ ضعفه واذا روى جود النقل فخليق به ان يدعى راوية . وما خلا الصولي من أناس بهرجوا علمه واستصغروا تآليفه ومنهم ابن النديم قال ان الصولي عوّل عند تأليفه « الأوراق » على كتاب المرثدي في الشعر والشعراء او على كتاب اشعار قريش وانه نقله نقلاً وانتحله . وزعم ابن النديم انه رأى دستور الرجل في خزانة الصولي بخط المرثدي فافتضح به .

قد يكون الصولي اقتبس اموراً كثيرة من كتاب الشعر والشعراء او شعراء قريش أو غيره لكن ما أتى به من عنده ظاهر وتعمد ابن النديم في الطعن عليه يستنتج من وصفه اياه بأنه « جماعة للكتب » ولعل ذلك أتى من تنافس الرجلين في اقتناء الأسفار ، وابن النديم وراق قبل كل شيء . وذكروا انه كان للصولي بيت عظيم مملوء بالكتب وهي مصفوفة وجلودها مختلفة الألوان كل صف من الكتب لون : فصف أحمر وآخر اخضر وآخر اصفر وغير ذلك وكان الصولي يقول هذه الكتب كلها سماعي .

مات الصولي بالبصرة مستتراً لأنه روى خبراً في علي بن ابي طالب فطلبته الخاصة والعامة لتقتله وذلك سنة خمس وثلاثين وثلثمائة على الأرجح .

لعل قارئ هذا يعترض علي سلكنا الصولي في عظماء المؤلفين وهو في الواقع منهم لأنه أتى بجديد ولأنه صورة غريبة من رجال تلك الأيام فقد جاء حتى في عصره اعظم منه في الحديث واكبر منه في الادب ولكن العبرة بمن يجمع هذه الأدوات في ثقافة ذاك العصر ويحظى في قصور الخلفاء بتلك المكانة ولا يضيع ما مرّ به من الفوائد فيقيدها ويخلفها للأجيال بعده تنتفع بها . اما نقلة المؤلفين عن غيرهم ولا سيما في الحديث والفقه فأي مزية لهم اذا لم ينفردوا بأشياء لم يسبقوا اليها فما أكثر عدد هؤلاء وما أقل من جمعوا الى فقههم ادباً رفيعاً ارتاحوا اليه وأراحوا وانتفعوا به ونفعوا وكان له على الأيام صدى يتناقل فيطرب ويعجب .

قصة من مروياته : عن العتابي قال : كنا بباب الفضل بن يحيى البرمكي اربعة آلاف ما بين شاعر وزائر ، وفينا فتى يحدثنا ونجتمع اليه . فبينا هو ذات يوم قاعد اذ اقبل اليه غلام له كأجمل الغلمان فقال له : يا مولاي اخرجتني من بين ابويّ وزعمت ان لك وصلة بالملوك فقد صرنا الى اسوإ ما يكون من الحال وقال : ان رأيت ان تأذن لي فأنصرف الى ابويّ فعلت ، قال فاغرورقت عينا الفتى ثم قال : ائتني بدواة وقرطاس ، فأتاه بهما فقعد بجزة فكتب رقعة ، ثم عاد الى مجلسه ثم قال للغلام : انصرف الى وقت رجوعي اليك . فبينا نحن كذلك اذ جاء رجل ليستأذن على الفضل ، فقام اليه الفتى فقال : توصل رقعتي هذه الى الأمير قال : وما في رقعتك قال : امدح نفسي واحث الأمير على قبولي . قال : هذه حاجة لك دون الأمير ، فان رأيت ان تعفيني فعلت . قال : قد فعلت . فعاد الى مجلسه فخرج الحاجب فقام اليه فقال له مثل مقالته الأولى فاستظرفه الحاجب وقال : ان رجلاً يتصل بمثل الفضل يمدح نفسه لا يمدح الفضل عجيب . فأخذ منه الرقعة ثم دخل فلوّحها للفضل ، فقرأ منها سطرين وهو مستلق

على فراشه ، ثم استوى قاعداً وتناول الرقعة فقرأها فلما فرغ من الرقعة قال للحاجب: أين صاحب الرقعة ؟ قال : أعز الله الأمير ، لا والله لا أعرفه لكثرة من بالباب . فقال الفضل انا انبذه اليك الساعة ؛ يا غلام اصعد القصر فناد : اين مادح نفسه ؟ فقام الغلام فصاح ، فقام الفتى من بيننا بغير رداء ولا حذاء ، فلما مثل بين يدي الفضل قال له : انت القائل ما فيها ؟ قال : نعم قال انشدني فأنشده الفتى يقول :

انا من بغية الأمير وكنز ... من كنوز الأمير ذو ارباح

كاتب حاسب خطيب بليغ ... ناصح زائد على النصاح

شاعر مفلق اخف من الريـ ... ـشة مما يكون تحت الجناح

الى ان قال في قصيدته انه يروي شعراً عن ابن هرمة وعلماً عن ابن سيرين وله في النحو نفاذ ، وانه قادر على منادمة الخلفاء يضطلع بالمهمات ، ويعرف ادب المجالسة ، وانه ابصر الناس بالجوارح والخيل والنساء ، وان فيه دعابة وهو غير ماجن الى آخر ما وصف به نفسه فقال له الفضل :

كاتب حاسب خطيب اديب ... ناصح زائد على النصاح

قال : نعم ، اصلح الله الأمير . فقال الفضل : يا غلام الكتب التي وردت من فارس ، فأتى بها ، فقال للفتى : خذها فاقرأها وأجب عنها . فجلس بين يدي الفضل يكتب ، فقال له الحاجب : اعتزل يكن اذهن لك فقال : ههنا الرأي اجمع بحيث الرغبة والرهبة . فلما فرغ من الكتب عرضها على الفضل ، فكأنما شق عن قلبه .

فقال الفضل يا غلام : بدرة بدرة بدرة فقال الفتى للغلام : اعز الله الأمير دنانير او دراهم . قال : دنانير يا غلام . فلما وضعت البدرة بين يديه قال الفضل : احملها بارك الله لك فيها قال الفتى : والله ايها الأمير ما انا بجمال ، وما للحمل خلقت ، فان رأى الأمير ان يأمر بعض غلمانه بحملها على ان الغلام لي . فأشار الفضل الى بعض الغلمان فأشار الفتى اليه مكانك . فقال : ان رأى الأمير ، أيده الله ، ان يجعل الخيار اليّ في الغلمان كما فعل بين البدرتين فعل . فقال : اختر ،

فاختار اجملهم غلاماً فقال : احمل . فلما صارت البدرة على منكب الغلام بكى الفتى ، فاستفظع الفضل ذلك وقال : ويلك استقلالاً قال : لا والله ، ابدك الله ، ولقد اكثرت ، ولكن اسفاً ان الارض تواري مثلك ، قال الفضل : هذا أجود من الأول ، يا غلام زده كسوة وحملاناً . قال العتابي : فلقد كنت أرى ركاب الفتى تحت ركاب الفضل .

طيفور (احمد بن أبي طاهر)

٢٨٠

كان ابوه طيفور من مرو الروذ من ابناء خراسان ومن اولاد الدولة ، وولد ابنه احمد في بغداد سنة اربع ومائتين واخذ الأدب والحديث عن رجال عصره وروى عنه جماعة ، وانصرف الى الرواية والأخبار . وكان لأول نشأته مؤدب صبيان ثم جلس في سوق الوراقين ، واشتهر بالشعر والكتابة ، قال فيه صاحب تاريخ بغداد انه احد البلغاء الشعراء والرواة ، من اهل الفضل المذكورين في العلم ، ووصفه المسعودي بالشاعر ، وأورد له قصيدة رثى بها يحيى بن عمر وكان ظهر بالكوفة سنة ثمان واربعين ومائتين جاء فيها :

سلام على الاسلام فهو مودّع اذا ما قضى آل النبي فودعوا

الى ان يقول :

بني طاهر واللؤم فيكم سجية وللغدر منكم حاسر ومقنع
قواضبكم في الترك غير قواطع ولكنها في آل احمد تقطع
لكم كل يوم مشرب من دمائهم وغُلتها من شربها ليس تنقع
رماحكم للطالبين شُرّع وفيكم رماح الترك بالقتل شُرّع
لكم مرتع في دار آل محمد وداركم للترك والحبش مرتع

وأنشد بعض اهل الأدب قوله في عبيد الله بن عبد الله بن طاهر الذي قاله :

اذا ابو احمد جادت لنا يده لم يحمد الاجودان البحر والمطر

ويختمها بقوله :

الجود منه عيان لا ارتياب به   اذ جود كل جواد عنده خبر

قالوا لو استعمل الانصاف لكان هذا احسن مدح قاله متقدم ومتأخر . وليست مكانة ابن طيفور بشعره ، ولا بما روى من حديث ، فالشعر كان آلة من آلاته ، والمحدثون كثار ، ومنصرفون اليه في الليل والنهار ، ولكن ابن طيفور كان عظيماً بروايته ، فان ما تركه من كتبه يبلغ خزانة صغيرة . ولقد وصفه ابوبكر الصولي وقال فيه انه صحفي ، اي يروي الخطأ عن الصحف ولم يأخذ عن الشيوخ ، وانه حاطب ليل ، وانه يشترط في كتبه اختيار الشعر الجيد ويأتي بالرديء ، ويزعم انه يقلل فيكثر ، وفي إكثاره يسيء ، ثم يحكي الكذب ، ويخطيء في التاريخ ، وفي نسب الشعر ، هذا ما روي عنه أنه قاله فيه . ومن من المؤلفين يا ترى خلا من نقد ؟ وهل خلا الصولي نفسه منه فارتضى النقاد تدوينه ؟ وهل كان ذوقه عالياً كما اراد اختيار شعر ونثر . والاجتهاد ما زال يختلف في الرجل الواحد ، وفي العام الواحد ، فما بالك في الرجال وفي العصور . وان راوية مكثراً مثل طيفور لا تكاد تجد كتاباً من الأمهات التي ألفت بعد عصره الا وينقل او يكثر من النقل من كتبه ، لا يقدح في مروياته ولا يسقطه بأنها من بضاعته ، ثم أي عالم خلا من لحن وتصحيف ؟ وذكروا ان بعضهم قال فيه أنه كان بليداً في علمه وانه يلحن ، وانه قال ذلك للبحتري فأقره عليه . وعرفنا انه كانت بين البحتري وطيفور أمور تراخت بها صلاتهما ، فألف طيفور كتاباً في سرقات البحتري من ابي تمام ، فبالطبع يحمى انف البحتري منه ويطعن في علمه وادبه . أما هو فقد طعن البحتري في اخلاقه طعنة نجلاء حرام رأبها على وجه الدهر ، قال فيه : مارأيت اقل وفاء من البحتري ولا اسقط : رأيته قائماً ينشد احمد ابن الخصيب مدحاً له فيه ، فحلف عليه ليجلسن ، ثم وصله واسترضى له المنتصر ، وكان غضبان عليه ، ثم اوصل له مديحاً اليه واخذ له منه مالاً فدفعه اليه . ثم

نكب المستعين احمد بن الخصيب بعد فعله هذا بشهور ، فالمهدي به قائماً ينشده :

لابن الخصيب الويل كيف انبرى بإفكه المردي وإبطاله
كادَ امين الله في نفسه وفي مواليه وفي ماله
ورام في الملك الذي رامه بغشه فيه وادغاله

الى ان قال وكلها طعن في ابن الخصيب :

فهو حلال الدم والمال ان نظرت في ظاهر احواله

قال ابن ابي طاهر : كان ابن العلجة فقيهاً ، يفتي الخلفاء في قتل الناس نزحه الله ، ثم ختم القصيدة بقوله :

والرأي كل الرأي في قتله بالسيف واستصفاء أمواله

وهذا اعظم هجو يهجى به البحتري ، وقد هجاه طيفور بقصيدة أيضاً ، فلا غرو ان يسقطه البحتري ويرذل ادبه .

وقال الذين صغروا شأن طيفور في الأدب انه كان مع هذا جميل الأخلاق ظريف المعاشرة خلواً من الكهوب اي لا يتغير لونه ثابت في خلقه ، وهو الى هذا معروف بمرحه ، يبتدع النكات ويحسن التقاطها وابرازها للناس ، وكتابه بلاغات النساء نموذج من منزعه وكثرة تتبعه . والف في المزاح والمعاتبات وفي أمور فيها دعابة وأدب واقعي .

وقصيدته ليلة بات في « دير السوسن » في عودته من « سر من رأى » وقد زار بعض كتابها ومدحه فأحسن صلته ، ووهب له غلاماً رومياً حسن الوجه ، واعترافه بأنه بات والغلام يسقيه ، والراهب نديمه حتى مات سكراً ، وطلبه المغفرة عما أتى من ربه — كل هذه امور اذا صحت تصف جانباً ظاهراً من مرحه وتبذله . ومن هذه الأمور ما اقترفه في صباه ، ومنها ما أتاه في الكهولة ، وشعره لا يخلو من نكتة ، وربما قال بعض شعره من اجل نكتة فأعقبته نكبة ، كما حدث عن نفسه قال : خرجت من منزل ابي الصقر نصف النهار في تموز فقلت : ليس بقربي منزل أقرب من منزل المبرّد ، اذ كنت لا أقدر أصل الى منزلي بباب الشام ، فجئته فأدخلني الى حويشة له ، وجاء بمائدة فأكلت معه لونين طيبين ،

وسقاني ماءً بارداً ، وقال لي : أُحدثك الى ان تنام ، فجعل يحدثني احسن حديث . فحضرني لشؤمي وقلة شكري بيتان فقلت : قد حضرني بيتان أنشدهما ؟ فقال : ذاك اليك ، وهو يظن اني قد مدحته فأنشدته :

ويوم كحر الشوق في صدر عاشق   على انه منه أحرّ وأرمد
ظللت به عند المبرد قائلاً   فما زلت في ألفاظه اتبرد

فقال لي: قد كان يسعك اذا لم تحمد ألا تذم ، ومالك عندي جزاء إلا إخراجك ، والله لا جلست عندي بعد هذا . فأخرجني فمضيت الى منزلي بباب الشام ، فمرضت من الحر الذي نالني مدة ، فعدت باللوم على نفسي . وقد روى انه قال في المبرّد ، وحسبك من عالم محقق .

كملت في المبرّد الآداب   واستقلت في عقله الألباب
غير أن الفتى كما زعم النا   س دعيٌ مصحفٌ كذاب

ربما زعم زاعم انه ليس من الانصاف ان يقرن هذا العيار من الرجال الى عظماء العلماء المعروفين في علوم الدنيا والدين فالجواب ان في الحق ان يجعل هذا الرجل في الصف الأول بين الرجال لأن أدبه اثمر ما لم يثمر غيره مثله والعبرة بمن يسدُّ ثلمة صغيرة من بناء الآداب كانت لولاه خالية ومن يجوّد فناً واحداً من فنونه بامتاع وابداع .

القاضي التنوخي

أبو علي المحسِّن بن علي

٣٨٤

اخذ القاضي عن أئمة البصرة ، ونزل بغداد وتقلد القضاء زمناً طويلاً وعرف رجال السياسة في عصره ، ودرس مذاهبهم واهواءهم ، ورأى مشاكل الناس ومتاعبهم فاتسع أفقه وكثرت آدابه وتجاربه . وهو من بيت كل اهله فضلاء وادباء كان ابوه عالماً وأديباً ، وهو عالم وأديب . وكان سماعه صحيحاً ويميل للأدب والشعر والأخبار .

أتم ما بدأ به استاذه الصولي من تدوين اخبار المجتمع العباسي واقتصر الصولي على اخبار الخلفاء والوزراء والكتاب والشعراء ودون التنوخي الأخبار على اختلاف مصادرها واشكالها · وقد يروي القصة بأكثر الفاظها وان كانت مولدة او عامية لئلا يضيع من رونقها فهو من هذا النظر ناقل صحيح النقل يجوّد تصوير ماوقع بأمانة ولا يخرم شيئاً مما يبلغه عن الثقات او يرى فيه نكتة وعبرة وتسلية ·

من مصنفات القاضي التنوخي « الفرج بعد الشدة » و « نشوار المحاضر » او جامع التواريخ والمستجاد من فعلات الأجواد · ألف كتاب الفرج ليفزع اليه من اناخ الدهر بمكروهه عليه فيقرأ من الأخبار فيه ما يسليه ويتعظ به · وكان سبقه الى مثل هذا الموضوع ثلاثة من المؤلفين كتبوا فيه أوراقاً اما هو فاقتصر على احسن ماروي من الأخبارمخالفاً مذهب من تقدمه في التأليف· نوّع الأخباروجعلها ابواباً وعزا ماأخرجه من الكتب الثلاثة الى مؤلفيه تأدية للأمانة واستيثاقاً في الرواية وتبييناً لما أتى به من الزيادة فأوجز ، وأسقط الحشو وترك الاكثار اي انه جمع ماهب ودب أولاً ثم اسقط ما اسقط وابقى ما أبقى · وحمل كتابه مع هذا من انواع الخرافات صنوفاً ، ومن الأمور النابية عن حد المعقول ضروباً ، ومن اخبار الفساق والمجان ما نقله على علاته ارادة الترويح عن النفوس وجاء بحكايات ونكات وبعضها مما دخل في كتابه نشوار المحاضرة · وفي الفرج بعد الشدة يقول الثعالبي في اليتيمة : وله كتاب الفرج بعد الشدة وناهيك بحسنه وامتاع فنه ، وماجرى من الفال بيمنه ، لا جرم انه أسير من الأمثال ، واجرى من الخيال ·

ومعنى « النشوار » جرة الحيوانات المجترة استعملها بمعنى الحديث وهو حكايات منقحة منسجمة كتبت بقلم كاتب تحتذى كتاباته متى ترك التكلف ، وتكلفه كان ظاهراً في مقدمة كتابيه الفرج والنشوار · وقد قال في مقدمة النشوار ولعل قارئها ان يستضعفها اذا وجدها خارجة عن السنن المعروف في الأخبار الراتبة في الكتب وذكر اصناف الناس الذين دون اخبارهم حتى قطاع الطريق

والمتلصصين والخراب والمخربين واصحاب العصبية والسكاكين واهل الخسارة والعيارين · ولا تكاد تخطر بالبال طبقة من طبقات الخلق الا ويعرض لذكر اخبارها فأثبت من ذلك ما سمعه منذ وعى على نفسه واعتقد اثبات كل ما سمعه من هذا الجنس مما يحث على قراءته من شعر لمتأخر من المحدثين او مجيد من الكتاب والمتأدبين او كلام منثور لرجل من اهل العصر او رسالة او كتاب بديع المعنى او حسن النظم والنثر الى ما شا كل ذلك من مثل طري او حكمة جديدة او نادرة حديثة او فائدة قريبة المولد ليعلم ان الزمان قد ابقى من القرائح والألباب في ضروب العلوم والآداب اكثر مما كان قديمًا او مثله ، ولكن تقبل ارباب تلك الدول للأدب اظهره ونشره وزهد هؤلاء الائمة في هذا الأدب غمره وستره ، قال والا فقد خرج من اعمارنا وما قاربها من السنين من مكنون اسرار العلم ما لعله كان معتاصاً على الماضين وجرى من الحوادث الكبار والانقلابات العجيبة التي لا يوجد مثله سالفاً في اضعاف هذه السنين ما لو قيد بتأليف الكتب لأوفى على ما سلف وتقدم في علو الرتب ·

وزاد ان هذه المدونات نوع لم يسبق الى كتبه لأنها مقصورة في الأكثر على ضروب من الأحاديث السابقة والسالفة في زماننا التي تظلم عندي بأن لا تكتب وهي تصلح لمن قد فرغ من اكثر العلوم واشتهى قراءة ما يدله على اخلاق اهل الازمنة وسننهم وطرائقهم وعاداتهم وان يقايس بين ما نحن فيه وما مضى ليعلم كيف ماتت الدنيا وانقلبت الأهواء وانعكست الآراء وفقدت المكارم قال : « وحقًا لو باشر حكيم من اهل تلك الأزمنة حتى يرى ما حصلنا عليه ودفعنا اليه ما شك في قيام الساعة او ان الناس بدلوا بهائم مهملة او جعلوا آلات غير مستعملة لفقد الأحرار وشدة الاعسار ولطول المتاعب وتواتر النوائب »·

وفي الكتاب ذكر معتقدات الناس واوهامهم وكثير من الشعر الرائق والنثر الفائق · ولا نغالي اذا قلنا ان كتاب النشوار افاد في الكشف عن احوال القرن

الرابع ما لا يستفاد من عشرات من الكتب ومنها ما لا يستبين منه حال العصر الذي كتبه فيه الا بشيء من الفرضيات والاستنتاجات ولو سلم « النشوار » كله وانتقل الى ابناء هذا الجيل كما كتبه مؤلفه لكان اصدق صورة عن ذاك الزمن وعدّ في فنه من الأمهات .

ومن لم يكتب له مطالعة النشوار يحتاج الى مثال منه يعطيه فكرة في جلال موضوعه وأسلوبه قال التنوخي : حدثني القاضي ابو بكر محمد بن عبد الله قال حدثني مكرم بن ابي بكر عمر ابي الحسن بن مكرم القاضي قال : كنت خصيصاً بأبي الحسن علي بن عيسى (من اعظم وزراء بني العباس واعفهم واعلمهم) وربما شاورني في شيء من أمره قال : دخلت عليه يوماً وهو مغموم جداً فقدرت انه بلغه عن المقتدر امر كرهه فقلت : هل حدث شيء واومأت الى الخليفة ، فقال : ليس غمي من هذا الجنس ولكن مما اشد منه ، فقلت : ان جاز ان اقف عليه فلعلي اقول شيئاً ، فقال : نعم كتب اليّ عاملنا بالثغر ان اسارى المسلمين في بلد الروم كانوا على رفق وصيانة الى ان وُلي آنفاً مُلك الروم حدَثان فعسفا الاسارى وأجاعاهم وأعرياهم وعاقباهم وطالباهم بالتنصر ، وانهم في جهد جهيد وبلاء شديد ، وليس هذا مما لي فيه صلة لأنه أمر لا يبلغه سلطاننا ولا الخليفة يطاوعني فكنت انفق الأموال واجتهد واجهز الجيوش حتى تطرق القسطنطينية . فقلت : ايها الأمير ها هنا رأي اسهل مما وقع لك يزول به هذا . فقال : قل يا مبارك ، فقلت : إن بأنطاكية عظيماً للنصارى يقال له البطرك وببيت المقدس آخر يقال له القاتليق (الجاثليق ؟) وامرهما ينفذ على ملك الروم ، حتى أنهما ربما حرما الملك فيحرم عندهم ويحلانه فيحل ، وعند الروم ان من خالف منهم هذين كفر ، وانه لا يتم جلوس الملك ببلد الروم الا برأي هذين ، وان يكون الملك قد دخل الى بيعتها وتقرب بها . والبلدان في سلطاننا والرجلان في ذمتنا فيأمر الوزير بأن يكتب الى عاملي البلدين باحضارهما وتعريفهما ما يجري على الأسارى وان هذا خارج عن

الملة ، وانهما ان لم يزيلا هذا لم يطالب بجريرته غيرهما وينظر ما يكون الجواب ٠

قال فاستدعى كاتباً واملى عليه كتابين في ذلك وانفذهما في الحال ، وقال مريّت عني قليلاً ٠ وافترقنا فلما كان بعد شهرين وايام ، وقد أُنسيت الحديث جاءني فرانق[1] من جهته يطلبني فركبت وانا مشغول القلب بمعرفة السبب في ذلك حتى وصلت اليه ، فوجدته مسروراً فحين رآني قال : يا هذا احسن الله جزاءك عن نفسك ودينك وعني فقلت : ما الخبر ? فقال : كان رأيك في أمر الأسارى ايرك رأي واصحه وهذا رسول العامل قد ورد بالخبر (وأومأ الى رجل كان بحضرته) وقال له : خبرنا بما جرى فقال الرجل : انفذني العامل مع رسول البطرك والقاتليق برسالتهما الى قسطنطينية وكتبا الى ملكيها : انكما قد خرجتما عن ملة المسيح بما فعلتماه بالأسارى وليس لكما ذلك فانه حرام عليكما ، ومخالف لما امرنا به المسيح من كذا وكذا وعدد اشياء من دينهما ، فاما زلتما عن هذا واستأنفتما الاحسان الى الأسارى وتركتما مطالبتهم بالتنصر والا لعناكما على هذين الكرسيين وحرمناكما ٠ قال فمضيت مع الرسول فلما صرنا بقسطنطينية حجبت عن الملكين اياماً ، وخليا بالرسول ثم استدعياني اليهما فسلمت عليهما فقال لي ترجمانهما : يقول لك الملكان ان الذي بلغ ملك العرب من فعلنا بالأسارى كذب وتشنيع وقد أذنا في ادخالك دار البلاط لتشاهد اساراكم فترى احوالهم بخلاف ما بلغكم وتسمع من شكرهم لنا ضد ما اتصل بكم ٠ قال : ثم حملت الى دار البلاط فرأيت الأسارى وكأن وجوههم قد أُخرجت من القبور تشهد بالضرر وما كانوا فيه من العذاب الا أنهم مرفهون في ذلك الوقت وتأملت الى ثيابهم فاذا جميعها جُدُد فعلمت اني منعت من الوصول تلك الأيام حتى غُير زي الأسارى ٠ وقال لي الأسرى : نحن للملكين شاكرون فعل الله بهما وصنع ، واومأوا اليّ ان الأمر كما كان بلغكم ولكنه خفف عنا وأحسن الينا بعد حصولك هاهنا ٠ وقالوا لي : كيف

---

(١) الذي يدل صاحب البريد على الطريق معرب پروانك

عرفت حالنا ومن تنبه علينا وأنفذك بسببنا : فقلت لهم : ولي الوزارة علي بن عيسى فبلغه ذلك فأنفذ من بغداد وفعل كذا وكذا قال : فلجوا بالدعاء الى الله تعالى للوزير وسمعت امرأة منهم تقول : مرْ يا علي بن عيسى لا نسي الله لك هذا الفعل . قال : فلما سمع ذلك علي بن عيسى اجهش بالبكاء وسجد حمداً لله سبحانه وتعالى وبرّ الرسول وصرفه ، فقلت له : ايها الوزير اسمعك دائماً تتبرم بالوزارة وتتمنى الانصراف عنها في خلواتك خوفاً من آثامها فلو كنت في بيتك هل كنت تقدر ان تحصل هذا الثواب ولو أنفقت فيه اكثر مالك ولا تفعل ولا تتبرم بهذا الأمر فلعل الله يمكنك ويجري على يديك امثال هذا الفعل فتفوز بثوابه في الآخرة كما تفردت بشرف الوزارة في الدنيا .

والكتاب الثالث من تأليف القاضي التنوخي «المستجاد من فعلات الأجواد» اورد فيه مئة وخمسين قصة في كرماء الجاهلية والاسلام الى عهده التقطها من أصدق المصادر فجاءت صحيفة حكمة وادب واجتماع وأخلاق ذكر فيها من تقدموا عصره كما ذكر في النشوار من كانوا فيه او قبله بقليل ، ورسم به صورة من الكرم قلّ ان اجتمع مثلها في مصحف واحد ، حملت اطايب الشعر وأزاهير جميلة من النثر ومنها ما كان من نسجه ومنها ما نسجه من قبله فكأن هذا المؤلف العظيم احب ان يهذب الناس بحكايات جوّد ايرادها حتى تقع من نفوسهم موقعها . وهاكم الآن قصة من قصصه في المستجاد وهي مما يجب على كل من يتعاطى الحكم والادارة ان يجعلها نصب عينه ودليل حكمه :

قال عبد الله بن سليمان : كنت بحضرة والدي في ديوان الخراج بسرّ من رأى وهو يتولاه اذ دخل عليه احمد بن ابي خالد [الصريفيني] الكاتب فقام له أبي من مجلسه وأقعده في صدره ، وتشاغل به ، فلم ينظر في عمل حتى نهض ، ثم قام معه وامر غلمانه بالخروج بين يديه ، فاستعظمت انا وكل من في المجلس هذا ، لأن رسم اصحاب الدواوين صغارهم وكبارهم لا يقومون في الديوان لأحد

ممن يدخل اليهم ، وتبين ابي ذلك في وجهي فقال لي : يا بني اذا خلونا فسلني عن السبب فيما عملته مع هذا الرجل .

قال : وكان أبي يأكل في الديوان وينام فيه ويعمل عشياً الحسبانات فلما جلسنا نأكل لم أذكره الى ان كاد الطعام ينقضي ، فقال لي هو مبتدئاً : يا بني شغلك الطعام عما قلت لك تذكرني به ؟ فقلت : لا ، ولكن أردت ان يكون ذلك على خلوة فقال : هذا وقت خلوة ثم قال : ألست انكرت والحاضرون قيامي لأحمد بن ابي خالد في دخوله وخروجه وعما عملته معه ؟ فقلت : بلى قال : كان هذا يتقلد مصر سنين ، فوليت اعمالها وصرفته عنها ، وقد كانت مدته فيها طالت فتتبعته ، فرأيت آثار رجل لم أر أجمل آثاراً منه ، ولا أعف عن أموال السلطان والرعية ، ولا رأيت رعية لعامل أشكر من رعيته له ، وكان الحسين الخادم المعروف بعرق الموت صاحب البريد بمصر أصدق الناس له مع هذا ، وكان من أبغض الناس [الي] وأشدهم اضطراباً في اخلاقه ، فلم أتعلق عليه بحجة ، ووجدته قد أخر رفع الحسابات لسنة متقدمة وسنته التي هو فيها ولم يستتمها لصرفي له عنها ، ولم ينفذه الى الديوان فسمته ان يحط من الدخل ويزيد من النفقات والأرزاق ، ويكسر من البقايا في كل سنة مائة الف دينار لآخذها لنفسي ، فامتنع من ذلك ، فاغلظت له وتوعدته ، ونزلت معه الى مائة الف دينار واحدة للسنتين وحلفت له ايماناً مغلظة مؤكدة أني لا أقنع منه بأقل منها ، فأقام على امتناعه وقال : لا اخون لنفسي فكيف أخون لغيري وازيل ما قام به جاهي من العفاف ؟ فحبسته وقيدته فلم يجب ، وأقام مقيداً في الحبس شهوراً . وكتب عرق الموت صاحب البريد الى المتوكل ، وحلف له ان اموال مصر لا تفي بنفقتي ومؤنتي ، ويصف احمد بن أبي خالد ويذكر ميل الرعية اليه وعفته ، فأرسل المتوكل بتوليته . فأنا ذات يوم على المائدة آكل اذ وردت علي رقعة أحمد بن ابي خالد يسألني استدعاءه لمهم يلقيه الي فلم أشك انه قد استضر بالحبس والقيد ، وقد عزم على الاستجابة لمرادي ، فلما غسلت يدي دعوته فاستخلاني فأخليته ، فقال :

اما آن لك ياسيدي ان ترق لي مما أنا فيه من غير ذنب اليك [ولا جرم ولا قديم ذحل] ولا عداوة ? فقلت أنت اخترت لنفسك ذلك ، وقد سمعت يميني وليس منها مخرج ، فاستجب لما أريده منك [واخرج] فأخذ يستعطفني [ويخدمني ويخدعني] [فجاءني ضد ما قدرته فيه] فغاظني فشتمته وقلت له هذا الأمر المهم الذي ذكرت لي في رقعتك أنك أردت القاءه اليَّ هو ان تستعطفني وتستجيرني وتخدعني ? فقال : يا سيدي وليس الآن عندك غير هذا ? فقلت : لا فقال : اذا كان ليس عندك غير هذا ، فاقرأ يا سيدي هذا ، وأخرج اليَّ كتاباً لطيفاً مختوماً في ربع قرطاس ففضضته فاذا هو بخط المتوكل الذي أعرفه [يأمرني فيه] بالانصراف وتسليم ما أتولاه الى احمد بن ابي خالد والخروج اليه مما يلزمني ورفع الحساب اليه والامتثال لأمره وطاعته والمسير عن مصر بعد ذلك فورد على أقبح مورد لقرب عهد الرجل بشتمي له والاساءة اليه ، وانه في الحال تحت حديدي ومكارهي ، فأمسكت مبهوتاً ، ولم ألبث ان دخل أمير مصر اذ ذاك في اصحابه وغلمانه فوكل بداري وجميع ماأملكه وأصحابي وغلماني وجهابذتي وكتابي . وجعلت ازحف من الصدر حتى صرت بين يدي احمد بن أبي خالد ، ولست استطيع القيام وهو في قيوده بعد . فدعا امير البلد بحداد فحل قيوده ، فمددت رجلاي ليوضع فيها القيد ، فقال لي : يا أبا أيوب ضمَّ أقدامك ، فوثب قائماً ثم قال لي : يا أبا أيوب : أنت قريب عهد بعمالة هذا البلد ، ولا منزل لك فيه ولا صديق ، ومعك حرم وحاشية ، وليس يسعك الا هذه الدار ، وكانت دار العمالة ، وأما انا فأجد عدة مواضع [غيرها] وليس لي كبير حاشية ، ومن نكبة وقيد خرجت ، فأقم مكانك ، وخرج عني وصرف التوكيل عني وعن الدار ، واخذ كتابي واشياعي اليه ، فلما انصرف قلت لغلماني : هذا الذي أراه في النوم ? انظروا من وكل بنا فقالوا : ما وكل بنا احداً ، فعجبت من ذلك عجباً شديداً ، وما صليت العصر حتى عاد اليَّ من كان حمله معه من المتصرفين والكتاب والجهابذة مطلقين وقالوا : أخذ خطوطنا برفع الحساب ، وأمرنا بالملازمة وأطلقنا ، فازداد عجبي ، فلما كان

من غد باكرني مسلماً ورحت اليه في عشية ذلك اليوم ، فأقمت ثلاثين يوماً ان سبقني الى المجيء والا رحت اليه ، وان راح اليّ والا باكرته ، وكل يوم تجيئني هداياه [وألطافه] من الثلج والفاكهة والحيوان والحلوى والطيب ، فلما كان بعد ثلاثين يوماً جاءني فقال لي : قد عشقت مصر يا أبا ايوب ، والله ما هي طيبة الهواء ولا عذبة ، وانما تطيب لغير اهلها بالولاية فيها والاكتساب ، ولو قد رحلتَ الى بغداد وُسرَّ من رأى لما اقمت الا شهراً ، ثم تتقلد أجل الأعمال ، فقلت : والله ما أقمت الا متوقعاً لأمرك في الخروج ، فقال : أعطني خط كاتبك بأن عليه القيام بالحساب ، واخرج في حفظ الله ، فأحضرت كاتبي وأخذت خطه كما أراد ، وسلمتُ الخط اليه ، فقال لي : اخرج أيّ وقت شئت ، فخرج [من غد] هو وامير مصر وقاضيها ووجوهها وأهلها وشيعوني الى ظاهر مصر . وقالَ لي : تقيم في اول منزل على خمسة فراسخ الى ان ازيح علة قائد يصحبك برجاله الى الرملة فان الطريق فاسد ، فاستوحشت من ذلك وقلت : هذا انما غرني حتى أُخرج كل ما أملكه وجميع ما كسبت فيتمكن منه في ظاهر البلد فيقبضه ثم يردني الى الحبس والتوكيل والمطالبة ، ويحتج علي بكتاب ثان ، يذكر انه « صك » فخرجت واقمت بالمرحلة التي ذكر مستسلماً للقضاء متوقعاً للشر ، الى ان رأيت اوائل عسكره مقبل من مصر ، فقلت لعله القائد الذي يريد ان يصحبنيه او لعله يريد ان يقبض علي به ، فأمرت غلماني بمعرفة ذلك وما الخبر ؟ فقالوا : العامل احمد ابن ابن خالد قد جاء ، فلم أشك في انه قد ورد البلاء بوروده ، فخرجت من مضربي فلقيته وسلمت عليه ، فلما جلس قال : أخلونا ، فلم أشك [أنه] للقبض عليّ فطار عقلي ، وقام من كان عندي فلما لم يبق عندي احد قال : انا اعلم ان ايامك لم تطل بمصر ، ولا حظيت فيها بكبير فائدة ، وذلك الباب الذي سألتنيه في ولايتك لم استجب اليك ، وأخرت الاذن لك في الانصراف منذ اول الأمر الى الآن ، لأني تشاغلت بالفراغ لك منه ، وقد حططت من الارتفاع وزدت في النفقات في كل سنة خمسة عشر الف دينار [تكون]

للسنتين ثلاثين الف دينار وهو يقرب ولا يظهر ، ويكون أيسر مما اردته مني في ذلك الوقت ، وقد [تشاغلت به حتى] جمعته لك ، وهذا المال على البغال ، وقد جئتك به فتقدم الى من يتسلمه فتقدمت لقبضه وقبلت يده ، وقلت قد والله يا سيدي فعلت ما لم تفعل البرامكة ، فأنكر ذلك مني وتقبض عنه وقبّل يدي ورجلي وقال: ههنا شيء آخر أريد أن تقبله فقلت : ما هو قال : خمسة آلاف دينار وقد استحققتها من رزقي ، فامتنعت من ذلك ، وقلت : فيما قد تفضلت به كفاية ، فحلف بالطلاق أن أقبلها منه فقبلتها ، فقال : وههنا ألطاف من هدايا مصر أحببت أن أصحبك اياها ، فانك تمضي الى كتاب الدواوين ورؤساء الحضرة فيقولون لك : وليت مصر فأين نصيبنا من هداياها ؟ ولم تطل أيامك فتعدّ ذلك لهم ، وقد جمعت لك منه ما يشتمل عليه هذا الثبت وأخرج درجاً فيه ثبت جامع لكل شيء في الدنيا حسن طريف جليل القدر من كل جنس من ثياب دبيق وقصب وخدم وبغال ودواب وحمير وفرش وطيب حتى اقلام ومداد ما يكون قيمته مالاً كثيراً ، فأمرت بتسلمه وزدت في شكره ، فقال لي : ياسيدي أنا مغرى بحب الفرش وقد استعملت لي بيتاً ارمنياً بارمينيـة وهو عشر مصلّيات بمخادّها ومساندها ومساورها ومطارحها وبسطها وهو بطرز مذهبة قد قام عليَّ بخمسة آلاف دينار على شدة احتياطي ، وقد اهديته لك ، فان أهديته الى الوزير عبدك وان أهديته الى الخليفة ملكته به ، وان أبقيته لنفسك وتجملت به كان أحب اليَّ ، قال : وحمله فما رأيت مثله قط ، ولم تسمح نفسي بإهدائه لأحد ولا باستعماله ، فما ابتذلت منه شيئاً يا بني الا يوم اعذارك ، فاني اتخذت منه الصدر ومسانده ومخاده ، أفتلوموني يا بني على أن أقوم لهذا الرجل ؟ فقلت : لا والله يا أبي ؛ ولا على ما هو أكثر من القيام ، لو كان مستطاعاً . قال : فكان ابي بعد ذلك اذا صرف رجلاً عن عمل ، عامله بكل جميل ، ويقول : علمنا ابن ابي خالد أحسن الله جزاءه حسن الصرف .

محمد كرد علي

اللغة العربية

في البلاد الاسلامية غير العربية[1]

— ٣ —

في بلاد الترك والهند

أسلفتُ القول في مكانة اللغة العربية في إيران قبل أن تصير الفارسية الحديثة لغة علم ، ثم بينت كيف سايرت العربية الفارسية بعد استعمالها ، في الشعر والكتابة وكيف بقيت غالبة في التأليف ٠

وأُبين اليوم حال اللغة العربية في بلاد الترك والهند ٠ وليس غريباً ان يتناول الكلام بلاد الترك والهند في بحث واحد ٠ فكلتاهما تجاور ايران ، وكلتاهما أثّرت فيها العربية مباشرة وبتوسط الفارسية ، ثم العربية أثرت في الفارسية ، وهذه أثرت في التركية ، وثلاث اللغات أثرت في الأُردية ٠ فكان القول في بلاد الترك والهند متشابهاً متشابكا ٠

١ — بلاد الترك

اعني تركستان الشرقية والغربية وموطن الترك العثمانيين ٠

فأما تركستان الغربية فهي التي سماها جغرافيو العرب ما وراء النهر وتسمى اليوم تركستان الروسية لاستيلاء الروس عليها ٠

وكان نهر جيحون في العصور المختلفة يعدّ حداً بينها وبين ايران ٠ واما تركستان الشرقية فتسمى كشغر وتسمى اليوم تركستان الصينية ٠

وفي الاقليمين زهاء ستة ملايين يعيشون في أكثر من مليونين من الكيلات المربعة ٠ ونهر جيحون قد عدّ في أساطير الفرس وتاريخهم حدّاً بين ايران وتوران ،

(١) محاضرة ألقيت في الجامعة السورية بدعوة من المجمع العلمي العربي لـ ١٥ ايلول سنة ١٩٤٦

ودارت على ضفافه المعارك المتمادية بين الايرانيين والتورانيين ، المعارك الهائلة التي صورتها الشاهنامة . ولكنه لم يكن في الحق فاصلاً بين الأمتين اللتين تعيشان شماليه وجنوبيه على مرّ الزمان . فقد عاش الفرس شماليّ النهر منذ عصور بعيدة ، وعبر الترك النهر ، ولا سيما في العصور الاسلامية ، وانتشروا في ايران .

وفيما وراء النهر اليوم قرى كثيرة لغتها الفارسية ، ومعظم القرى التي لغتها التركية تعرف الفارسية .

ومن اللهجات الفارسية اللهجة الصغدية وهي لهجة الصغد في تركستان .

وقد قامت الدولة السامانية فيما وراء النهر وكانت حاضرتها بخارى فنشأت في عهدها الفارسية الحديثة وترعرعت في ظلالها فصارت لغة كتابة وعلم .

ولو كانت هذه البلاد خالصة للغة التركية ما كانت لغة الدولة السامانية ولغة شعرائها الفارسية دون التركية .

وأول شاعر فارسي كبير هو ابو جعفر الرودكي السمرقندي ، فقد ترعرع الشعر الفارسي اول ما ترعرع شمالي نهر جيحون .

وقد الف جار الله الزمخشري مقدمة الأدب ليعلّم أهلَ تركستان الأدب العربي فجعلها معجماً من العربية الى الفارسية . ولم يحاول تعليم اهل البلاد باللغة التركية وانما صارت التركية لغة ادبية في بعض أقطارها في عصور متأخرة .

فاذا تعرفنا حال العربية في تركستان ومكانتها في العلم والأدب ، وقسنا اليها لغة البلاد الأدبية ، وجدنا أحوالاً تشابه ما بيّنا في ايران ، من احوال العربية والفارسية .

فحال الشعر الفارسي في تركستان كحاله في ايران ، ومسايرة العربية للفارسية في الشعر هنا كمسايرتها اياها هناك فلا نحتاج الى اعادة القول . وغلبة النثر العربي في ايران تقاس بها غلبته فيما وراء النهر ايضاً . وقد نشأ هناك من كتاب العربية ابو بكر الخوارزمي الكاتب المعروف (توفي سنة ٣٨٢) والعميد والد ابي الفضل ابن العميد ، والزمخشري (توفي سنة ٥٣٨) ورشيد الدين الوطواط المصري (توفي سنة ٥٧٣) .

واما لغة التأليف في العلم والأدب فكانت العربيةَ الا قليلاً . وحسبنا أن نذكر اسماعيل بن حماد الجوهري صاحب الصحاح ، وخاله اسحق بن ابراهيم ، والفارابي والقفّال الشاشي (توفي سنة ٣٦٦) والخوارزمي سنة ٤٣١٥ وابا الريحان البيروني .

ولا بد من وقفة عند الزمخشري لنستدل على مكانة العربية ، بما ألّف فيها وبما بيّن من مكانتها في مقدمة كتابيه المفصّل ومقدمة الأدب . فالزمخشري قد عاش بين منتصف القرن الخامس الهجري ومنتصف القرن السادس في تلك البلاد ، وكان من أئمة العربية في اللغة والنحو والأدب ولم يؤثر عنه انه كتب بالفارسية او التركية .

وقال في مقدمة المفصل :

« ولعل الذين يَغضون من العربية ويضعون من مقدارها ويريدون أن يَخفضوا ما رفع الله من منارها ، حيث لم يجعل خيرة رسله وخيرة كتبه في عجم خلقه ولكن في عربه لا يبعدون عن الشعوبية منابذة للحق الأبلج ، وزيغاً عن سواء المنهج » .

ويظهر من تضاعيف كلام الزمخشري أن هؤلاء الذين يغضون من العربية كانت كراهيتهم في صميمها للنحو لا للغة العربية نفسها . ثم قال الزمخشري عن هؤلاء :

« وبهذا اللسان (يعني العربية) مناقلتُهم في العلم ومحاورتهم وتدريسهم ومناظرتهم وبه تَقطر في القراطيس أقلامهم ، وبه تسطر الصكوكَ والسجلات حكامُهم . فهم ملتبسون بالعربية أية سلكوا ، غير منفكين عنها أينما وجهوا ، كلٌّ عليهم حيثما سيّروا . ثم انهم في تضاعيف ذلك يجحدون فضلها ، ويدفعون خصلها ، ويذهبون عن توقيرها وتعظيمها ، وينهون عن تعلمها وتعليمها ، ويمزّقون أديمها ، ويمضغون لحمها . فهم في ذلك على المثل السائر « الشعير يؤكل ويذمّ » ويدّعون الاستغناء عنها وأنهم ليسوا في شيء منها ، فان صح ذلك فما بالهم لا يطلّقون اللغة رأساً والاعراب ، ولا يقطعون بينها وبينهم الأسباب ، فيطمسوا من تفسير القرآن آثارهما وينقضوا من أصول الفقه غبارهما » الى ان يقول :

« وما لهم لم يتراطنوا في مجالس التدريس وحَلَق المناظرة ، ثم نظروا هل تركوا

للعلم جمالاً وأبهة ، وهل أصبحت الخاصة بالعامة مشبهة ، وهل انقلبوا هزأة للساخرين وضحكة للناظرين » .

أبان الزمخشري في هذه الكلمات عن تبرم قوم بالعربية وبين أنها ، على هذا ، لغة العلم ولغة القضاء ولغة التعليم والمناظرة ولغة الأدب وان التدريس بغيرها يذهب بجمال العلم ، ويجعل الخاصة كالعامة . فلغة الخاصة العربية ولغة العامة الرطانة العجمية .

وألف الزمخشري مقدمة الأدب ، وضعه على نسق كتاب الثعالبي ، فقه اللغة ، وجعله عدة لطالب الأدب العربي وفسر الكلمات العربية بالفارسية فتلقاه الناس بالقبول كما قال :

« لأن هذا الكتاب قد أصاب قبولاً من القلوب ، وهب في البلاد مهب الصبا والجنوب » وقال المؤلف في فاتحة الكتاب عن اللغة العربية :

« ولجلالة هذا اللسان ، وما جعل الله له من نباهة الشان ، وأن الحاجة اليه سانحة في الملة الاسلامية في أنواع علومها وفنون آدابها كان المتعاطون لاتقانه والتبحر فيه معدودين في علماء هذه الأمة ، المذكورين في طبقات الأئمة : ومن صنع الله لهذه الطبقة ان الملوك لم تمطر سحائبهم ، ولا فاضت عطياتهم ومواهبهم ، على أحد فيضها على هؤلاء من أدبائهم وخطبائهم ومترسليهم وشعرائهم » .

ولم يخل بعد انقضاء دولة العرب عصر من الأعصار من ملك فاضل جواد يرغب فيهم ويكفلهم ويكفيهم ، ويتعصب لصناعتهم ويحرص على تنفيق بضاعتهم .

واما الذي اصطفاه الله في زماننا لنصرة الأدب ، وقذف في قلبه الرغبة في كلام العرب الأمير الأجل الأسفهالار بهاء الدين علاء الدولة الأمير ابو المظفر آتسز ابن خوارزمشاه » اه .

. وآتسز هذا احد ملوك خوارزم تولى الملك من سنة ٥٢٢ الى سنة ٥٥١ ه وقد تولى رشيد الدين الوطواط العمري الكاتب المعروف ديوان الرسائل لهذا الملك .

ثلاثين سنة وله رسائل عربية ذائعة تدل على متانة أسلوب العربية في ذلك العصر ·

وقد عرفت محاولات للكتابة بالتركية بلهجات مختلفة منذ القرن الخامس الهجري فنظم يوسف خاص حاجب في بلاساغون وكشفر منظومة باللهجة الأيغورية اسمها قوداتقوبيليك ·

ونظم اديب احمد رباعيات سماها « عيبة الحقائق » في القرن السادس الهجري · وفي هذا القرن نظم الصوفي الكبير احمد يَسَوى ديوان الحكمة ·

وكذلك نظم بعض الأدباء من بعد غارات التتار في صحراء القفجاق وغيرها ، فنظم الشاعر قطب قصة خسرو وشيرين في القرن الثامن الهجري · ونظم في هذا القرن ايضاً الخوارزمي منظومته المسماة « محبت نامه » ·

وانشئت منظومات وكتب قليلة بلهجات مختلفة ولكنها لم تبلغ ، قبل نشوء الأدب العثماني في رعاية الدولة العثمانية ، أن تنافس العربية او الفارسية في النظم او النثر او التأليف ·

واعظم ما وعته اللغة التركية الشرقية « لغة جغتاى » منظومات علي شيرنوائي وبابرنامه وهي سيرة السلطان بابر التي كتبها بنفسه ·

فأما علي شيرنوائي فكان وزيراً او مشيراً للسلطان حسين بيقرا احد الملوك من سلالة تيمورلنك وله في العدل والبر أياد بيضاء · وله في الآداب العربية والفارسية والتركية مكانة · وقد حاول ان يذلل التركية للنظم الأدبي فنظم قصصاً خمساً من القصص المعروفة في الأدب الفارسي وتبع سنة نظامي الشاعر في خمسته · وكتب في القياس بين التركية والفارسية كتاباً سماه « محاكمة اللغتين » بيّن فيه فضل التركية على الفارسية في بعض الخصائص ·

وكتب في اللغة العربية معجماً جمع فيه بين سبعة من معاجم العربية وسماه « سبعة أبحر » ·

ولكن هذا الشاعر القدير سلك طريقاً وعراً كان فيها فريداً لم يسبقه مثله ولم يلحقه ، وبقيت منظوماته منقطعة النظير في لغة جغتاي ·

وعلي شير توفي سنة ٩٠٦ هـ فتاريخه يرجع الى عصر متأخر ولكن اللغة التركية الشرقية لم تكن قد مهدت للأدب فلم تجد عليها عبقرية هذا الشاعر الكبير كثيراً .

وكتب محمد ظهير الدين بابر كتابه (بابر نامه) في العصر الذي أنشأ فيه نوائي منظوماته ؛ كتبه في لغة طبيعية خالصة لا تكلف فيها ولا زينة لكنها كانت كمنظومات علي شير ، مثلاً فريداً في لغة جغتاي .

التركية العثمانية

لم تتخذ التركية الغربية لسان أدب وعلم قبل قيام الدولة العثمانية الا في الندرة . اتخذها امراء قرمان لغة ديوان في ثورتهم القصيرة الأمد ، قبيل نهاية الدولة السلجوقية وأثر فيها نظم لجلال الدين الرومي المتوفى سنه ٦٧٢ ولابنه سلطان ولد .

وكان سلاجقة الروم — أي سلاجقة آسيا الصغرى — يلقبون بالألقاب الفارسية ويزينون قصورهم بأبيات من الشاهنامة ، وهي منظومة الفرس التي تروي جلاد ايران وتوران وتنتصر للايرانيين على التورانيين اي الترك .

وكانت العربية والفارسية لغتي العلم والأدب في تلك الأقطار ايام السلاجقة .

ولما قامت الدولة العثمانية شرعت تستعمل التركية في رسائلها مع استعمال الفارسية والعربية .

وفي منشآت السلاطين — وهي الرسائل التي جمعها في القرن الحادي عشر الهجري احمد فريدون بك — نماذج من رسائل السلاطين العثمانيين باللغات الثلاث .

ثم نظم شعراء باللغة التركية وكتب فيها كتاب . وتطورت الصناعتان تطورهما . فنبغ شعراء كثيرون وكتاب قليلون محاكاة للأدب الفارسي . وصيغت اوزان الشعر وقوافيه على غرار الشعر الفارسي . وقد اسلفنا القول فيه . واتخذ شعراء الترك موضوعات الشعر الفارسي وطرائقه . واكثروا من استعمال الألفاظ الفارسية والتركيبات والألفاظ العربية . حتى ليمر قارئ الشعر التركي بأبيات فارسية ليس فيها من التركية الا حرف او فعل . وبقي تسلط الفارسية واضحاً حتى عصر عبد الحق حامد واضرابه وقد توفي عبد الحق منذ بضعة عشر عاماً .

ويمكن ان يقال في صلة الأدب التركي بالأدب العربي ما قيل من قبل في الصلات بين الأدبين العربي والفارسي . إذ كان الشعر التركي ، كما قلت ، محاكاة للشعر الفارسي في الفاظه ومعانيه وموضوعاته .

وأكثر الترك من تسجيل تاريخهم بلغتهم فغشيت اللغة التركية بسلسلة من كتب التاريخ قيمة . والأسلوب القديم في النثر ينوء به التكلف والزينة اللفظية .

واما التأليف في العلوم العقلية والشرعية واللغوية فقد غلبت عليه اللغة العربية شأنها في ايران وتركستان .

وحسبنا ان نذكر من المؤلفين صدر الدين القونوي (توفي سنة ٦٧١ هـ) والكمال بن الهمام السيوامي (توفي سنة ٨٦١) ولطف الله بن حسن التوقاتي الذي الف في موضوعات العلوم للسلطان بايزيد الثاني (توفي سنة ٩٠٠) .

واحمد بن سليمان المعروف بابن كمال باشا وهو من اكثر المؤلفين في العلوم الشرعية واللغوية .

وعصام الدين احمد بن مصطفى المعروف باسم طاشكبري زاده وهو مؤلف الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية وله مؤلفات بالعربية تزيد على الثلاثين اجلها كتاب موضوعات العلوم المسمى مفتاح السعادة (توفي سنة ٩٦٨ هـ) ومحيي الدين القونوي المتوفى سنة ٩٥١ ومصطفى بن شعبان صاحب الحاشية على تفسير البيضاوي (توفي ٩٦٩) وحامد القونوي صاحب الفتاوى توفي سنة ٩٨٥ والانقروي صاحب الفتاوى المتوفى ٩٩٨ هـ والحاج خليفة صاحب كشف الظنون المتوفى سنة ١٠٦٧

ولم يخل عصر من التأليف بالعربية في بلاد الترك العثمانيين على اختلاف اطوار العربية والتركية في التأليف على مر العصور .

ولم يخل اديب او شاعر من معرفة العربية قليلاً او كثيراً حتى عصرنا هذا .

(للكلام صلة) عبد الوهاب عزام

معجم مصطلحات امراض الجلد

المقالة التي ألقيت في المؤتمر الطبي العربي بحلب

لم يعتن الى الآن عندنا العناية اللائقة بمصطلحات امراض الجلد التي اتسعت في الأعصر الأخيرة اتساعاً كبيراً . ولم ينشر كتاب بالعربية في هذه الأمراض، حسب ما أعلم، سوى كتاب « الروضة البهية في مداواة الأمراض الجلدية » ألفه احمد بن حسن الرشيدي قبل مائة عام ونيف . اكتفى فيه مؤلفه باستعمال أسماء الأمراض الجلدية المعروفة منذ الدور العباسي كالدمل والسرطان والسعفة والقوباء والجدري والحصبة والجذام والجرب والجمرة والحمرة والحصف والنملة والكلف والنمش والثآليل ونحو ذلك ولم يزد عليها سوى القرمزية والوردية والحمى الفقاعية . أما الأمراض التي عرفها الافرنج فاكتفى بذكرها بأسمائها الفرنجية كالارتيا والاستروفولوس والاكروديفيا والمنتاكر والبتريازيس والبسوريازس والسودامينا والكوبيروز والمولوسكوم ... الخ . ولم يسع قط لايجاد كلمات عربية لها وبقي الحال على هذا المنوال تقريباً الى الآن . وهذا ما حدا بي على شحذ الهمة لملء هذا الفراغ . فعزمت على تأليف معجم في مصطلحات أمراض الجلد .

تناولت في البدء كتاب امراض الجلد لشاتلان الفرنسي وتصفحته ثم نظرت في فهرسه وأحصيت الاسماء الواردة فيه فاذا هي (٣١٨١) اسماً فهالني الأمر فان هذا العدد الضخم من الأسماء وان يكن قسم كبير منها اسماء امراض مكررة الحقت بها صفات لتمييز انواع واشكال المرض الواحد، الا انها تبقى جسيمة على كل حال . وخصوصاً وان كتب أسلافنا القدماء لا ذكر فيها لغير عدد نزر من امراض الجلد . فقد عددت في القانون لابن سينا، وهو اضخمها، خمسين مرضاً . أما الذين أتوا بعده فكلهم عالة عليه حتى داود الانطاكي فانه لم يزد على هذا

العدد من الأمراض في كتابيه « تذكرة أولي الألباب » و « النزهة المبهجة » سوى الشيلم والماشرا وهي الحمرة الفلغمونية في الوجه والرأس ، والورشكين وهو الجدري النزفي . ووجدت صالح الحلبي رئيس الأطباء باستنبول بوقته زاد في كتابه « غاية الاتقان في تدبير بدن الانسان » البليكا (تلبد الشعر) والاسكربوط (الحفر) باسميها الافرنجيين فانه كان قد أدرك أوائل النهضة الطبية في أوروبا واقتبس الطب الكيميائي لبراكلسوس على ان بين الأمراض الجلدية الخمسين في الكتب التي ذكرتها اسماء مبهمة لا يمكن معرفة الأمراض المقصودة بها ولا الاستفادة منها في الاصطلاحات بزماننا الحاضر ، كقولهم البثور الصغار والبثور الصلبة وذات الراس والغريبة والبيض وبثور الصدغ وبثور القفا فاذا طرحناها بقي لنا نحو من ٤٤ اسماً فقط . فلما رأيت ذلك كدت أرجع عن عزمي لكنني وطدت نفسي وفكرت في الاستفادة من كتب اللغة وخاصة من شرح القاموس المسمى بتاج العروس . ولكن كيف السبيل الى ذلك ؟ وما يتعلق بالجلد والشعر وأمراضهما من الألفاظ منبثة في اجزائه العشرة الضخمة . وأخيراً قمت بعمل ندر من قام به وهو انني قرأت تاج العروس من أوله الى آخره والتقطت منه كل ما يخص الجلد وملحقاته من اوصاف وامراض واعراض وكتبتها على حدة . وقد كلفني هذا عناءً كبيراً . ثم اني جعلت اختار الألفاظ الغريبة الموافقة لمرض مرض حتى انتهيت من وضع معجمي هذا وسميته « معجم مصطلحات أمراض الجلد » وهو يحتوي كما ذكرت على (٣١٨١) اسماً ليس فيها الفاظ غير عربية او مستعربة سوى خمسة أسماء لأمراض خاصة لا تكون الا في أقطار خاصة سمتها العلماء بأسمائها المحلية وهي: پيان ، بوس ، توكيلو ، پيادرا ، كراوكراو .

كل هذه الألفاظ التي التقطتها من شرح القاموس بقي نحو من خمسة اسداسها زائداً لم احتج اليه . وهذا ما يظهر كون اللغة العربية من السعة بحيث تكفي إذا أضفنا اليها الاشتقاق والاستعارة ، لجميع مصطلحات العلوم والفنون وتزيد .

وتكون هذه الزيادة ذخيرة لاحتياجات في المستقبل توجبها الاكتشافات والاختراعات . فحقيقة لغتنا المحبوبة هذه لطمة على وجوه المتوانين الذين يصمونها بالقصور عن اداء المعاني المستحدثة ، وانما القصور في عدم معرفتهم اياها وفي قصر هممهم عن التحري والتنقيب .

ثم اني الحقت بالمعجم فصلاً فيه ايضاحات وتعليلات لبعض ما ورد فيه من الألفاظ ، رتبتها على حروف الهجاء ليطمئن اليها المراجع وهي الفاظ معلّم عليها بنجمة في أصل المعجم اذكر بعض هذه الايضاحات على سبيل الأمثلة كما يلي :

افرنجي Syphiliss — اول من ذكر الافرنجي من مؤلفي العرب هو داود الانطاكي ذكره باسم الحب الافرنجي في التذكرة (٢ — ٧١) وفي النزهة المبهجة المطبوعة في هامش التذكرة (٢ — ١٦٣) ولهذا المرض الآن اسماء كثيرة في مختلف الأقطار العربية مبارك وبلاء وتشويش وفرنجي بمصر ، مبروك على شواطئ الفرات ، بجل بالحجاز وبادية الجزيرة بين النهرين ، غرانصي بالمغرب جعكيل بالسودان ابو خصبان عند بعض عشائر الجزيرة ومنهم الجبور وكلها لا تصلح لاتخاذها مصطلحاً لهذا المرض فالمبارك والمبروك وان قيلا على سبيل التفاؤل كقولهم للديغ سليم الا انهما يخدعان جهلة الناس فيهملون التداوي ظناً منهم انه سمي بهذين الاسمين لسلامته وعدم ضرره . والتشويش لا يفيد شيئاً معيناً والزهري ليس خاصاً بهذا المرض بل يشمل القرحة والرخوة والتعقيبة والورم اللمفوي الحبيبي ومثله البلاء اما البجل فمرض الخيل القريب الشبه من افرنجي البشر وليس منه وباقي الأسماء غريبة . اما الحلق فيلتبس في الكتابة مع جمع حلقة ويظهر انه والبجل واحد والحلاق هو وجع الحلق فلا مندوحة في تسميته بالافرنجي كما سماه داود الانطاكي .

باذشنام — سميت Lupus بالباذشنام تبعاً لابن سينا ومن أتى بعده فقد جاء في القانون (٣ — ٢٨١) الباذشنام حمرة منكرة تشبه حمرة من يبتدئ به الجذام ،

يظهر على الوجه وعلى الأطراف في الشتاء والبرد وربما كان معها قروح (٥١٠) ٠ ومثله في بحر الجواهر وجاء تعريف الباذشنام في غاية البيان اتقن وا كثر انطباقاً على وصف هذا المرض في كتب امراض الجلد الحديثة قال انه حمرة في الوجه منكرة تشبه حمرة من يبتدئ به الجذام ٠ وهو ثلاثة انواع النوع الأول يكون في الوجه حمرة فقط والثاني ان تكون تلك الحمره مع بثور صغار والثالث ان يكون متقرحاً ٥١ ٠ ولم يذكر كونه في الأطراف ولم يخصه بالشتاء والبرد ٠

بطم — جاء في القانون (٣ — ٢٨٧) البطم قروح سوداوية تظهر في الساق من مادة الدوالي بعينها ٥١ ٠ وجاء فيه أيضاً (٢ — ٤١٢) ان كثيراً من الناس الذين بهم طحال اذا عرضت لهم رياضات عنيفة انحدرت المواد الى الساقين فتبثرت وتخرج بها البثور التي تسمى البطم ٥١ ٠ اقول اذا صرفنا النظر عن تعليلات القدماء لحصول الأمراض علمنا ان ابن سينا قصد بالبطم ecthyma فان بثرة هذا المرض شبيهة بحبة البطم واكثر ظهورها في الساقين وبعد تقرحها تكون قمتها سوداء ثم يتكون عليها قشر اسود لذا سماها ابن سينا سوداوية لأنهم كانوا ينسبون الى السوداء كل ما يظهر اسود في الجسم وقال داود الانطاكي في النزهة المبهجة (٢ — ١٤٦) البثور والقروح هي ما يثر الجلد وطال تقريحه ونزف وجمع ٠ ولها اسماء تارة بحسب هيئاتها فيقال البطم لما كان كحبة ٠٠٠ الخ ٠٠٠ وجاء في بحر الجواهر لمحمد بن يوسف الهروي والبطم ايضاً بثور صغار تعرض في الساق سوداوية كأنها ثمرة الطرفاء او الحبة الخضراء الكبيرة ٠

بلخية — هذا اسم حبة الشرق في الكتب الطبية العربية ٠

بنات الليل epinyctis pruriginosa — حكة وخشونة تعرض ليلاً لبرد الهواء وتكاثف المسام وتفتر نهاراً (غاية الاتقان) والقانون (٣ — ٢٩٤) ٠

بوغ — الذي يكون في اجواف الفقعة (تاج) يريد البزيرات التي تكون في الكمأة وهذا يطابق كلمة sport مطابقة تامة جمعه ابواغ ٠

تبيغ — قابلت بها ال hyperémie جاء في التاج تبيغ به الدم هاج به وغلبه وذلك حين تظهر حمرته في البدن ·

تخزّف hyperkératose — صيرورة الجلد كالخزف من فرط تقرن البشرة استعمل ابن سينا هذه الكلمة في القانون (٣ — ٢٨٣)·

حاصة pelade — الحص ذهاب الشعر عن الرأس بحلق أو مرض والحاصة داء يتناثر منه الشعر وقال ابن الأثير هي العلة التي تحص الشعر وتذهبه (تاج) ·

حَبَر pétéchie — الحبر من اكل البراغيث جلده فبقي فيه حبر اي آثار ومن المعلوم ان المؤلفين عند تأليفهم وتعريفهم الـ pétéchie يقولون انها تشبه اثر قرص البرغوث ترجمها بعضهم بالنمش غلطاً فان النمش هو ephelides ·

دقسة الجسم demodex مركبة من كلمتين يونانيتين demos الجسم و dex دودة الخشب وهذه عربيتها دقسة جاء في التاج قال ابن دريد الدقسة بالضم دويبة صغيرة ويفتح او الصواب الفتح ·

سَحْل flanelle — ثوب لا يبرم غزله (تاج) ·

شِيرْبُنَج — هو السعفة الرطبة impetigo larvatis وباليونانية achor استعملها ابن سينا في (ق ٣ — ٢٨٧) وهي بكسر الشين واسكان الياء وضم الباء وفتح النون معربة عن الفارسية شيربنك شير اللبن وبنك اللطخة فيكون معناها لطخ اللبن وهذا يشبه تسمية اللاتين orasta lactea والفرنسيين croûtes de lait اي القشور اللبنية ·

ضباسة cretinisme — الضبيس الثقيل البدن والروح الجبان الأحمق الضعيف البدن القليل الفطنة الذي لا يهتدي لحيلة ضبس الرجل ضباسة قل خيره (التاج)

طلوعات efflorescences — طلوعات تطلق على كل خراج سواء كان خشكريشة أولاً ومنها الدبيلة والحمرة والنملة وغيرها (التذكرة ٢ — ١٣٥) ·

طليّاً — بفتح فكسر فتشديد ياء قرحة شبيهة بالقوباء تخرج في جنب الانسان

فيقال للرجل انما قوبا وليست بطليا يهوتون بذلك عليه (تاج) فقوله شبيهة بالقوباء يمكننا من استعمالها مقابل rupia وما ندري لعل طليا وربيا من أصل واحد حرفت الأولى من الأخرى تحريفاً كبيراً .

عجرة وعجيرة — المعروف أن tubercule تترجم في هذا الزمان بدرن لكن ليس الدرن الا الوسخ لا غير وأظن ان التدرن اخذت من كتاب كامل الصناعتين في البيطرة والزرطقة لأبي بكر البدر البيطار احد البياطرة باصطبل الملك الناصر محمد بن قلاوون حيث سمى احد امراض الرئة في الخيل بالتدرن فظن انه يقصد سل الرئة حين ان المفهوم من التدرن هناك هو توسخ الرئة اعني تغيرها pneumakoniase وقد آن ان نترك الغلط ونرجع الى الصواب . ان tubercull مصغر tuber وهذه معناها باللاتينية العقدة في الشجرة ويقابلها العجرة بالعربية فتكون tubercul عجيرة فأدعو الى استعمالها .

غُدْبة — بالضم scrofules عدلت عن داء الخنازير الى كلمة غدبة لانه لا يليق القول لمن كان مصاباً بسل العقد اللمفوية في العنق انّ بك داء الخنازير فهذا يكون مساوياً لقولنا له انك خنزير او قد اصبحت تشبه الخنازير ان داء الخنازير ترجمة للكلمة اليونانية خويرادس المشتقة من خويروس وهو الخنوص اي ولد الخنزير اما في العربية فيسمى هذا الداء بالغدبة والجوزة والخازباز والكنفشة اخترت منها الأولى جاء في التاج الغدبة بالضم لحمة غليظة شبيهة بالغدد تكون في لهازم الانسان وغيره اما عن اللهزمة فقد قال عظم ناتئ في اللحم تحت الأذن يريد بذلك زاوية الفك الأسفل .

غربالي — انتراكس كلمة يونانية معناها الجمرة جاء في لاروس القرن العشرين قوله انتقلت الينا هذه التسمية anthrax من الزمن الذي كانت هذه العلة لم تميز بعد من الـ charbon اي الجمرة وقد آن لنا ان ندعي الاشتراك بين المرضين بلفظ واحد وادى ان نسمي الانتراكس بالدمل الغربالي او بالغربالي مقتصراً لأنه

لا شيء سوى دماميل مجتمعة يصير لها ثقوب كثيرة كهيئة الغربال وهذا خير من تسميتها بالجمرة الحميدة ونترك الجمرة (للشاربون) دون ان نسميها جمرة خبيثة ·

فسلجة — جدير بنا ان نعرب كلة فيزيولوجيا ونسميها فسلجة بحذف بعض حروف العلة فيها كما حذفنا بعض هذه الحروف من جيوغرافيا وقلنا جغرافيا وهذا خير من استعمالها كما هي بطولها ومن ترجمتها بعلم وظائف الأعضاء او مبحث الطبائع او علم الخلقة او علم الغرائز ·

فقعي — fongoïse نسبة الى الفقع بالفتح وبكسر وهو البيضاء الرخوة من الكمأة (تاج) اقول بين لفظتي فقع و fungus قرابة لفظية تدل على وحدة الأصل ·

فلغحوني — كدت اسميها بالحِبْن بكسر الحاء واسكان الباء فهو ال Phlegmone بعينه لكني تركته لالتباسه كتابة بالحَبَن المحركة وهو ال ascite جاء في التاج الحبن بالكسر خراج كالدمل وهو أيضاً ما يعتري في الجسد فيقيح ويرم ·

قبرسية — جاء في معجم لاروس الكبير ان Coreperose مأخوذة من الانكليزية Copper ومعناه النحاس ولما كان النحاس يسمى بالعربية القبرس ايضاً سميت هذا المرض بالقبرسية ·

قروت — ecchymose قرت الدم كنصر وسمع قروتا بالضم يبس بعضه على بعض او مات في الجرح ودم قارت قد يبس بين الجلد واللحم وقرت الدم اخضر تحت الجلد من الضرب وقرت الظفر مات فيه الدم ·

لمفوي — كتبوا في النسبة الى اللنفاء لنفوي ولنفاوي ولمفاوي ولمفي ولنفي والأصح ان يقال لمفوي قياساً على دنيوي نسبة الى دنيا ·

مثّ — ورد في التاج مثّ العظم : سال ما فيه من الودك ومثّ النحي بالكسر الزق يمث مثاً رشح وقيل نتج جاء يمثّ اذا جاء سميناً يرى على سحنته وجلده مثل الدهن قال الفرزدق :

تقول كليب حيث مثّت جلودها واخصب من مروتها كل جانب

فالمثّ اذاً هو seborrée :

مدش — محركة حمرة وخشونة في الوجه وهو امدش وهي مدشاء والمدش رخاوة عصب اليد وقلة لحمها والأمدش المهزول الخفيف اللحم والأمدش الاصابع المنتشر الأشاجع الرخو القبضة والمدش الحمق المدشاء الحمقاء والذكر امدش · والمدش ظلمة العين من جوع وتشقق في الرجل هذا ما جاء في التاج نقلته مقدماً بعض عباراته على بعض حسب اطوار هذا المرض المعروف عند الافرنج بالـ Pellagre ومنها يرى القارئ المطابقة التامة في تعريف التاج للمدش لاعراض المرض المذكور ·

معروف — كلمة Cummun لها معان مختلفة فيجب ترجمتها حسب المعنى المقصود بها فمن معانيها عام شامل ، مشترك ، مباح للجميع ، مشترك النفع : واذا وصف بها حيوان او نبات او مرض يكون معناها المعروف كما اذا قيل le chien Commun الكلب المعروف الذى تعرفه الناس وتشاهده اكثر من باقي انواعه ·

منطلس — يقال بالفرنسية fruste للمرض الذي لا تظهر اعراضه الا قليلاً او لا تكاد تظهر تشبيهاً بالسكة التي قد انمحت طغراؤها وكتابتها بالاحتكاك والاستعمال ومثلها الرقم والتماثيل التي اندرس ما عليها من الكتابات والنقوش البارزة من تقادم العهد (راجع معجم لاروس الكبير) يقابل ذلك المنطلس بالعربية جاء في التاج · طلس الكتاب محاه ليفسد خطه فاذا انعم محوه وصيره من الفضول المستغني عنها وصيره طرساً فقد طرسه (بالراء) والطلس بالكسر الصحيفة كالطرس لغة فيه او الممحوة لم ينعم محوها وبه فرق الأزدي بينهما والطلامة مشددة خرقة يمسح بها اللوح ·

ناشئة — هي أحسن كلمة تترجم بها الـ Néoplasme ·

نخب — العض والقرص يقال نخبت النملة تنخب عضت قال ابن سيدة نخبة .

النملة والقملة عضتها وفي النهاية النخب خوق الجلد (تاج) وقال عن الخوق محركة الجرب وقيل هو مثل الجرب فيمكننا تشبيه حطاط الـ Strophulus بأثر عضة النملة والقملة وتسمية هذا المرض بالنخب ·

نخرة — النخرة والـ necrose من اصل واحد لفظاً ومعنى فاما ان يكون اللاتين اخذوها عن العرب او اخذها العرب عن اللاتين ·

نسج خاص — سمي عليّ بن عباس المجوسي في كتابه كامل الصناعة (١ — ٣٥٩) الـ Parenchyme جوهر العضو وسماها ابن سينا (ق ٢ — ٣٥٣) الجوهر الخاص ورجحت تسميتها بالنسيج الخاص ·

نشر — Porrigs لها معنيان باللاتينية احدهما النشر والبسط والثاني الجرب وكذلك النشر بالعربية هي البسط وهو الجرب أيضاً كذا في التاج فيظهر ان ليس هنا مجرد مصادفة بل الواحد مترجم عن الآخر في زمان قديم لا نعلمه ثم سميت Porrigs الامراض الجلدية المعروفة الآن بهذا الاسم فنسميها نحن ايضاً نشراً مجاراة ·

وَحْصى — Vorus اسم لنوع من امراض الجلد كالعدة وداء الذقن وغيرهما استعمله Albet يقرب من هذا اللفظ الوحصى بالعربية فهما متناظران لفظاً ومعنى وقد جاء في التاج الوحصى البثرة تخرج في وجه الجارية المليحة فاذا حذفنا من هذه الكلمة كلمتي الجارية المليحة لان هذه الأمراض لا تختص بالجواري ولا بالمليحات منهن بقي عندنا ان الوحصى بثور تخرج في الوجه وهذا ما اراده البير بكلمة وارس ·

وذم — محركة الفصل والزيادة والثؤلول ولحمات الزوائد تكون في رحم الناقة أمثال الثآليل (تاج) يفهم من هذا انه اراد الـ Polype وقد سماه ابن سينا بباسور الأنف اذا لم يكن له ارجل والأربيان اذا كان له ارجل (ق ٢ — ١٧٢) تشبيهاً بالحيوان البحري كثير الأرجل المسمى بجراء البحر ايضاً وبالفرنسية crevette أما أنا فأرجح الوذم ·

هرص — لا أشك في كون الهرص والـ herpés من أصل واحد ·

هلاس — مهلوس جمع مهلوسون tabétique ·

اكتفي بهذا القدر خوف الاطالة وجلب السآمة وأقول ربما رأى بعض الاخوان ان بين الألفاظ في هذا المعجم الفاظاً غير مأنوسة : وجوابي على ذلك ان الاستعمال كفيل بجعلها مأنوسة ·

اهداء الكتاب

وقد أهديت كتابي هذا الى روح «حنين بن اسحق العبادي» اكبر مترجم وواضع المصطلحات الطبية والعلمية باللغة العربية رحمه الله رحمة واسعة ·

وأخيراً أذكر اني مستعد للاتفاق مع من يشاء من الأفراد او الجماعات على طبع ونشر هذا المعجم لأجل اطلاع جمهور الأطباء عليه عسى ان يكون في نشره فائدة ·

(الموصل) الدكتور داود الجلبي

شرح ديوان المتنبي لابن عَدلان

لا للعُكبَرِي

لم يُرزق ديوان شاعر من شُعراء العرب من الشروح ما رُزقهُ ديوان أبي الطيب المتنبي لأنه كان شاعر الناس لا شاعر نفسه، وكان ينظم على حسب الأهواء البشرية والطبائع الانسانية فالجادُّ والهازل والمادح والهاجي والحكيم والمستهزيء والحماسيّ والخياليّ والثائر والزاهد وغير هؤلاء من أطوار الناس يجدون طلبتهم في شعره المتين الرصين المكتنز من المعاني والمضامين المكتظّ بها أشد الاكتظاظ . قال الثعالبي في نعت شعره «وقد ألفت الكتب في تفسيره وحلّ مشكله وعويصه وكثرت الدفاتر على ذكر جيده ورديئه[1] » . وقال شمس الدين ابن خلكان «واعتنى العلماء بديوانه فشرحوه وقال لي أحد المشايخ الذين أخذت عنهم : وقفتُ له على أكثر من أربعين شرحاً ما بين مطوّلات ومختصرات ولم يُفعل هذا بديوان غيره ولا شك أنه كان رجلاً مسعوداً ورزق في شعره السعادة التامة[2] » .

وقد ذكر له الحاجي خليفة من الشروح شرح[3] «أبي طالب سعد بن محمد الأزدي المعروف بالوحيد» المتوفى سنة (٣٨٥) ه وشرحين لأبي الفتح عثمان بن جِنّي المتوفى سنة (٣٩٢) وشرحاً لكمال الدين محمد بن آدم أبي المظفر الهروي المتوفى سنة (٤١٤) وشرحاً لمشكل أبياته ألفه أبو الحسن علي بن اسماعيل النحويّ المعروف بابن سِيَده المتوفى سنة (٤٢٨) وشرحاً لأبي عبد الله محمد بن علي بن ابراهيم الهراس الخوارزمي المتوفى سنة (٤٢٥) ولأبي العلاء المعريّ وقد توفي (٤٤٧) ولأبي الفتح

(١) يتيمة الدهر « ج ١ ص ٩١ » من طبعة الصاوي ١٩٣٤ م — ١٣٥٢ ه

(٢) وفيات الأعيان «ج ١ ص ٣٨» من طبعة العجم (٣) ذكر اسماعيل باشا البغدادي له ثلاثة شروح لأبي عبد الله اللخمي ولابن عصفور ولابن القويم « ذيل كشف الظنون ص ٥٢٧ طبعة وكالة المعارف التركية » .

محمد بن احمد المعروف بابن فورجة وكان حياً في سنة (٤٣٧) ولأبي القاسم ابراهيم بن محمد المعروف بالافليلي النحوي المتوفى سنة (٤٤١) ولعبد الله بن احمد الشاماتي المتوفى سنة (٤٧٥) ولأبي الحسن علي بن احمد الواحدي المتوفى سنة (٤٦٨) ولأبي زكريا المعروف بالخطيب التبريزي المتوفى سنة (٥٠٢) ولأبي محمد عبد الله ابن محمد المعروف بابن السيد البطليوسي المتوفى سنة (٥٢١) ولعبد القاهر بن عبد الله الحلبي المعروف بالوأواء المتوفى سنة (٥٥١) ولأبي البركات مبارك بن أبي الفتوح احمد المعروف بابن المستوفي الاربلي المتوفى سنة (٦٣٧) .

فهذه خمسة عشر شرحاً ذكرها مؤلف كشف الظنون في كشفه ، ولم يصل علمه الى الشروح الأخرى وقد ذكرنا ثلاثة منها في حاشية سابقة ، وبقية الشروح تحتاج الى استقراء عام لتراجم الأدباء فلعل العدد يتجاوز الأربعين .

وفي سنة ١٢٦١ هـ (١٨٤٥ م) اخرج بارعلي البادرناوي بكلكتة من الهند شرحاً لديوان المتنبي موسوماً بالتبيان منسوباً الى أبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري المتوفى ببغداد سنة ٦١٦ هـ ثم أعيد طبعه ببولاق سنة ١٢٨٧ بذلك الاسم ، إلا أنّ مؤلف كشف الظنون لم يذكر لأبي البقاء العكبري شرحاً لديوان المتنبي وانما ذكر له تأليفاً في اعراب الديوان قال « وأبو البقاء عبد الله ابن الحسين العكبري الحنبلي النحوي ، المتوفى سنة ٦١٦ ست عشرة وستمائة ، ألّف في اعرابه كتاباً » . وكان ذكر أنّ « التبيان » إنما هو في اعراب القرآن ليس غيره .

إنّ سكوت الحاجي خليفة عن نسبة شرح لديوان المتنبي لا ينفيه نفياً باتاً ولا ضعيفاً فان ابن الدبيثي محمد بن سعيد الواسطي المؤرخ المقرئ المحدث أرّخ أبا البقاء العكبري وكان معاصراً له ، وقال[1] « تفقّه على مذهب الإمام أبي عبد الله احمد ابن حنبل — رحمه الله . . — . . . وأخذ النحو . . . وسمع الحديث . . . وكان جمّاعة لفنون من العلم والنحو واللغة العربية ، وشرح المقامات الحريرية وشعر

(١) أصول التاريخ والأدب « مج ٢٠ ص ٢١٣ » نقلاً من تاريخ بغداد لابن الدبيثي المذكور

ابي الطيب المتنبي وغير ذلك ، سمعنا منه ونعم الشيخ كان » . وقال ابن خلكان في ترجمته من الوفيات « وشرح كتاب الايضاح لأبي علي الفارسي وديوان المتنبي وله كتاب اعراب القرآن الكريم[1] ... » . وذكر شمس الدين الذهبي تصانيفه نقلاً عن ابن النجار في تاريخه وهي « تفسير القرآن ، إعراب القرآن ، إعراب الشواذ ، متشابه القرآن ، عدد الآي ، المرام في المذهب ، ثلاثة مصنفات في الفرائض شرح الفصيح ، شرح الحماسة ، شرح المقامات ، شرح خطب ابن نباتة » . وقال : « ثم ذكر ابن النجار تصانيف كثيرة تركتها اختصاراً[2] » . وقد سرد الصفدي تآليف العكبري فعدّ بينها « شرح شعر المتنبي[3] » ، وذكر السيوطي في البغية كثيراً من مؤلفاته إلا أنه لم يذكر شرح ديوان المتنبي بل قال « وأشياء كثيرة » وذكره ابن العماد في الشذرات . وكيفما كان الأمر فإن من السهل أن يلتبس كتاب « اعراب شعر المتنبي » و « شرح شعر المتنبي » لأن الاعراب ربما يتناول المعنى والشرح ربما يتناول الاعراب ، ولكن من قرأ من القدماء في شرح العكبري ومن نقل عنه ؟ وهل اختلق طابع هذا الشرح النسبة اختلاقا لترويج سوقه ؟ فان الأدلة ناطقة بأنه لغير ابي البقاء العكبري .

لا نظن أنّ ذا دين متين يفعل ذلك فضلاً عن المأمون في العلم والثقافة ، ويجب علينا البحث عمن نقل من هذا الديوان ، فلعل نسبته الى العكبري كانت قديمة وان عدّت سقيمة ، وقد بحثنا فوجدنا أنّ السيد علي خان المعروف بابن معصوم مؤلف سلافة العصر يقول في « باب التكرار » من كتابه الموسوم بأنوار الربيع في علم البديع بعد ايراده قول المتنبي :

العارض الهتن ابن العارض الهتن ابـ (م) ـن العارض الهتن ابن العارض الهتن

ما هذا نصه « قال العكبري في شرحه : سمعتُ شيخي أبا الفتح يقول إنْ كان هذا من العي لحديث رسول الله ﷺ أصله ، فقد قال — ع — : الكريم ابن

(١) الوفيات « ج ١ ص ٢٨٨ » من طبعة العجم (٢) أصول التاريخ والأدب « مج ٢٦ ص ٢٦١ » (٣) نكت الهميان « ص ١٧٨ — ١٨٠ »

الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم [١] » .
وهذا القول نفسه وارد في الشرح المعروف بشرح العكبري إلا أنَّ ابن معصوم تصرَّف به بعض التصرُّف فأخر لفظة « يوسف » وحذف اسم الشيخ وهو « نصرالله ابن محمد الوزير المعروف بابن الأثير الجزري [٢] » . وقد توفي ابن معصوم بشيراز سنة (١١٢٠) ه وكان قد سافر الى الهند وأقام بها في كنف والده وبها تخرج على عدَّة من جهابذة الأدب ، فالظاهر أنه نقل من نسخه الشرح المنسوب الى العكبريّ وبقيت بعد ذلك حتى طُبعت في سنة ١٢٦١ ه في الهند نفسها أو أنه جاء بالنسخة الى الهند وحفظت هناك ثم أُخرجت الى الناس مطبوعة في التاريخ المذكور . وأيًا ما تكن الحال فانا لا نظن أن الذي نسب الشرح الى العكبريّ كان من الهنود لأنَّ في دار الكتب الوطنية بباريس نسخة من هذا الشرح رقمها « ٣١٠٥ » من العربيات وهي غفل من اسم المؤلف أعني شارح الديوان ، وعلى هذا تكون النسخة الهندية في الأصل كهذه النسخة ولكن بائعها أو أو مهديها أحب ان يجعل لها مؤلفاً ، فاختار لها عالماً كبيراً شهيراً هو ابو البقاء العكبري لأنه رأى في ترجمته أنه شرح شعر المتنبي .

كيف نُسب الشرح الى العكبري ؟

إن فريقًا من المؤلفين على اختلاف تآليفهم كانوا يقصرون في اثبات أسمائهم في مؤلفاتهم ، كأنهم كانوا يجهلون أنَّ في التأليف حظوظاً وقسماً كسائر شؤون الدنيا ، فكانوا يكتفون بالاعتماد على تلامذتهم في حفظ اسمائهم واثباتها في تلك التآليف أو يذكرونها في اول الكتاب أو في أثنائه فإن ذهب أول الكتاب من كتبهم جُهل اسم مؤلفه ، وهذا الذهاب يكون أحياناً على يد منافس لهم او مبغض اياهم ، وكانوا جديرين ان يذهبوا في ذلك مذهب المسعوديّ عالم القرن الرابع الأوحد ، ومؤرخه الفذّ في التحقيق ، فانه كرّر اسمه في تآليفه على ما يرى

(١) أنوار الربيع « ص ٣٠٧ » (٢) شرح ديوان المتنبي « ج ٢ ص ٤٢١ » بالمطبعة الشرقية سنة ١٣٠٨

الرأي في مروج الذهب والتنبيه والاشراف حتى ليستطيع الواجد كراسة منها ان يعرف انها من تأليفه باشارته الى اسمه في مواضع كثيرة ، أجل إن أولئك الفريق كأنهم ساعدوا الغِيَر أو العدوّ على اضاعة اسمائهم فأورثوا من بعدهم علماً يتيماً ، وتراثاً نهباً لعلهم كانوا — رحمهم الله — فيه من الزاهدين .

ومن تلك التآليف المضاعة أسماء مؤلفيها هذا الشرح العظيم الجسيم الذي ذكرنا قبل هذا ان احد العلماء نسبه الى ابي البقاء العكبري بعد ان وجده غفلاً ، ومما يحتمل أيضاً في هذا الأمر أنه وجد اسم المؤلف ناصلاً نقسهُ بالية حروفه أو مأروضة أرضه ، إلا ان وجود النسخة الباريسية غفلاً من اسم المؤلف يدل على ان الورقة الأولى من شرح الديوان قد سقطت أو قطعت وان الشارح لم يقل في أوله « قال فلان » يعني نفسه ، كما هو عادة كثير من المؤلفين المنصفين لأنفسهم لأن من ألف فقد استهدف .

ولقد كنتُ أشرتُ الى أن هذا الشرح لم يكن من تأليف أبي البقاء العكبري في مجلة الثقافة المصرية [1] ، وذهبت بي الظنون المذاهب في معرفة المؤلف ، فاتخذت لمعرفته أسلوباً يتبادر الى الذهن الأخذ به قبل غيره وهو حسبان أن الاسم مصحف من « أبي عبد الله الحسين الاربلي » فهذا الاسم قريب من « عبد الله ابن الحسين العكبري » عند التصحيف أو التصحف ، والسبب في اختياري اياه أنه كان معنياً بديوان المتنبي ، وكان من كبار أدباء الشام ، روى له قاضي القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة الكناني « ٦٩٤ — ٧٦٧ » هـ بواسطة ، عدّة أبيات أنشدها من نظمه بجامع دمشق وهي :

يقولون قد أوتيتَ علماً فبثَّه ... على مستحقيه تثابُ وتؤجرُ
فقلت صدقتم لو أصبتُ ولم أصبْ ... مع الجهل إلا مَنْ يفاد فيكفرُ
فضنّي بعلمي عذرُه ما سمعتم ... فان شئتم لوموا وان شئتمُ اعذروا

(١) ج ١٧ ص ٤٩ وما بعدها .

ثم قال عز الدين الكناني « هو أبو عبد الله حسين بن ابراهيم بن الحسن بن يوسف الهذباني وقيل الكوراني الاربلي ، نزيل دمشق الصوفي ، سمع الحديث من أبي طاهر الخشوعي ؛ روى عنه الحافظ شرف الدين الدمياطي وغيره ، وكان أديبًا فاضلاً عالماً بالمقامات والحماسة وخطب ابن نباتة و [ديوان] المتنبي ، مولده سابع عشر ربيع الأول سنة ثمان وستين وخمسمائة . وتوفي يوم الجمعة ثالث ذي القعدة سنة ست وخمسين وستمائة بدمشق ودُفن من الغد — رحمه الله —[1] » .

وترجمه السيوطي بأبسط من هذا قال « قال ابن رافع في تاريخ بغداد : كان أديبًا فاضلاً بارعًا مشهوراً بالفضل والرواية حسَن السمت عارفاً بكلام العرب ، صاحب مُفاكهة وأخبار ومحاضرة ومعرفة جيدة باللغة ، سمع من الخشوعي وأبي اليمن الكندي وجماعة . وقال الذهبي : عُني عنايةً وافرةً بالأدب وحفظ ديوان المتنبي وخطب ابن نباتة والمقامات ، وكان يعرف هذه الكتب ويحل مشكلها ، تخرج به جماعة من الفضلاء ، وكان ديناً ثقةً جليلاً ، روى عنه الشرف الفزاري واخوه والدمياطي ، مولده في يوم الاثنين سابع عشر ربيع الأول سنة ثمان وستين وخمسمائة . وتوفي يوم الجمعة ثاني ذوالقعدة وقيل ذي الحجة سنة ست وخمسين وستمائة بدمشق[2] » .

وذكره ابن تغري بردي في المنهل الصافي وقال إنه وُلد باربل . والاشارة الى مولده من الأمور المهمة ، إلا انه ذكر ان وفاته كانت سنة (٦٥٣) وهو وهم منه ، وكأنه أصلحه في النجوم الزاهرة فذكر الوفاة صحيحة[3] ، وقد وُجد سماع شرف الدين الاربلي لديوان المتنبي في نسخة « ه » من الطبعة الجامعة التي أخرجها الدكتور عبد الوهاب عزام ، ولكنه ورد بصورة « شرف الدين بن الحسين بن ابراهيم الاربلي »[4] . وله ترجمة قصيرة في شذرات الذهب هي تكرار لبعض ما ذكره المؤرخون[5] .

---

(١) أصول التاريخ والأدب من مجموعاتنا الخطية « مج ٥ ص ٧٨ — ٩ » نقلاً من تعليقة الشعراء والمنشدين الموسوم بنزهة الألباء لعز الدين عبد العزيز بن جماعة الكناني .

(٢) السيوطي في « بغية الوعاة ص ٢٣١ » (٣) ج ٧ ص ٦٨ (٤) ديوان أبي الطيب المتنبي المقدمة ص (ز) بمطبعة لجنة التأليف والترجمة بمصر سنة ١٣٦٣ ﻫ — ١٩٤٤ م

(٥) شذرات الذهب ج ٥ ص ٢٧٤ — .

نفي نسبة الشرح الى العكبري

كنا نفينا نسبة شرح الديوان المذكور الى العكبري نفياً مرسلاً ، فيه شبه دليل هو خلو النسخة الباريسية من اسم المؤلف ، على أنَّ كون نسخة منه غفلاً من اسمه لا يستلزم ان لا يكون في المخطوطات نسخة أخرى أو نسخ أخرى مكتوب عليهن اسم المؤلف ، فعدم اسم المؤلف لا يصح اتخاذه ذريعة الى نفي نسبته إلى العكبري ، ولذلك وجب علينا ان نذكر أدلة النفي مسلسلةً فنقول :

(١) قال الشارح في أول الديوان « اما بعد فاني لما اتقنتُ الديوان الذي انتشر ذكره في سائر البلدان على الشيخ الامام ابي الحرم مكي بن ريّان الماكسيني بالموصل سنة تسع وتسعين وخمسمائة وقرأته بالديار المصرية على الشيخ ابي محمد عبد المنعم بن صالح[1] التيمي النحوي ... » وابو الحرم مكي الماكسيني هذا الذي ذكره نحوي ضرير مشهور توفي بالموصل سنة « ٦٠٣ » وترجمته مثبتة في معجم الأدباء ووفيات الأعيان وتاريخ الاسلام ونكت الهميان وبغية الوعاة وغيرها من الكتب ولا سيما التي تذكر الوفيات على حسب السنين [2] ، وكان معاصراً لأبي البقاء العكبري ، ذاك في الموصل وهذا ببغداد ، ولم يكن شيخاً للعكبري في علم من العلوم ولا مسمعاً له .

والشيخ عبد المنعم بن صالح النحوي أديب مصري قال فيه الصفدي « عبد المنعم ابن صالح بن احمد بن محمد ابو محمد المصري المسكي النحوي المعروف بالاسكندراني ، كان علامة ديار مصر في النحو واكثر عن ابن بَرّي وروى ديوان ابن هانئ المغربي بسند غريب وتوفي سنة ثلاث وثلاثين وستمائة ، وصنف كتاب « تقويم البيان لتحرير الأوزان » في العروض ، وضعه على بقية تقويم السنة كتقويم الصحة وغيره وملكتُ منه نسخة وخطه عليها سنة ثلاث وثلاثين وستمائة ، وكتبه بالقاهرة ... » [3]

---

(١) في الطبعة الشرقية (صباح) وهو خطأ طبعي (٢) مثل كامل ابن الأثير والجامع المختصر وذيل الروضتين وتاريخ الاسلام . (٣) أصول التاريخ والأدب (مج٦ ص ٨٧) نقلاً من الوافي بالوفيات .

وذكره الامام العلامة زكي الدين المنذري شيخ ابن خلكان قال في وفيات سنة (٦٣٣) ما نصه « وفي ليلة الثالث والعشرين من شهر ربيع الآخر توفي الشيخ الأجل الفاضل ابو محمد عبد المنعم بن أبي البقاء صالح بن احمد بن محمد النحوي المعروف بالاسكندراني بمصر، ودفن من الغد بقرب ضريح الامام الشافعي — رضي الله عنه — قرأ الأدب على العلامة ابي محمد عبد الله بن بري النحوي وانقطع اليه وبه تخرج ثم توجه الى الاسكندرية وأقام بها مدة يقرئ العربية وسمع من ابي الثناء حماد بن هبة الله الحراني وحدث بشيء من شعره وغير ذلك وكتب الخط الجيد، سمعتُ منه وسألته عن مولده فقال : يوم الثلاثاء سادس عشر شعبان سنة خمس واربعين وخمسمائة بمصر . وكان يقول : نحن من بني تيم من ولد أبي بكر الصديق وابي من مسكة وأمي كنانية صعبية من عذراء . ومسكة هذه التي ذكرها قرية بالساحل قريبة من عسقلان [1] . . . » ، وترجمه السيوطي في بغية الوعاة وفي ترجمته فوائد أخرى [2] .

فيظهر مما ذكرنا من ترجمة ابي محمد عبد المنعم الاسكندراني أنه يدخل في باب الامكان التاريخي ان يكون تلميذاً لأبي البقاء العكبري لأنه ولد سنة « ٥٤٥ » وتوفي سنة « ٦٣٣ » والعكبري ولد سنة « ٥٣٨ » وتوفي سنة « ٦١٦ » فلا يجوز العكس ثم إنه — اعني الاسكندراني — لم يدخل العراق والعكبري لم يدخل مصر ، فكيف يكون شارح الديوان « ابا البقاء العكبري » وشيخه ابو محمد عبد المنعم الاسكندراني — اعني شيخ شارح الديوان — ؟ هذا من الأمور المستحيلة . ثم إننا سنورد من الأخبار ما يثبت أن الشارح كان تلميذاً لأبي البقاء .

(٢) والدليل الثاني أنا قد نقلنا فيما أسلفنا انّ شارح الديوان المنسوب خطأً الى العكبري قال في موضع من الشرح « فسمعتُ شيخي أبا الفتح نصر الله بن

(١) المرجع المذكور مج٢٧ص٣٩٥ نقلاً من «التكملة لوفيات النقلة» للزكي المنذري المذكور .
(٢) بغية الوعاة ص ٣١٥

محمد الوزير الجزري يقول : إن كان هذا عياً لحديث النبي ﷺ أصله ...[١]».

ومن الجلي ان شيخ الشارح هذا هو ابن الأثير الثالث مؤلف « المثل السائر » وغيره من التآليف الرائقة الفائقة وقد توفي سنة « ٦٣٧ » قال المنذري في وفيات تلك السنة « وفي احدى الجمادين توفي القاضي الأجل الفاضل ابوالفتح نصر الله بن محمد ابن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري المنعوت بالضياء المعروف بابن الأثير وله تصانيف مشهورة في النظم والنثر منها المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر وغير ذلك ومولده بجزيرة ابن عمر في العشرين من شعبان سنة ثمان وخمسين وخمسمائة[٢] ... » ، ولضياء الدين تراجم كثيرة واخبار وافرة ، فقد ذكره ابن خلكان وابن الفوطي ، وابن تغري بردي والسيوطي وغيرهم ، فكيف يكون شيخاً لأبي البقاء العكبري وقد وُلد بعد ولادة ابي البقاء بعشرين سنة ؟ وتوفي بعد وفاته بثلاث وعشرين سنة ؟ بلهَ أننا لم نرَ في سيرة العكبري اشارة الى انه اخذ عن احد ابناء الأثير الثلاثة ، فمن المحال إذن ان يكون مؤلف الشرح أبا البقاء العكبري .

(٣) والدليل الثالث قوله في شرح بيت المتنبي :

يدير الملك من مصر الى عَدَنٍ   إلى العراق فأرض الروم والنُوبِ

« والذي ذكره ابو الطيب لم يملكه وما تأمر فيه سوى الملك الكامل ابي المعالي محمد بن ابي بكر بن أيوب فانه ملك اليمن كله وملك مصر واعمالها والشام واعمالها وخُطب له بالموصل وهو أول اعمال العراق وكان أمره فيها ويدبرها وملك آمد وهي اول اعمال الروم[٣] » . وأسلوب الشارح في ذكره سعة ملك الملك الكامل يدل انه متأخر زمانُه عن زمانِه ، وكانت وفاة الملك سنة « ٦٣٥ » كما في التواريخ . على أنّ قوة الدليل الثالث هذا تتوجه على كون الملك الكامل ملك مدينة « آمد »

(١) شرح ديوان المتنبي المذكور ج ٢ ص ٤٢١ من الطبعة الشرفية . (٢) أصول التاريخ والأدب مج ٢٢ ص ٤١٠ نقلاً من التكملة لوفيات النقلة للمنذري المذكور .

(٣) شرح الديوان ج ١ ص ١٠٩

وكان احتلاله اياها سنة « ٦٣٠ » قال ابن تغري بردي في حوادث هذه السنة « فيها فتح الملك الكامل محمد صاحب الترجمة « آمد » وأخرج منها صاحبها الملك المسعود بن مودود بعد حصار طويل[1] ... » . فكيف يذكر العكبري حادثة وقعت بعد وفاته بأربع عشرة سنة ؟ هذا شيء لا يقبله العقل مطلقاً ، فالشارح إذن غير أبي البقاء العكبري .

(٤) والدليل الرابع من جنس الثالث فقد قال الشارح في شرح قول المتنبي « أنساعُها ممغوطة وخفافُها » ما هذا هو « قال الشيخ ابو محمد عبد المنعم بن صالح النحوي عند قراءتي عليه هذا الديوان ، ومُذ وصلت الى هذا البيت : سألني الملك الكامل ابو المعالي محمد بن ابي بكر بن ايوب ملك الديار المصرية والشام والحرمين عن هذا البيت[2] ... » ، وهذه حكاية عن أمر قديم بعض القدم بالاضافة الى الشارح ، فانّ الملك الكامل ولي الملك سنة « ٦١٥ » أي قبل وفاة ابي البقاء العكبري بعدّة اشهر ، وهذا لا يُوافق مضمون الحكاية التي حكاها الشارح فانه ذكره على كونه ملكاً من قبل الحكاية ، ولتاريخه بعض القدم ، وهذا يُحيل أن يكون العكبري الشارح .

(٥) والدليل الخامس هو انّ الشارح كان بصيراً ولم يكن ضريراً مُذ كان صغيراً كأبي البقاء العكبري ، فقد قال في الشرح « قال الشريف هبة الله بن علي بن محمد الشجري العلوي في الأمالي له ونقلته بخطي[3] ... » ومن المعلوم أنّ الضرير لا يقول « ونقلته بخطي » فالشارح غير العكبري بدلالة هذا الدليل .

(٦) والدليل السادس هو أنه يرد في الشرح ما يدل على ان الشارح دخل الموصل او كان من أهلها وانحدر الى بغداد ثم ارتحل الى الكوفة طالباً للعلم او مسافراً الى بلاد الشام او بلاد الحجاز ، قال في شرح قول المتنبي :

فان يكن المهدي مَن بانَ هديهُ فهذا وإلاّ فالهدى ذا فما المهدي ؟

(١) النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٣٧٩ (٢) شرح الديوان ج ١ ص ١٣

(٣) شرح الديوان ، نسخة باريس برقم ٣١٠٥ من العربيات ورقة ٣٣٢

ما نصه «وذهب قوم الى أنه معيّن وهو محمد بن الحسن العسكري وانه اختفى وهو صغير في سرداب دار ابيه بسُرَّ مَن رأى والدار الآن مشهد يُزار وقد زرته في انحداري من الموصل الى بغداد[1] ...» . وقال الشارح ايضاً في قول المتنبي :

وردنا الرُهيمة في جوزهِ وباقيه أكثر مما مضى

«الرهيمة موضع بقرب الكوفة ... وقال بعضهم : الرُهيمة قرية عند الكوفة وهو الصحيح لأني رأيت بالكوفة جماعةً ينسبون اليها ولكنها خربت في الأربعمائة[2] ...» . ومن المعلوم ايضاً أن ابا البقاء العكبري لم يكن من اهل الموصل ولا دخلها ولا دخل الكوفة ، فكيف يكون هو الشارح لهذا الديوان ؟

(٧) والدليل السابع على نفي كون الشرح هذا للعكبري هو أنَّ لمؤلفه كتابين في النحو لم يذكرا في كتب ابي البقاء العكبري ولا في كتب غيره وذلك مما يدل على أنَّ شارح الديوان كان محدوداً في ذكر التاريخ لتآليفه فلم يذكرها ، قال في الكلام على «كلا» ما هو نصه «وقد استوفينا هذا بأبسط[3] منه بكتابنا الموسوم بنزهة العين في اختلاف المذهبين[4]» وقال في الكلام على مسألة أخرى وأمر آخر «وقد بيّناه في كتابنا الموسوم بالروضة المزهرة»[5] .

هذه هي الأدلة التي استطعنا ان نقيمها على نفي ان يكون الشرح المعروف بشرح العكبري ، من تآليف العكبري ، وهي أدلة جمعناها في اثناء تصفحنا للشرح المذكور ، ولو كان لنا متسع من الوقت وقرأناه بالترتيب والتعقيب لزادت عندنا الادلة زيادة لا نعلم مقدارها .

يتبع : (بغداد) **مصطفى جواد**

---

(١) شرح الديوان ج١ ص ٢٧٩ من الطبعة الشرفية المذكورة . (٢) الشرح المذكور ج ١ ص ٢٨ (٣) يعني بأكثر بسطاً وشرحاً (٤) الشرح المذكور نسخة باريس المذكورة في الورقة ٦٩ (٥) النسخة الباريسية في الورقة ٣٦٩، ولم يذكر هذا الكتاب في كشف الظنون ولا في ذيله ، ثم ان الأول لم يذكر فيه أيضاً ، فهذا الشارح لم يكن سعيداً في مؤلفاته .

كنز من كنوز الجاحظ

أربع رسائل من رسائله

– ٣ –

تتمة ما كتب عن الرسالة الأولى

قلنا في آخر المقال السابق إنه لم يبق من الكلام على الرسالة الأولى وهي رسالة (المعاد والمعاش) الا الأبحاث اللفظية وما يتخللها من الفوائد اللغوية : من ذلك ألفاظ فصيحة وتعابير طريفة وقعت في تلك الرسالة يحسن اقتباسها والعمل على إحيائها :

قوله (ص ٢) (حُمَيّا الشِّرَّه) و (حُمَيّا الحداثة) وهذا كما تقول سكر الشباب . وحُميّا كلِّ شيء سورته ونشاطه وحِدّته .

وقوله (نسيجَ وحدك ، أو حدِيّاً في عصرك) . التعبير الأول مألوف معروف . أما قوله : أوحديًا في عصرك فهو بمنزلة قولنا اليوم (فريد عصرك ونادرة زمانك) .

ومن ألطف تعابيره قوله يمدح (ابا الوليد) من حيث جعل عقله يتغلّب على هواه فقال : (حكّمت وكيل الله عندك — وهو عقلك — على هواك) والحسن فيه أنه جعل العقل وكيلاً عن الخالق عز وجل أقامه في البشر يطالبهم بالكفّ عن الشرّ والاقبال على الخير . ومثل هذا التعبير في الحسن تسمية القاضي الفاضل الحمام الزّاجل بـ (ملائكة الملوك) فهي تهبط عليهم من وقت الى آخر بأخبار الأرض كما تهبط الملائكة على الأنبياء بأخبار السماء . على أن تعبير الجاحظ ربما كان أمثلَ وأفضل من الوجهة الدينية . وإن كان التعبيران سواسية من حيث حُسن الصناعة اللفظية .

قوله ص ٤ هذا الشيء لا يكاد يخفى على الغُباة (فكيف يخفى على مثلي من المتصفحين) : تصفح الشيء تأمل فيه . وتصفح الوجوه تأمل فيها متفرّساً ليتعرّف أمرها . ويستوضح سرّها . وقد أطلق الجاحظ الوصف بـ (المتصفحين) على

العلماء مريداً ما نريده اليوم بقولنا العلماء المدققين ، والعلماء المحققين ويحسن أن نستعمل (المتصفحين) في وصف علماء الآثار والتاريخ وطبائع البشر استرشاداً بقول الجاحظ نفسه في ص ٦ فقد أعاد استعمال (التصفح) قائلاً (ومعلوم أن طول دراسة الكتب والنظر فيها إنما هو تصفح عقول العالمين الخ) وهل يكون المؤرخ والاخباري والاجتماعي والعالم بالآثار الا متصفحاً لعقول البشر ، متأملاً في طبائع الأمم . ولفظ (معلوم) نستعمله اليوم بكثرة حتى أصبحنا نعده من التعابير اللينة التي يحسن اجتنابها . ومثله قولنا (لا يخفى عليك) و (لا يخفى أن الأمر كذا وكذا) .

ويستعمل الجاحظ في كلامه كثيراً فعل (الاجترار) فيقول (إن الله تعالى طبع خلقه على حب اجترار المنافع) ونحن نقول اجتلاب المنافع ، واكتساب المنافع . وابلغ منهما أن يقال : احتجان المنافع .

ويستعمل ايضاً وصف (مدخول القلب) في من يضمر السوء والحقد لآخر : من (الدَخَل) وهو الخديعة والمكر (لا تتخذوا أيمانكم دَخلاً بينكم) .

وقوله ص ١٨ (أمرٌ لا بد منه ولا مزحل عنه) اي لا محيد عنه ولا منتدح عنه . ولا متسع للفرار والخلاص منه : يقال زَحلَ عن مكانه اذا تنحى عنه وتباعد قال الشاعر :

(ومقامٍ ضيق فرّجته بلسانٍ وبيان وجدل)
(لو يقوم الفيل أو فيّاله زلّ عن مثل مقامي وزَحل)

وصُحّف في بعض الكتب (زحل) الى (رحل) بالراء المهملة والأول أصوب .

وفي ص ٢٦ يذكر أن للسلامة في هذه الحياة الدنيا قوانين تجب مراعاتها ولا عبرة بسلامةٍ تأتي بعد مغامرة أو على سبيل الاتفاق . ثم قال (وما كثر مجيء السلامات إلا لمن أتى الأمور من وجوهها وانما الأشياء بعوامها) قوله (عوامها) جمع عامة اي الحالة العامة الغالبة . فالجاحظ يقول ان العبرة في الأشياء بما وقع منها في أعمّ أحوالها . وعبّر عن ذلك بقوله (الأشياء بعوامها) وهذا

مثل ما تقول اليوم (العبرة بالأعم الأغلب) ثم قال بعد ذلك (فلا تكونن لشيء مما في يدك أشد ضناً . ولا عليه أشد حدَباً) . حدَب عليه تعطف عليه . وفلان حَدِبٌ على ذوي قرابته (بكسر الدال) أي شديد العطف عليهم . وقد كثر استعمال فعل (الحدَب) بين كتاب العصر حتى كأنهم استوحوه من استعمال الجاحظ له .

***

وقد وقع في رسالة (المَعاد والمعاش) أغلاط هفا بها قلم الناسخ أو سها عنها ذهن الطابع من ذلك :

قوله ص ٣ (أخرجك (أي عقلك) سليمَ الدين . وافر المروءة . نقيَّ العرض . كثير البرّ . آمن الجدَة) (الجدَة) سعة الرزق ويقال أَمِنَ الأسدَ إذا سلم منه : فكيف تكون سعة الرزق آمنة . ومن أيّ شيء تخاف حتى تأمن ؟ . فلعل الصواب (أمين النجدة) اي جعلك عقلك مأموناً موثوقاً في نفوس المستنجدين بك . فلا تخذلهم ولا تتخلى عن نصرتهم . وإذ ذاك تتناسب فقرة «أمين النجدة» والفقر التي تقدمتها . أو يقال إن معنى «آمن الجدة» أنَّ رزقك آمنٌ من الزوال ، ونعمتك من النقصان : لشكرك الله عليها . مذ وفقك الى إنفاقها في عمل البر واسداء الجميل . واصطناع المعروف .

وقوله ص ٣ ، فلما محضتك الخبرة ، محضه الودّ أخلصه . وصدَق فيه . والخبرة الاختبار . ولعل صوابه أن يكون أحد فعلين إما (مخضتك) بالخاء والضاد المعجمتين من مخض اللبن استخرج زبده . أي إن الاختبار أعثرنا على ما فيك من الكفاية والنجدة والنبل وسائر خصال الخير - وإما ان يكون (محصتك) اي بالحاء والصاد المهملتين : من تمحيص الذهب وهو تخليصه من الشوائب . وكذلك الاختبار فانه يُزيل عن الممدوح ما يُظنُّ أنه فيه من الشوائب والنقائص .

قوله ص ٧ يعيب الكتاب الذين يذكرون الأشياء والوقائع من دون أن

يعللوها او يبينوا أسبابها : (فهم لم يعدوا في ذلك منزلة الضنّ بها) : (يعدوا) أي يتخطوا ويتجاوزوا . والضنّ (بالضاد) بمعنى البخل . ولعل صوابه (الظنّ) بالظاء المعجمة . اي ان هؤلاء الكتاب في سردهم الوقائع من دون أن يذكروا تعليلاً لها إنما هم يظنونها ظناً . ولا يعلمونها يقيناً . ولا معنى لقولنا (انما هم يبخلون بها) . أو يأول بأن الكتاب الذين لا يعللون الأشياء انما هم يحرصون على تدوينها بخلاً بها عن الضياع . أو انهم يبخلون بها على غيرهم لئلا يفهمها . ويستفيد منها . وكله تكلف ما عدا الذي قلناه أولاً .

قوله ص ٧ (فألفت لك كتابي هذا اليك) (لك) اي لأجلك فلا حاجة لقوله (اليك) . اذ ليس المراد بالكتاب الألوكة والرسالة التي يقال فيها بعثت بكتابي أو رسالتي أو ألوكتي إليك .

وقوله : حتى تستمال بذلك قلوب الناس (وتؤنس بعد الوحشة وتسكن بعد النفار) صوابه (وتأنس) .

قوله ص ٨ في وصف كتابه الذي ألفه لأبي الوليد وقد بين فيه العلل وكشف عن الأسباب . وقد أطال في وصف ما توخاه فيه من الإجادة والإحكام ثم قال : فإن أحسنتُ في ذلك (كان عمرك — وان قصُرَتْ أيامه — طويلاً . وفارقتَ ما لا بد لك من فراقه محموداً إن شاء الله) لعل صوابه : كان عمري أنا وفارقتُ ما لا بدّ لي من فراقه أنا : على معنى أن الناس بعد موت الجاحظ يذكرونه ويثنون عليه . فهو طويل العمر بالذكر والثناء . وان كان قصيره بالأيام والسنين ثم إذا فارق الناس بالموت فارقهم محموداً مثنياً عليه بما اصطنعه من الابداع في ذلك الكتاب . اما اذا كان الأصل هو الصواب وان الجاحظ يخاطب أبا الوليد بقوله : (وان قصُرَتْ أيام عمرك) فيكون قد أراد بمضمون كلامه ما أراده الشاعر بقوله :

(ومن دَرَى أخبار من قبله   أضاف أعماراً الى عمره)

ولكن هل يحسن ان يفجأ الجاحظ (ابا الوليد) بمثل هذا الخطاب الذي يذكره بقصر ايام عمره . واين هو من بداعة الاستدراك في قول القائل :

(إن الثمانين وبلغتها   قد أحوجت سمعي الى ترجمان)

وقوله في ص ١٠ (ولم تتلقنه بقوة) ضمير تتلقنه يرجع الى الغنى . والتلقين إنما يستعمل في الألفاظ والأقوال . والغنى وبسطة العيش ليسا مما يلقن تلقيناً . فصوابه (ولم تتلقه) من التلقي . أو الأصوب (ولم تبلغه) من البلوغ .

وقوله في ص ١٣ يجب أن يأخذ الوالي رعيته بالرغبة أو الرهبة ولا يحسبن أن احداً من دون رهبة أو رغبة (يصلح له ضميره أو يصح له) الأولى في هذا المقام ان تكون (ينصح له) مكان (يصح له) الا اذا كان تعبير (صح فلان لفلان) بمعنى أخلص له — معهوداً في زمنهم .

وقوله ص ١٧ (التواني يوجب التضييع . والجد يوجب رخاء الأعمال) (الرخاء) في اللغة سعة العيش . ولا معنى له هنا . فلعل صوابه (وفاء الأعمال) اي تمامها واكتمالها . يقال : وفى الدرهم والكيل وريش جناح الطائر — كل ذلك إذا بلغ حده من الكمال والتمام .

قوله ص ٣١ يصف الخصال التي يحسن بالمرء ان يستظهر بها على عدوه (وأشرفها أن تأخذ عليه بالفضل وتبتدئه بالحسنى) فقوله تأخذ عليه بالفضل تعبير غير معهود فلعل (عليه) محرف من (علته) اي سوء حالته المعاشية . أو هو محرف من (عيلته) بمعنى فقره وخصاصته . وفعل (الأخذ) هنا بمعنى المعاملة : ألا تسمعهم يقولون : أخذه باللين والرفق . وأخذه بالشدة والعنف . ويكون معنى الجملة هنا أن تعامل فقر عدوك وخصاصته ورقة حاله بفضلك وإحسانك . وقد تفنن الجاحظ في وصف طرائق الاستظهار على العدو وختمها بقوله (ولست مستظهراً على عدوك بمثل طهارتك من الأدناس وبراءتك من المعايب) وما قاله الجاحظ نظمه الشاعر بقوله :

(إذا ما رمت إرغام الأعادي   بلا سيف يسل ولا سنان)

(فزد في مكرماتك فهي أعدى   على الأعداء من نوب الزمان)

قوله ص ٢٢ يصف الانتفاع بالأصحاب والأعوان وانهم اجناس : لا يصلح أحدهم لما يصلح له الآخر من الخدم · وسدّ الثلم · والقيام بالمهات قال : وقد قيل في الحكمة : (إن الخلال تنفع حيث لا ينفع السيف) ظن الناسخ أو الطابع (ان الخلال) جمع خلة بمعنى الخصلة فقال (تنفع) بتاء المضارعة وصوابه (ينفع) بالياء لرجوع ضميره الى (الخلال) وهو لفظ مفرد بمعنى العود الذي يُتخلَّل به الأسنان من بقايا الطعام : فللسيف الصقيل موضع · ولهذا العود الضئيل موضع · لا يصلح أحدهما أن يقوم فيه · مقام أخيه · على أن إرادة (الخلال) بمعنى الخصال ممكنة على حدّ ما ورد في الاثر (يُنال باللطف ما لا ينال بالعنف) غير أن المعنى الأول أبلغ وأقوم ·

قوله في ص ٢٧ (فان اعتقاده (أي اعتقاد الصديق الوفي) أنفسُ العقدة) ومعنى اعتقاده اقتناؤه واتخاذُه عقدةً اي قنية : فالعقدة والقنية ما يُقتنى من الضياع والعقارات · وجمع العقدة عُقَدْ فقوله (أنفس العقدة) صوابه (أنفس العقد) ·

قوله في ص ٢٨ يذكر أن اللئيم إذا اساء اليه من تحته من الضعفاء غضب واستطال · وان أساء اليه من فوقه من الأقوياء (أغضى وسمّى ذلك حُزناً) صوابه (حَزْماً) بالميم ·

قوله في ص ٣٠ ينصح للمرء ان لا يكثر من معاتبة صديقه ثم قال (عاتبه في ما تشتركان في نفعه وضرّه · وذلك في الهنات) (الهنات) جمع هَنة ويكنى بها عن توافه الأمور ومحقراتها · ولا أظن الجاحظ يعني هذا بدليل قوله بعد (وتجافَ للصديق عن بعض غفلاته) فكيف يأمره بمعاتبته في توافه الأمور ثم يأمره بمسامحته في بعض غفلاته · فالهنات محرّفة عن (المهات) أي انما تصلح معاتبتك لصديقك في المهات التي تشتركان في نفعها وضرها ·

وقوله يوصي بأن لا يتذلّل المرء لصديق له رفعته الدنيا الى المناصب ولا يرجحه (على نظرائه في الحفظ والإكرام) لعل صواب (الحفظ) (الحفد) وهو الإسراع في الخدمة ومنه الحفيد : أي عامل صديقك بعد وزارته كما كنتَ تعامله قبلها ·

وقوله ص ٣٢ (فلا تستقبلها بالتضجع وتفبين الرأي) أي لا تستقبل الشدائد إذا نزلت بك بالتضجع : وهو القعود عنها والاستسلام لها ، والتقصير في تداركها ، وقوله (تفبين الرأي) لا معنى له وصوابه (تفييل الرأي) وهو ضعفه وعجزه ومنه قولهم فلان فائل الرأي .

وقوله ص ٨٤ يوصي أن لا يجعل المرء أمواله كلها في عقار واحد ولا في حيز واحد (وقد قال بعض الحكماء فرقوا المنية واطلبوا الأرباح بكل شعب) قوله (المنية) خطأ صوابه القنية .

وقال بعد ذلك في أن من سياسة الرعية العفو عنهم أحياناً ثم قال في تحديد معنى العفو (والعفو ما بلغ به الاستصلاح واكتفي به من البسط) يريد أن حد العفو هو القدر الذي يستصلح به العاصي ويستغني به عن عقوبته . فكلمة (البسط) محرفة عن كلمة أخرى بمعنى العقوبة . أو أنه اطلق لفظ (البسط) مريداً به بسط اليد بالعقوبة . يقول العرب (بسط الوالي يده على فلان) و (بسط الوالي العذاب على بني فلان) فالبسط يفهم منه معنى الايقاع والتنكيل والعقوبة . وللبسط معنى مولد ينتهي إلى معنى العقوبة . فإذا قال الوالي لأعوانه : ابسطوا فلاناً المجرم كان معناه ابسطوا له بساطاً ألقوه عليه واجلدوه . أو ابسطوه هو نفسه على الأرض واجلدوه . و (البسط) بهذا المعنى مستعمل في اللغة العراقية الدارجة اليوم وكأن العراقيين استوحوها من استعمال أديبهم الجاحظ لها . والكلام على الرسالة الثانية من رسائل الجاحظ يأتي في العدد الآتي .

المغربي

آل بكتكين ـ مظفر الدين كوكبري

أو

امارة اربل في عهدهم

(٥٢٢ هـ ـ ٦٣٠ هـ)

ـ ٣ ـ

حادث الانفصال من الأيوبيين

تقلبت السياسة كثيراً بأمراء هذه الأسرة، وتابعت الأوضاع التي تستدعي هذا التحول، فلم تبق خالصة للأيوبيين كما كانت حالتها مع الأتابكة، فرغبت عنهم وخلصت للدولة العباسية في المحرم سنة ٦٢٨ هـ .

قال في مرآة الزمان: «بعد موت صلاح الدين ما زال – مظفر الدين كوكبري – منتمياً الى بيت العادل، مصافياً لهم حتى مال الأشرف[1] الى بدر الدين لؤلؤ، وعزم على اخذ اربل منه، فاستنجد عليه بالخليفة المستنصر، فنهاه عنه، فانتمى اليه، فقدم بغداد ومعه مفاتيح اربل والقلاع، فالتقاه الموكب، وجلس له جلوساً عاماً في صحن السلام، وقعد في شبّاك المبايعة، وحضر ارباب الدولة وصعد على الدرج وبايع الخليفة، وطلب منه يده ليقبلها، فناوله اياها، فجعل يقبلها ويبكي ويقول: «الحمد لله على هذا المقام، ما وصل اليه غيري .» اهـ

وخاطبه الخليفة بأجمل خطاب، وقدم الخليفة الخيل والتحف والهدايا، فأعطاه الخليفة أضعاف ذلك، وخلع عليه خلع السلطنة وعاد الى اربل، وقطع خطبة بني العادل، واقتصر على خطبة الخليفة .» اهـ[2]

---

(١) توفي الملك الأشرف في ٤ المحرم سنة ٦٣٥ هـ .

(٢) مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي اختصار قطب الدين اليونيني .

وفي تاريخ ابن كثير : « وفيها - في سنة ٦٢٨ هـ — دخل الملك المظفر ابوسعيد كوكبري بن زين الدين صاحب اربل الى بغداد ، ولم يكن دخلها قط ، فتلقاه الموكب وشافهه الخليفة بالسلام مرتين في وقتين - وكان ذلك شرفاً له غبطه به سائر ملوك الآفاق وسألوا ان يهاجروا ليحصل لهم مثل ذلك فلم يمكنوا لحفظ الثغور ، ورجع الى مملكته معظماً مكرماً . » اهـ [1]

وفي الحوادث الجامعة جاء التفصيل أكثر قال : « في المحرم سنة ٦٢٨ هـ وصل الى بغداد مظفرالدين ابوسعيد كوكبري بن زين الدين علي كوچك صاحب أربل ، ولم يكن قدم بغداد قبل ذلك ، وكان معه محيي الدين يوسف ابن الجوزي ، وسعد الدين حسن بن الحاجب علي ، وكانا قد توجها اليه في السنة الخالية فخرج الى لقائه فخر الدين احمد بن مؤيد الدين القمي نائب الوزارة والأمراء كافة والقضاة والمدرسون وجميع ارباب المناصب ، فلقوه على نحو من فرسخ ، ولقيه فخر الدين ابن القمي بظاهر السور [2] واعتنقا راكبين ثم نزلا ، فقال له فخر الدين لما انتهى الى مقار العز والجلال ، ومعدن الرحمة والكرم والافضال ، لازالت الأبواب الشريفة ملجأً للقاصدين ، والأعتاب المنيفة منهلاً للواردين ، وصولك يا مظفر الدين رسم أعلى الله المراسم الشريفة واسماها ، وانفذ أوامرها في مشارق الأرض ومغاربها وأمضاها ، قصدك وتلقيك واحماد مساعيك اكراماً لك واحتراماً لجانبك ، فيقابل ما شملك من الانعام بتقبيل الرغام ، والدعاء الصالح الوافر الاقسام المفترض على كافة الأنام والله ولي امير المؤمنين . فقبّل الأرض حينئذ مراراً ، ثم دخلوا جميعاً الى البلد فلما وصل باب النوبي ، ساق فخر الدين ونزل مظفر الدين وقبّل العتبة ، وعضده الأجل نور الدين ابو الفضل بن الناقد احد حجاب المناطق بالديوان ، ثم ركب وقصد دار الوزارة فلقي مؤيد الدين القمي وجلس هناك ، وركب نائب الوزارة وولده وجميع ارباب الدولة والأمراء ، وتوجهوا نحو دار الخلافة .

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ١٣ ص ١٢٩ - (٢) هو السور الممتد من شمالي قلعة بغداد ، الدائر حول بغداد حتى ينتهي الى دجلة بالباب الشرقي .

فأما مؤيد الدين وولده وخواصه ، فدخلوا من الباب القائمي بالمشرعة . وأما الولاة والأمراء فدخلوا من باب عليان وباب الحرم ، وانتهى الجميع الى تحت التاج على شاطئ دجلة ، ووقفوا تحت الدار الشاطئية ذات الشبابيك ، ثم استدعى مظفر الدين من دار الوزارة بالأمير عز الدين الب قرا الظاهري وبأحد خدم الخليفة . فحضر فرفعت الستارة فقبل الجميع الأرض ، وكان قد نصب تحت الشباك الأوسط كرمي ذو درج ، فرقى عليه نائب الوزارة وأستاذ الدار ابن الناقد ، ومظفر الدين ، وسلم مظفر الدين مشيراً بيده الى الشباك تالياً قوله تعالى « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي » فرد الخليفة عليه السلام . فقبل الأرض مراراً ثم شكر الخليفة سعيه ، فأكثر من تقبيل الأرض والدعاء فأسبلت الستارة وعدل بمظفر الدين الى حجرة ، فخلع عليه فيها ، وقلد سيفين وقدم له فرس بمركب ذهباً ومشدة[1] ، ورفع وراءه سنجقان مذهبان وخرج من الباب القائمي المعروف بباب التمر بالمشرعة ، وبه كان قد دخل ومضى والناس في خدمته الى حيث أنزل بدار شمس الدين علي بن سنقر . بدرب فراشا وأنزل جماعة من الأمراء الواصلين معه في دور ، في عدة محال ، وباقي عسكره في المخيم ظاهر البلد وأقيمت له ولأصحابه الاقامات الوافرة ثم سأل زيارة المشاهد والربط ببغداد فعمل له في كل مكان وليمة ، وصلى في جامع القصر جمعتين داخل الرواق الى جانب المنبر ، ثم حضر في منتصف صفر مؤيد الدين القمي نائب الوزارة وولده والجماعة الذين حضروا يوم دخوله وجرت الحال على ما تقدم شرحه ، وخاطبه الخليفة بما طابت به نفسه ، فقبل الأرض وابتهل بالدعاء وتلا قوله تعالى « يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين » ثم أسبلت الستارة وخلع عليه في تلك الحجرة وأعطي كوسات وأعلاماً وخمسين الف دينار برسم نفقة الطريق ، وبرسم حاشيته واصحابه عشرة آلاف دينار . وخرج من هناك الى دار الوزارة وحضر جميع اصحابه فخلع عليهم بحضوره ،

(١) المشدة : مما زين به الفرس في عنقها .

وأقام بعد ذلك اياماً ثم خرج الى مخيمه بظاهر سور سوق السلطان [١] وتوجه الى بلده ، وكانت مدة مقامه ببغداد عشرين يوماً ، ومضى معه محيي الدين بن الجوزي ، وسعد الدين حسن بن الحاجب علي ، وعادا في ربيع الأول واخبرا ان مظفر الدين حلف امراءه واعيان اهل بلده على طاعة الخليفة وتسليم البلد عند وفاته اليه . » [٢]

وفي هذا النص وفي الذي قبله جاء ان مظفر الدين كوكبري لم يكن قد دخل بغداد قط قبل هذه المرة . وهذا محلّ نظر . كان قد جاء اليها يشكو حاله الى بغداد من الجفاء الذي أصابه من مجاهد الدين قايماز ، فلم ينل قبولاً . . .

وفاته :

جاء تاريخ وفاته في تواريخ عديدة . وهذا نص ما ورد في الحوادث الجامعة :

«في ٧ رمضان سنة ٦٣٠هـ ورد الخبر الى بغداد بوفاة مظفر الدين ابي سعيد كوكبري ابن زين الدين علي كوجك صاحب اربل » اهـ [٣] ولم يعين تاريخ وفاته بالضبط .

وقال في مرآة الزمان : « كانت وفاته في رمضان بقلعة اربل ، وأوصى ان يحمل الى مكة فيدفن في حرم الله تعالى . وقال استجير به ، فحمل في تابوت الى الكوفة ولم يتفق رواح الحج في هذه السنة الى مكة ، فدفن عند امير المؤمنين علي » اهـ

وهنا تعينت الوفاة في رمضان ولا شك انها قبل السابع منه .

حياته السياسية :

وهنا يهمنا الكلام في حياته السياسية . وهذه تعرف من الحوادث المارّة ، ظهرت المواهب الكبيرة منه في اربل اثناء امارته الثانية . وتأييداً لذلك نذكر النصوص التالية مقتصرين على ما يؤدي الغرض وبقدر الحاجة .

فقد جاء في مرآة الزمان : « — بعد أن عدد مناقبه قال — : ومع هذه المناقب ،

---

(١) باب سوق السلطان هو باب المعظم اليوم . وسوق السلطان يبتدي من الميدان وينتهي الى المستنصرية ويسمى : سوق الثلاثاء .
(٢) الحوادث الجامعة ص ١٩ الى ٢٣ .
(٣) الحوادث الجامعة ص ٦٤

فلم يسلم من ألسنة الناس ، يقولون يصادر رئيس ديوانه ودواوينه وكتابه ويستأصلهم ولعله اطلع منهم على خيانات ، فرأى اخذ الأموال وانفاقها في أبواب البر والقربات أولى . وذكروا شيئاً آخر . ومن ذا الذي من ألسنة الناس يسلم . اللهم غفراً . »اه[1]

ومن حجّابه ابو العباس احمد بن عبد السيد الاربلي الملقب صلاح الدين ، من بيت كبير باربل . كان حاجباً عنده فتغير عليه واعتقله مدة فلما أفرج عنه خرج من اربل قاصداً بلاد الشام ، فنال مكانة عند الأيوبيين ، وكان اديباً شاعراً . توفي في ٢٠ ذي الحجة سنة ٦٣١ [2] .

ولعل سخطه على مثل هذا الحاجب مثل سخط الملك الكامل الأيوبي عليه وتفصيل الخبر في ابن خلكان ... اما الثقافة والدين والعمل الاجتماعي الصالح فهذا قد أفرد له بحث خاص ... [3]

اربل تعود للخلافة العباسية

فتح اربل :

جاء عن فتح اربل بعد وفاة الأمير مظفر الدين كوكبري ما نصه : « كان ايوب بن الكامل في آمد ، واسماعيل بن العادل في سنجار فسار كل منهما الى اربل ليأخذها لنفسه ، وجرى ما لا يليق بين الاثنين وكان سبقها عسكر الخليفة فتسلّمها ، ورجعا ، وكان قد عصى بقلعتها خادمان ، ففتحت عنوة ، وجرى بها ما لا يجوز من النهب والقتل والذل والهوان . » اه[4]

والتفصيل عن هذا الحادث لا يكفي فيه هذا الاجمال . فماذا عمل هؤلاء وكيف تمّ النزاع بينها ، فهذا ما جاء متأخراً عن فتح اربل ، وخير من نستنطقه في هذا الموضوع ، فيتكلم بسعة الكتاب المسمى بـ (الحوادث الجامعة) . فقد تعرض للحادث بتفصيل . قال : في سابع[5] عشر شهر رمضان ، ورد الخبر الى بغداد بوفاة

(١) مرآة الزمان : المطبوع ص ٦٥٢ ج ٨ (٢) ابن خلكان ج ١ ص ٨٣

(٣) ابن أبي عذيبة ج٥ ص ١٣٩ ومرآة الزمان ، وابن خلكان . (٤) مرآة الزمان ج ٨ ص ٦٥٢ (٥) سياق التاريخ الآتي بعده يستوجب أن يكون: رابع عشر شهر رمضان .

مظفر الدين أبي سعيد كوكبري بن زين الدين علي كوچك صاحب اربل فتقدم الخليفة بتعيين جماعة من الأمراء يكون مقدمهم الأمير ارغش الناصري الرومي ، وعلاء الدين الدكز الناصري للتوجه الى اربل وتقدم الى ظهير الدين ابي علي الحسن ابن عبد الله عارض الجيش بالتوجه أيضاً فتوجهوا مصعدين في خامس عشر الشهر .

وفي ثالث شوال ، توجه شرف الدين ابو الفضائل اقبال الشرابي بالعسكر فوصلوا في ثالث عشر شوال ، وكان في القلعة خادمان احدهما اسمه يرنقش والآخر اسمه خالص ، كانا قد كتبا الى الخليفة والى عماد الدين زنكي صهر مظفر الدين والى بني ايوب حيث ثقل مظفر الدين في المرض يعرفانهم ذلك وقالا : من سبق الينا كانت منتنا عليه . وكتبا الى الملك الصالح ايوب بن الملك الكامل ابي المعالي محمد يعلمانه بموته ويحثانه على المجيء فلما شاهدا عساكر الخليفة سقط فى أيديهما ، وعلما انه قد انتهى الى الخليفة ما فعلا فامتنعا من فتح البلد فلما رأى الشرابي انهم اغلقوا ابواب المدينة دونه ، استدعى الأمير جمال الدين قشتمر وقال له : ما لهذا الأمر سؤال واذا فعلت شيئاً لا يسع غيرك الا موافقتك فركب في الحال من غير استراحة ودار ليله أجمع حول البلد وهم على السور بالأضواء والطبول ثم قسم أبواب البلد على الأمراء وضرب هو خيمة مقابل باب عمكا واللونه اعظم الأبواب واكثر المقاتلة هناك ، ونصب البيت الخشب مقابل الباب بالقرب منه بحيث يسمع كلامهم ويسمعون كلامه ، ويصل نشاب الچرخ اليه ولم يزل نهاره اجمع يرقب ما يعملون ويشاهد ما يصنعون وفي الليل يدور على العساكر ويحرض على الحراسة والحفظ ، والشرابي يراسل الخادمين المذكورين ويخوفهما عاقبة العصيان فسألا ان يؤخرا يومين فأجيبا وكان غرضهما ان يصل الملك الصالح ايوب المقدم ذكره ، فلما انقضى الأمد نفذ جمال الدين قشتمر الى احد زعمائهم وقال له : أخلفتم الوعد ، وخوفهم وحذرهم ، فردّ عليه جواباً غير مرضيّ ثم رمى وراء رسوله بالنشاب فوقع قريباً من الأطناب فقال قشتمر لجماعة من مماليكه اقربوا منهم وتحرشوا بهم فأخذوا في سبّهم ورموا بالنشاب الى جهتهم فما

زال الأمر يزداد حتى وقع الزحف على البلد وقت العصر واشتد الرمي من فوق السور بالنار وأنواع السلاح ، وكثر في الفريقين القتل والجراح وسار قشتمر حتى وقف على الخندق فاشتد القتال حينئذٍ وقوي جأش المقاتلين بوجوده فركب الشرابي في لامة حربه ووقف على نشز فأخبر قشتمر بركوبه فقصده ووقف الى جانبه ، فساعة اجتماعهما اخبرا بالنصر والفتح وتسليم القلعة ، ونهب أوباش العسكر بعض دورها ، واستولى العسكر على البلد عنوة ، وكتب الشرابي على جناح طائر الى الخليفة بصورة الحال فحصل الاستبشار بذلك ، وضربت الطبول على باب النوبي ، وافرج عن جميع المعتقلين في الحبوس وحضر الشعراء في الديوان وأوردوا قصائد تتضمن الهناء بهذا الفتح والنصر . فممن اورد القاضي ابو المعالي القاسم بن أبي الحديد المدائني قصيدة أولها :

ما يثبت الملك بين الخوف والخطر حتى يقام ويسقى من دم البشر
لكل شيء طريق يستفاد به وليس للعز غير الصارم الذكر

ومنها :

ما فتح اربل عن بخت لذي دعة ولا اتفاقاً كبعض النصر والظفر
لكنه كان قصد القادرين وأذ(م) مال المطيعين عن قصد وعن فكر
فليسمح الأشعري اليوم لي فأنا في فتح اربل لا ألوي على القدر

وقال اخوه عز الدين عبد الحميد[1] الكاتب قصيدة ، اتفق له فيها ان الوزير كان ترتيبه يوم سابع عشر شوال سنة تسع وعشرين وفتح اربل يوم سابع عشر شوال سنة ثلاثين فقال :

يا يوم سابع عشر شوال الذي رزق السعادة اولاً واخيرا
هنئت فيه بفتح اربل مثلما هنئت فيه وقد جلست وزيرا

وتقدم الخليفة ، باحضار الأمير شمس الدين باتكين أمير البصرة فكوتب

(١) راجع الوفيات ٢ : ٣٨٩ وروضات الجنات في ترجمته نقلاً عن معجز الآداب في معجم الألقاب لابن الفوطي مؤلف هذا الكتاب .

بالحضور فوصل من البصرة الى رابع ذي القعدة ، وحضر نصير الدين بن الناقد نائب الوزارة فشافهه بولاية اربل وتقدم اليه بالتوجه اليها على فوره ، فتوجه من وقته فوصلها في تاسع عشر الشهر وحضر عند شرف الدين اقبال الشرابي في المخيم بظاهر اربل ، فخلع عليه وقلده سيفاً وأمطاه فرساً وأعطاه كوسات واعلاماً ، فركب في جمع كثير من الأمراء والأجناد ودخل الجامع فقرئ عهده به بمحضر من أهل البلد وغيرهم ، تولى قراءته ظهير الدين الحسن بن عبد الله ، وكان قد عين عليه لوزارته ، وركب الى القلعة ونزل في دار الامارة التي كان يسكنها مظفر الدين ، ثم خلع الشرابي على ظهير الدين الحسن بن عبد الله ثم على ظهير الدين الحسن بن المصطنع وجعله مشرفاً عليه ، ورتب معهما كاتباً الأجل ابن عبدان النصراني ثم رتب جمال الدين بن عسكر الأنباري عارضاً للجيش هناك ، وجعل عليه مشرفاً عز الدين محمد بن صدقة وخلع عليهما فلما قرر القواعد وفرغ مما يريده رحل عائداً الى بغداد والأمراء والعساكر في خدمته ، فوصل الى الخالص في عاشر ذي الحجة فنزل بقرية تعرف « بقرية ابي النجم » فخرج الخلق الكثير الى تلقيه فصلى هناك ونحر وضحى ومدّ سماطاً عظيماً ، ثم رحل في حادي عشر ذي الحجة متوجهاً الى بغداد ، فلما وصل ظاهر سوق السلطان خلع على جميع أصحابه ومن كان في خدمته من النواب والأتباع والحاشية ، وخرج اليه جميع الولاة وأرباب المناصب والأماثل والأعيان فلقوه بظاهر السور ولم يتخلف أحد من الخروج سوى الوزير ، ثم سار حتى وصل دجلة ونزل عند المسنّاة في شبارة الخليفة وقبلها وتضرع بالدعاء وبكى فخشع الحاضرون لبكائه ثم نزل فيها وانحدر الى دار الخلافة فتلقى بالاكرام ثم خلع عليه وقلّد سيفين وقدم له فرس فركبه من باب البستان ورفع وراءه سنجقان ، وأما الأمراء جميعهم فانهم دخلوا البلد وقصدوا دار الخليفة ، ودخلوا من باب الحرم بموجب ما رسم لهم وجلسوا في باب الأتراك الى ان خرج راكباً فقبلوا يده ومشوا بين يده إلى باب الباتني[1] ثم ركبوا وساروا في خدمته الى داره

---

(١) لعله القاشي .

بالبدرية فلما نزل عن مركوبه خدموا وعادوا قاصدين دار نصير الدين نائب الوزارة فلقوه فخلع عليهم اجمعين ، وأعطى كل واحد فرساً بمركب وخمسة آلاف دينار وأنعم على من دونهم على قدر مرتبته من الألفين الى الخمسمائة ، ثم خلع على جميع المماليك الناصرية والظاهرية والمستنصرية وأعطى كلّ واحدٍ خمسين ديناراً ، ثم انعم على جميع الجند ومماليك الأمراء والعرب من ثلاثين الى خمسة عشر » اه [1]

اربل في حوزة العباسيين

من النصوص المارة تبين لنا ان اربل صارت في حوزة الدولة العباسية في ١٧ شوال سنة ٦٣٠ هـ — ١٢٣٣ م فوليها أمراء دامت في أيديهم الى ان انقرضت الدولة العباسية بالمغول وبينهم من يسمى (زعيماً) وهو اميرها ، ومن يسمى صدراً وهو الوالي ، وهؤلاء أشهر ارباب المناصب فيها :

١ — الأمير شمس الدين باتكين أمير البصرة . اول امير من جانب الخلافة ولي زعامتها في ١٩ ذي القعدة سنة ٦٣٠ هـ — ١٢٣٣ م [2] .

٢ - تاج الدين علي بن الدوامي . كان قد نقل من ديوان عرض الجيش الى (صدرية ديوان اربل) ، خلع عليه وتوجه اليها سنة ٦٣٢ هـ وعاد منها في سنة ٦٣٣ هـ مفارقاً للخدمة بها . وكانت قد حدثت واقعة للمغول في تلك السنة ، اجتازوا باربل قاصدين الموصل ، فعاثوا بها اشد العيث . وقد حوصرت سنة ٦٣٤ هـ . ولما بلغهم وصول عسكر الخليفة عادوا . وهاجموها في سنة ٦٣٥هـ ، فوجدوا استعداداً في الحراسة ، فمالوا عنها . جرى ذلك كله في أيام زعيمها باتكين .

٣ - تاج الدين محمد بن الصلايا العلوي ، أمر بالتوجه الى اربل وتجديد سورها ، وعمارة ما خرب من دورها ونفذ معه كركز الناصري ليكون مستحفظاً بقلعتها وعين الأمير بهاء الدين ايدمر الاشقر الناصري زعيماً بها . وكان زعيمها الامير شمس الدين باتكين قد فارقها في سنة ٦٣٥ هـ . وكان قد اطلق

(١) الحوادث الجامعة ص ٤٩ ، ٥٠ (٢) الحوادث الجامعة ص ٦٨

في ايام زعامته معظم الضمانات وأزال المكوس والضرائب ، وأسرع في اصلاح السور وحفر الخندق[1] .

٤ — في سنة ٦٣٧ هـ في شهر رمضان استدعى الامير بهاء الدين ايدمر الأشقر زعيم اربل الى دار الوزارة فقبض عليه وعلى جميع أصحابه ... وحبس ، ثم قبض على ابن غزالة مشرف اربل ، وفراس الواسطي كاتبها واحضر الأمير الحلي مكلباً (مكلبة) ورتب زعيماً في اربل وخلع عليه . وفي سنة ٦٣٨ هـ عزل من الامارة لضعف رأيه وسوء تصرفاته .

٥ — رتب عوض الأمير مكلبة آقسنقر الناصري . وكان الصدر بها تاج الدين محمد بن نصر بن الصلايا العلوي المدائني . قتله هولاكو سنة ٦٥٦ هـ . وكان كريماً جواداً فاضلاً متديناً يبالغ في عقوبة من يفسد او يشرب[2] . وبوفاته صارت اربل للمغول ودخلت في ادارتهم سنة ٦٥٦ هـ .

يتبع : (بغداد) عباس العزاوي

---

(١) الحوادث الجامعة ص ٢٨ و ١٨٣ وهناك ترجمته .

(٢) الحوادث الجامعة ص ٢٣٧ .

كتاب التمهيد في بيان التوحيد

في حيازة صديقنا الشيخ فوزي عطية من علماء مدينة عكاء نسخة من كتاب التمهيد في بيان التوحيد الذي لم نطلع الى الآن على انه مثّل بالطبع ولم نعرف ان له نسخة أخرى في احدى دور الكتب العامة او الخاصة وهي نسخة حسنة في بابها تأليف الامام المهتدي ابي الشكور محمد بن عبد السيد بن شعيب السالمي اللَّيثي ويظهر انّ النسخة كانت تملكها أسرة تركية اللغة وان كانت عربية الموطن لأن مدينة عَيْن تاب وهي بلد من أعمال حلب في القديم وقاعدة ولاية تركيّة اسمها « غازي عينتاب » اليوم معدودة من بلاد العرب بدليل ماقاله ياقوت الحموي عنها

عين تاب : قلعة حصينة ورستاق بين حلب وانطاكية وكانت تعرف بدُلوك ودلوك رستاقها وهي الآن من اعمال حلب . ويقول عن دُلوك بليدة من نواحي حلب بالعواصم . اهـ .

وتناولتُ عينتاب التي غلبت على اهلها اللغة التركيّة فأنستها عروبتها فلم تقبل الانخراط في سلك سورية وجاهدت طويلاً حتى فازت ببقائها في البلاد التركية ومنحها المرحوم الغازي مصطفى كمال رئيس الجمهورية التركية السابق لقبه الخاص لبلائها الحسن . قلت تناولتها وخصصتها بالذكر لأنها مسقط رأسي ومنبت غرسي ومثوى عشيرتي وأهلي . ولئن شطّ بنا المزار ونأت عنا الدار الآن فالنفس تتوق الى مكان ولادتها ومحل رضاعها ومع انها اليوم عمالة تركية فهي معدودة في بلاد العرب وكانت في الأصل من اعمال حلب كما تقدم في قول ياقوت الحموي .

وهذا ما كُتب في الصفحة الأولى من الكتاب وهو من القطع الصغير :

هذا الكتاب من مواهب الملك الوهاب

الى العبد الفقير ذي الأذناب[1]

---

(١) كذا في الأصل ولا شك انه يقصد بالأذناب الذنوب .

احمد بن المهاجر من العينتاب
عفي ذنوبها يوم الحساب
بالنبي وآله والأصحاب

وتحته باللغة التركية :

بيك سكسان اوچ سنه سنده رمضان شريفك بكرمى يدنجى كه قدر كيجه سيدر صبح صادق دوغديغى وقتده ام الحبيبه دنيايه كلدى .

وتعريبها : ولدت ام الحبيبة عند بزوغ الفجر الصادق من الليلة السابعة والعشرين التي هي ليلة القدر من شهر رمضان المبارك لسنة ثلاث وثمانين والف» .

قلنا : وواضح ان ام الحبيبة هذه هي مولودة لكاتب السطور المذكورة اعلاه .

ما كُتب في الصفحة الثانية من الكتاب :

هذا الكتاب من مواهب الملك الوهاب
الى العبد الفقير ذي الأذناب [1]
يحيى بن يعقوب المهاجر من العينتاب
غفر ذنوبها يوم الحساب
بالنبي والآل
والأصحاب

وتحته خاتم نقشه : نائل أيله يحيى لي
الهى دوارينه

«وتعريب ما في الخاتم : إلهي أنِل يحيى مراده»

مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الامام المهتدي ابو الشكور السالمي وهو محمد بن عبد السيد بن شعيب الليثي رحمه الله - الحمد لله ذي المنّ والآلاء والعظمة والكبرياء والجود والعطاء

(١) كذا في الأصل ولا شك انه يقصد بالأذناب الذنوب -

والهيبة والبهاء ذي الفضل والاحسان والكرم والامتنان والحجة والبرهان عظيم شأنه وسيع عفوه وأمانه صريع ذله وهوانه بالحجة على العلماء والمحجة على الأولياء ظاهر بالاثبات عند أهل العقول باطن عن الادراك بالوصل والوصول صانع العالم وهو عالم به محدث الكون وهو حافظ له ومنشئ العرش وهو مستغن عنه فالعلماء شهدوا بوحدانيته والأولياء اعتقدوا وأيقنوا بفردانيته والعقول حارت واحترزت عن كنه صفات جبروته وجلاله والأرواح تحيرت عن بيان قطعه ووصاله منزه عن خبر الأحداث والحينونة ومقدس عن ملازمة الأقدار والبينونة ليس للعالم اليه محال ولا للأون له محل وحال ولا للعرش له واليه مآل واشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمداً عبده ورسوله وامينه لولاء الأمة والانصراف عن مكينه بتجلي العظمة والانكشاف شاهد بمكنون الرتب وغائب عن مضمون الريب صديقه الصديق وأمينه الوثيق وشهيده الرفيق وختنه الشقيق وآله وأمته عدد كل ذي روح ومن في ذمته ٠

وبعد فقد سألني بعض اخواني ان امهد لهم أصول المعرفة والتوحيد مقدار ما يكشف بالعبارة ويدرك بالاشارة فأجبتهم لذلك بعد ما استخرت الله تعالى في طلب الصواب هداية لأولى الألباب فاستنبطت هذا الكتاب وسميته التمهيد في بيان التوحيد وهو هداية لكل مسترشد ورشيد واستوثقت بفضل الله وبالله العون والتوفيق ٠

قال الامام المهتدي ابو الشكور السالمي رحمه الله اعلم بأنّ العقل شيء لطيف لم يدرك كيفيته في أوهامنا ولم يثبت عندنا من الفقهاء قول صحيح في العقل وقالت الفلاسفة بأن العقل جوهر مضيء محسن مفيد يحل في الروح ويثبت لها الحياة كالروح في الجسد فيكون للروح حياة واحوال باتصال العقل كما للجسد باتصال الروح له وهذا قول لا دليل فيه من طريق النص والقياس ولو كان العقل مجاوراً بالروح ملاقياً به مظهراً حياته مفيداً لمعانيه لكانت الأرواح قائمة موجودة قبل الأجساد باقية ثابتة بعد الوفاة والعقل لم يفد فائدة علاقات الروح كالفائدة في هذه الحالة بدليل انه ليس بذاكر لما مضى من ايامه وما كان يهزأ بأحواله وأعماله دلّ على ان هذا غير صحيح الخ ٠

ناسخ الكتاب المجهول

وبآخره : تمّ هذا الكتاب على يد أفقر العباد واحوجهم الى الله الملك الوهاب هذا اليوم ويوم المعاد المقصر المذنب الخطي عفا الله عنه وعن والديه وعن جميع المسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات من اهل السنة والجماعات وعفا عمن دعا له بالخير آمين آمين آمين .

حجم الكتاب وعدد أوراقه

وأنت ترى انه لم يذكر اسمه رحمه الله تعالى وعفا عنه وقد كتب الكتاب بخطين متخالفين فأوّله بحبر اسود واكثره الى آخره بعناوين حمر وهو جميل الخطّ مشرق المداد بالقطع الصغير طوله ١٩ سانتيمتراً وعرضه ١٢ سانتيمتراً وعدد ورقات الكتاب ٢١٠ ورقات ويظنّ انه من خطوط المائة التاسعة او ما قبلها .

ما ذكره عنه صاحب كشف الظنون

والمؤسف اننا لم نهتدِ الى الزمن الذي وُجد فيه المؤلف الغزير المادة الواسع الاطلاع فان الحاج خليفة المشهور بملاّ كاتب جلبي مؤلف كشف الظنون والمتوفى سنة ١٠٦٧ هـ ١٦٥٧ م لم يزدنا في بيانه عن المؤلِّف والمؤلَّف بسوى هذه الأسطر القليلة قال[١] :

« تمهيد في بيان التوحيد : لأبي شكور (كذا) محمد بن عبد السيد بن شعيب الكشي[٢] (كذا) السالمي الحنفي اوله الحمد لله ذي المنّ والآلاء الخ وهو مختصر في أصول المعرفة في التوحيد ذكر فيه ان القول في العقل كذا وفي الروح كذا الى غير ذلك فأورد ما يجوز كشفه من علم الكلام » .

عبد الله مخلص

(١) كشف الظنون طبعة القسطنطينية ج ١ ص ٣٣١ .

(٢) الكشي بالطبع هي محرفة عن الأبقي .

مخطوطات ومطبوعات

معجم القرآن

تأليف عبد الرؤوف المصري في ٦٦٠ صفحة موزعة على جزئين
وقد طبع في مطبعة بيت المقدس في القدس سنة ١٣٦٤ هـ — ١٩٤٥ م

أمنية كان يتمناها كل محب للقرآن عاكف على تلاوته وفهم آياته — تحققت أو كادت تحقق في هذا المصنف المسمى (معجم القرآن) فالتالي لكلام الله اذا أشكل عليه المراد من بعض ألفاظه أمكنه ان يرجع الى هذا المعجم الذي رُتبت فيه مفردات القرآن الغامضة بالنسبة الى الجمهور ترتيباً قاموسياً جديداً سهلاً : ذلك أن الكلمات قد رتبت فيه بحسب أول حرف منها لا بحسب مادتها الأصلية . فيجد التالي للقرآن شفاء نفسه من تفسير ما غمض عليه من كلام ربه .

ومؤلف الكتاب فاضل مصري مقيم في نابلس يزاول التعليم في معاهدها (على ما أظن) . وهو مشهور بكنيته (ابورزق) (خريج الأزهر والجامعة المصرية وجامعتي برلين وڤينا والمدرس فيهما سابقاً) فمن هذا التوصيف للمؤلف يدرك القارئ أنه ابن بجدة ذلك العمل الذي تصدّى له .

ومفردات القرآن نوعان ألفاظ لغوية مفاهيمها معان تكفلت ببيانها تفاسير القرآن وكتب اللغة — والفاظ هي اسماء ذوات ولها مفاهيم مادية او تاريخية او طبيعية أو فنية وهي التي تكفلت بشرحها وبيان غامضها المعاجم التي تسمى (دوائر معارف) أو (مَعْلَمَات) وتسمى في اللغات الأجنبية (انسكلوبيدي) (encyclopedie) على أن تفاسير علمائنا الأقدمين شرحت هذه الألفاظ التاريخية والفنية لكنه شرح مقتضب مضطرب : اعتمدوا فيه على كلام الاولين وأساطير الأقدمين (الاسرائيليات) وقد تكفل معجم (ابي رزق) بشرح الغامض من

كلا القسمين : الألفاظ اللغوية المعنوية . والألفاظ المادية والتاريخية والفنية وما اليها .
ويمكننا أن نسمي هذا القسم بالكلمات (الانسكلوبيدية) وان معرفة المؤلف (ابي رزق) للعلوم العصرية تساعده على تجويد العمل في تفسير هذا القسم من الألفاظ مثل إعصار وعين حمئة . وعرش بلقيس والهدهد ويأجوج ومأجوج والسد الذي بناه ذو القرنين وناقة صالح وحوارها . وبقرة بني اسرائيل وأخبارها الى غير ذلك . ولعل المؤلف يضع لنا معجماً (دائرة معارف) خاصة بأمثال هذه الأشياء التاريخية والطبيعية والفنية الواردة في القرآن فيسهب في شرحها وبيان المراد منها . وبيان ما اذا كانت واقعية حقيقية او هي من قبيل الامثال والدلالات الرمزية . على نمط ما فعله الدكتور بوست في كتابه (قاموس الكتاب المقدس) .

وقد جمع معجم (ابي رزق) المهدى الينا بين الاختصار والفائدة : فهو أحق من غيره من المختصرات بقولنا (مختصر مفيد) وقد رأينا المؤلف يقتصر أحياناً في تفسير الكلمة القرآنية على القول المشهور من أقوال المفسرين . مثال ذلك آية (إذا الشمس كورت) فسر التكوير فقال (لفت وذهب ضوءها : من التكوير وهو اللي واللف ومنه تكوير العمامة) اقتصر المؤلف على هذا وفيه الكفاية لعمري . ولم يتعرض لقول آخر في تفسير (كورت) مثل أنها من فعل (كوره) إذا أعماه . وهي معربة ومشتقة من كلمة (كور) التركية التي معناها أعمى العين . فالشمس يوم القيامة يكورها الله . اي يعميها ويذهب بنورها ذهاباً كذهاب نور العين العمياء . وهو قول لبعض العلماء لم يعول عليه المؤلف وقد أحسن . غير أنا رأيناه أحياناً يتسامح ويترك الدقة في تحديد المعنى المراد من الكلمة القرآنية مثال ذلك :

قوله في تفسير (واستغشوا ثيابهم) : (جعلوا ثيابهم غاشية أى غطاء على آذانهم لئلا يسمعوا دعوة الحق) وما قاله حسن غير أن الأحسن منه أن يقول في تفسير (استغشوا) تغطوا بها فلم يعودوا يسمعون ولا يرون : لأن الثوب الذي يلبسه الانسان إذا تغطى به إنما يلقيه على رأسه ووجهه وما يليهما

فيشمل ذلك الأذنين كما يشمل غيرهما من الحواس المجتمعة في الرأس فقول المؤلف (اي غطاء على آذانهم) يخصيص الآذان بالذكر لا دقة فيه . من حيث يوهم ان هذا هو معنى الاستغشاء في اللغة العربية .

وقوله أيضاً في تفسير (العهن المنفوش) : (إن الجبال في شدّة سيرها تكون خفيفة كخفة الصوف المندوف المتطاير الأجزاء) . وفي هذا التفسير نظر لأن وجه الشبه منصبٌ على كلمة (المنفوش) أي المتفرق الأجزاء المتطاير . فكان الأوجه ان يقول : إن الجبال من شدة سيرها وسرعة حركتها تصبح متفرقة الأجزاء . متناثرةً في الفضاء . كالمنفوش من الصوف .

وقوله في تفسير (جاثمين) من قوله تعالى (فأصبحوا في دارهم جاثمين) قال (أي ميّتين وهم قعود ، مصعوقين : من جَثَمَ الرجل إذا كان لا حراك به ولا كلام له) ففي تفسيره الجثوم بعدم الحركة وعدم الكلام تسامح شديد . والا فان معنى (الجثوم) في اللغة مجرد القعود والتلبد على الارض . أما الموت وعدم الحركة وعدم الكلام فهي مفهومة من الآية بدلالة السياق لا بدلالة جاثمين .

وهناك أشياء من هذا القبيل قد تغتفر للمؤلف الفاضل في جانب ما أسداه الى التالين لكلام الله مذ سهَّل عليهم فهم ما يتلون ويقرأون أحسن الله اليه كما أحسن اليهم . وأثابه خيراً لقاء جميل سعيه وصادق نيته .

المغربي

الاسلام على مفترق الطرق

تأليف ليوبولد ڤايس . نقله الى العربية الدكتور عمر فروخ . وقدم له الدكتور مصطفى خالدي ونشرته (دار العلم للملايين) في بيروت .

وطبع فيها سنة ١٩٤٦ م في ١١٦ صفحة

حجم الكتاب صغير . لكنَّ غرضه شريف ومغزاه كبير . وخلاصة موضوعه كما يفهم من اسمه وكلام مؤلفه أن المسلمين اليوم بين طريقين . وهم واقفون على

مفترقها: إما أن يميلوا ذات اليمين الى الطريق الذي شرعه لهم دينهم فينجوا ويفلحوا . وإما أن يميلوا ذات الشمال ويسلكوا طريقاً أنهجته لهم المدنية الأوربية فيضلّوا ويخسروا .

أتظن أيها القارئ أن الذي عالج هذا الموضوع وأودعه الكتاب المذكور هو عالم من علماء الاسلام المتشدّدين فيه أو من الذين قضوا حياتهم في خدمته ودراسته وحض الناس على العمل بشعائره وتعاليمه ? كلا . وانما هو رجل نمسوي أسلم وعكف على دراسة القرآن والسنة وتاريخ الاسلام وسيرة محمد عليه الصلاة والسلام وقارن بين ذلك كله وبين مدنية اوروبا الحديثة . ثم ألقى بنظرة على المسلمين في هذه الأزمنة المتأخرة بعد أن اختبر ما ظهر وما خفي من أحوالهم الاجتماعية والأخلاقية . فحكم أنهم على مفترق الطرق . وأنّ عليهم ان يعملوا بأوامر دينهم . لينقذوا أنفسهم ومستقبلهم .

والعمل بالدين في رأيه ليس باتباع أوامر القرآن وتعاليمه وحده بل باتباع سنة النبي (ﷺ) أيضاً . وإذ كان العمل بالسنة النبوية موضع أخذٍ وردٍ بين فضلاء هذا العصر من المسلمين الذين يرون أن العمل بالقرآن وحده هو كفيل النجاح وسبيل الاصلاح — لما رأى أخونا النمسوي ذلك خصّ معظم صفحات كتابه بمناقشة هؤلاء وبأن السنة لا بدّ منها (مع القرآن) في فهم الاسلام الصحيح .

ويفهم من غضون كلام المؤلف في نصرة السنّة النبوية ، وضرورة العمل بها مع القرآن — أن مراده بها سيرة النبي (ﷺ) الشخصية . وطريقته العملية التي سلكها (ﷺ) في حياته . والتبشير بدياناته : فالمؤلف يقول : ان سيرة النبي (ﷺ) هي التي تفسر لنا القرآن ، وتوحي الى النفوس أسرار تعاليمه إيحاءً صحيحاً .

أقول: واذا كان هذا هو مراد الأخ المسلم الجديد بالسنة النبوية فلا يبقى خلاف بينه وبين الذين يعوّلون في إنهاض المسلمين ولمّ شعثهم على القرآن

وحده : لأن هؤلاء إنما يريدون بالقرآن الوحي الالهي مع ما وافقه وواخاه من السنة النبوية الثابتة الصحيحة المنقولة الينا نقلاً لا شبهة فيه . فدراسة سيرة النبي (ﷺ) ومساعيه العملية والاقتداء به في تطبيق احكام الاسلام وفهم تعاليم القرآن — هو أمر مسلّم عند جميع رجال الاصلاح الاسلامي .

ولم يبق بعد هذه المقدمة إلا أن نذكر للقارئ خلاصةً من ترجمة أخينا النمسوي وننقل اليه عن لسانه السبب الذي جعله ينحو هذا النحو في مصنّفه وفي خدمته لدينه الجديد .

ترك النمسة بلاده سنة ١٩٢٢ م موليًا وجهه شطر الشرق الاسلامي بصفته مراسلاً لصحف أوروبا . فرأى في الحياة الدينية الاسلامية التي يحياها المسلمون الخلّص هدوءًا لم يعهده في الحياة الأوربية المسيحية . فحبّب ذلك اليه دين الاسلام وزيّنه في قلبه . لكنه رأى معظم المسلمين غير عاملين بقوانين تلك الحياة التي أوحاها اليهم الاسلام فجعل يناقش من كان يجتمع بهم من علماء الاسلام في سبب هذه الظاهرة في المجتمع الاسلامي . حتى إذا كان في بلاد الأفغان (سنة ١٩٢٥ م) ناقش حاكماً شاباً افغانياً . فقال له الحاكم : (ولكنك مسلم غير أنك لا تعرف ذلك من نفسك) فأثّرت هذه الكلمة في نفس المؤلف أيّما تأثير . وعاد الى اوروبا سنة ١٩٢٦ م مأخوذاً بسحر جمال الاسلام فأسلم . وبعد ان درس كل ما يجب عليه أن يدرسه من لغة القرآن وتعاليم الاسلام وشؤون المسلمين وقضى خمس سنوات في الحجاز ونجد والمدينة المنوّرة وخالط ثمّ رجالاً من أقطار اسلامية مختلفة وقارن بين وجهات نظرهم — بعد هذا كله ألف كتابه في الموضوع الذي وصفناه في صدر المقال . وأحسب أن وصفنا هذا كافٍ في تقريظ الكتاب وفي حمل الذين يهمهم موضوعه على اقتنائه والاستفادة من مضامينه .

وانا لنشكر مؤلفه الفاضل على ما بذله من الجهد في تحرّي الحق وندعو له بالتوفيق . كما نشكر لكلٍ من الفاضلين مترجم الكتاب وواضع مقدّمته عنايتهما أجزل الله ثوابهما .

المغربي

مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق

تاريخ حكماء الاسلام

تأليف ظهير الدين البيهقي

عني بنشر هذا الكتاب الأستاذ العلاّمة محمد كرد علي بك رئيس مجمعنا العلمي العربي، وقد صدّره بكلام على مؤلفه ظهير الدين البيهقي المولود سنة ٤٩٩ في قصبة من نواحي بيهق من أعمال نيسابور عاصمة خراسان.

ذكر الأستاذ في ترجمة المؤلف الوافية ما اتصل به من نسب ظهير الدين وثقافته وكتبه في الدين والأدب والتاريخ والحكمة وأورد شيئاً من شعره وأشار الى مذهبه فقد كانت ثقافة البيهقي تجمع بين علم الآخرة والدنيا، وقد وجد في تاريخ حكماء الاسلام برهاناً من جملة البراهين على ان المدنية الاسلامية وحدة لا تتجزأ وإن كل قطر متمم للأقطار الأخرى فاذا كانت خراسان اختصت برجال الحكمة فان الأقطار السائرة أخرجت رجالاً في فروع العلم، واذا امتازت دمشق بمؤرخيها وشعرائها ومحدثيها فان بغداد امتازت بفقهائها ومؤدبيها وندمائها فتاريخ حكماء الاسلام في نظر الأستاذ العلاّمة قد رسم ناحية جميلة من نواحي التفكير الاسلامي في زمن يكاد يكون خاتمة سمو العقل ومبدأ تراجع العلم في الاسلام.

* * *

اذا أراد القارئ ان يبحث في تاريخ حكماء الاسلام عن تراجم كاملة على نحو تراجم كتّاب الغرب فانه لا يظفر بشيء من ذلك ولكن الكتاب لا يخلو من فوائد لا تقل عن فوائد كل التراجم، من هذه الفوائد الحكم المبعثرة في تضاعيف الكتاب وقد حاولت ان أختار طائفة منها لتثبيتها في هذه الكلمة فأدركتني الحيرة في الاختيار فما كنت أفرغ من حكمة حتى اهتدي الى اختها وقد جمعت هذه الحكم مذاهب في الفلسفة والأخلاق والآداب والطب والمعاملة ونحوُ ذلك. بحيث اذا اتبع الانسان معظمها في حياته عاش معافىً في بدنه سامياً في نفسه رفيعاً في عقله.

شفيق جبري

مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق

ديوان ابن عنين

شرف الدين ابي المحاسن محمد بن نصر المشهور بابن عنين الانصاري الدمشقي

عني الأستاذ خليل بك مردم بك بنشر ديوان ابن عنين المولود في دمشق سنة ٥٤٩ وقد صدّر هذا الديوان بترجمة للشاعر شافية أوجز فيها الكلام على ابن عنين من النواحي كلها فقد تكلم على وطنيته وقوميته وأشار الى غمزه ولمزه وعبثه برجال الدولة وسخريته بهم وصوّر خفة روحه و كثرة دعابته وبراعة فكاهته وحضور نكتته كما صوّر مجونه وظرافتــه وتهكمه وتوقد ذهنــه وذكاء قلبــه ولم يغفل عن توضيح فنه ٠

لقد أمعن ابن عنين في الهجاء الذي أقذع فيه وأفحش على رأي الأستاذ خليل بك وتعدّى حدود المروءة والأدب ولم يكد يسلم من لسانه أحد حتى هجا نفسه وأباه واجترأ على التعرض لصلاح الدين والملك العادل والملك الأشرف والملك المنصور من الأيوبيين في عنفوان سلطانهم واقبال دولتهم اما الوزراء والأمراء والقضاة والحكام فقد شنّ عليهم حرباً لا هوادة فيها ٠

لست أريد في هذه الكلمة المختصرة أن أقول شيئاً في شعر ابن عنين أكثر مما قاله الاستاذ خليل بك فتكاد تكون الصورة التي عرضها علينا في الترجمة متكاملة الخطوط والألوان ولكني أريد أن اكون من انصار ابن عنين في نقده لرجال الدولة لا في الفحاشه في الهجاء ولا ريب في ان شعره اشتمل على كثير من الهجاء مما يبرز عن ظل الأدب وتضيق به الصدور ولكنا اذا تجاوزنا اقذاعه في القول في بعض المواطن وجدنا ان شعره لا يخلو من نقد لرجال الدولة على مختلف طبقاتهم فاذا كنا نضجر من ابن عنين في هجائه في بعض الأحيان فانا نحمد له جرأته على نقد رجال الدولة فإن الذين يتقلدون جلائل الأعمال يحتاجون الى سعة الصدور فما ينبغي لهم ان يغيظهم تهجين أمورهم وتقبيح سياستهم

واذا التمسوا السلامة من ألسن الناس لزمهم أن يلبدوا في دورهم وان يقطعوا كل صلة لهم بالمصالح العامة فكل رجل من رجال الدولة مستهدف للنقد ولشيء أشد من النقد والزمان وحده هو الذي ينصف ويفرق بين خطأ الناقدين وبين صوابهم اما الذين يتطاولون لمناصب الدولة ولا تتسع صدورهم لسهام الناس فهؤلاء لا يفهمون معنى الحرية ولا ينبغي لهم ان يكونوا من رجال الدولة في حال من الأحوال .

ش . ج

رحلات في ديار الشام

احمد سامح الخالدي

لخص الأستاذ أحمد سامح الخالدي أربع رحلات رحلها شيوخ الصوفية عبد الغني النابلسي ومصطفى البكري الصديقي ومصطفى أسعد الدمياطي في النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري في شبه جزيرة سيناء وفلسطين ودمشق وقسم من لبنان وقبرص .

وقد نبهنا المؤلف في المقدمة على ان هذه الرحلات لا تشبه رحلات المقدسي او ابن جبير او ابن بطوطة على أنها لا تخلو من إعلامنا بشيء من حالة البلاد والأمن في القرن الثاني عشر وبشيء من بعض رجاله ومشاهده ومعاهده ، فلم يكن الأمن مستتباً في خارج المدن الكبرى فكان الشيوخ الذين ألفوا هذه الرحلات يدفعون الرعب عن قلوبهم بقراءة الأوراد .

لم يكن الوصف في الرحلات الأربع موضوعياً على نحو ما أشار اليه المؤلف وانما كانت غاية أصحابها الزيارة والتبرك فلم ينصرف ذهنهم الا الى الأماكن المقدسة وقبور الصحابة والتابعين والأقطاب حتى أنهم اجتنبوا الاتصال بالناس ما خلا رجال الطرائق ، فكانوا يقضون أكثر أوقاتهم في التعبد وقراءة الأوراد والاجتماع الى الأقطاب والمتصوفين .

ولئن خلت هذه الرحلات من الفوائد التي تشتمل عليها الرحلات عادةً مثل وصف المدن وأهلها وعاداتهم وأوضاعهم وأشباه هذا كله أو من الآثار الأدبية فانها لا تخلو من طابع خاص فالشيخ مصطفى البكري الصديقي ذكر في رحلته انه لما وصل الى جينين ذات القلعة والحصن وبلغه ان في جهتها الغربية قطّاع طرق قال: فما تركنا الحصن مع المشيئة حتى ذكرنا اسمه اللطيف ستة عشر ألفاً وستمائة وأربعين مرةً، وكان يفعل ذلك في بعض المراحل المخيفة .

انا لا نجد مثل هذه النزعة في اية رحلة كانت .

ش . ج

الظرفاء والشحاذون

في بغداد وباريس

صلاح الدين المنجد

صوّر المؤلف في هذا الكتاب طبقتين من طبقات المجتمع العباسي وهما طبقة الظرفاء وطبقة الشحاذين وقايس بين هاتين الطبقتين وبين أمثالها من الفرنسيين .

واذا أردنا أن نعرف كيف خاض في مثل هذا الموضوع الظريف فلنسمع ما قاله الأستاذ احمد حسن الزيات في بعض مقدمة الكتاب :

« لقد كان الأستاذ المنجد براً بفنه وأدبه. وعربيته وقوميته حين اتجه الى الحضارة الاسلامية في عصرها الذهبي يجلو صورها الاجتماعية الطريفة في مجلاه المعروف بصفاء الذوق وأناقة الأسلوب وحسن الاختيار وجمال العرض ودقة الموازنة وصحة الحكم ... »

لم يغلُ الأستاذ الزيات في كلامه فقد لجأ المؤلف الى موضوع وعر المسلك وما أشك في انه قد أصابه منه شيء غير قليل من الجهد والبلاء ولكنه قد وصل بعد هذا الجهد وهذا البلاء الى عاقبة محمودة فأطلعنا على سيرة الظرفاء الخواص

منهم والعوام وعرض علينا ملابسهم وخواتيمهم وطيبهم وموائدهم ومطاعمهم ومساويكهم ومجالس شرابهم ، ولقد فعل الفعل نفسه في عرض سيرة المتظرفات ولئن كان لا يستطيع أن يصف ملابس الظرفاء والمتظرفات وصفاً دقيقاً لبعد العهد عنها على نحو ما أقرّ بذلك فانه استطاع أن يصف عناية الظرفاء باختيار أجود الثياب وانتقاء الأزياء المنسجمة والألوان المتوافقة والأجزاء المتطابقة .

ولم يكن عرضه لسيرة الشحّاذين أقلّ حسناً من عرضه لسيرة الظرفاء . ففي الكتاب شيء يعجب وموضوع يغري ونهج يروق .

ش . ج

وابل وطل

نظم ابراهيم يعقوب عوبديا — بغداد

هذه قصائد في موضوعات وطنية واجتماعية ونفسية وغيرها نظمها ابراهيم يعقوب عوبديا من بغداد واهداها الى حضرة صاحب الجلالة فيصل الثاني ملك العراق .

اذا وجدت في هذا الشعر شيئاً يحمد صاحبه عليه فهو خلوه من هذه التراكيب والخيالات الأعجمية التي أولع بها بعض شعراء هذا العصر فأصبح شعرهم حائراً ، لا هو من شعر العرب ولا هو من شعر الغرب ولقد يحاول فريق من الشعراء الانطلاق من قيود الماضي ولقد انطلق من هذه القيود قبلهم شعراء كثيرون من شعراء العرب ولكنهم لم يخرجوا عن روح اللغة وخصائص البيان وانما خاضوا في موضوعات حديثة لم يخض فيها من تقدمهم فجاء شعرهم عصرياً في معانيه عربياً في مبانيه فالشاعر الذي يستطيع في هذا العصر ان يتغنى بوطنه وان يطلق قريحته في موضوعات شتى دون أن يحيد عن روح اللغة وعبقريتها انما هو شاعر محمود الأثر .

ش . ج

حروف من نار

عمر أبو قوس

هذا ديوان شعر جمع فيه صاحبه قصائد مختلفة الموضوعات ، تجلَّت في بعضها روح شعرية معقولة مثل القصيدة التي قيلت في رثاء الملك فيصل الأول وتجلت في بعضها الآخر روح قومية متسعة مثل القصيدة التي جاءت فيها هذه الأبيات:

وما العيد الا وحدة عربيــة ترفّ بهــا أعلامهــا وبنودها
فطالعهــا صنعاء والبحر دونهــا وطوروس من أقصى الشمال حدودها
وجيش كموج البحر يزخر هائجًا تضيق به مصر العلى وصعيدها
تضمد جرحاه أوانس يعرب وتنجـده يوم اللقاء أسودهــا

ش. ج

المحرّر

أصدرت نقابة محرري الصحف اللبنانية كتاباً سمته : المحرر ، جمع فيه نقيبهم السيد سليم أبو جمرة ثمرات أقلام المحررين تقديراً لتضحياتهم وتعظيماً لمجهوداتهم وتخليداً لنقابتهم ، والمقالات المجموعة موضوعاتهــا مختلفة : وطنية واجتماعيــة وأدبية وغير ذلك .

وفي خاتمة الكتاب كلمة للأستاذ جبران تويني نقيب جمعية أصحاب الصحف بيّن فيها منزلة المحرر في الجريدة فهو روح الجريدة .

ش. ج

جنكيز خان — امبراطور الناس كلهم

لمؤلفه هارولد لامب . عربه عن الانكليزية اللواء بهاء الدين نوري .

طبع في بغداد عام ١٩٤٦ يدخل في ٣٠٣ صفحات من القطع المتوسط

سيرة طاغية التتر وسلطانهم الأعظم : حديث طفل نبت في الصحاري القاحلة ،

وترعرع بين رعاة وغزاة دأبهم السلب والقتل بدافع الفاقة والجهل . ففي مثل هذه البيئة الفاسدة لمع نجم طاغية الدهر جنكيز خان ، الذي جمع حوله بدهائه وشجاعته ، كافة قبائل مشردة ، فوحد كلمتهم ، ونظم شؤونهم ، وجيش منهم جيوشاً جرارة من اصبر خلق الله على القتال ، لا تعرف الهزيمة ولم تقهر في معركة . خرج بهذه الجيوش من بادية الصين الى ان بلغ بها ما لا يمكن ان يبلغه جيش مثله ، مهما برعت قادته وتوفر عتاده . بسط جنكيز خان سلطانه في مدة ربع قرن على اوسع مملكة سادها انسان ، تمتد من المحيط الهادي الى حدود ارمينيا والعراق الى قلب روسيا لحدود البلغار ، او كما قال : « استطاع هذا الرحالة الذي كان يصطاد الضواري ، ويرعى الأغنام ، ان يحطم جيوش ثلاث امبراطوريات . الا ان هذا الوحشي الذي لم يعش بمدينةٍ ما ، وهو أمي لم يتعلم الكتابة والقراءة ، وضع اسس قوانين لخمسين شعباً من الشعوب » .

واكثر ما يصفه هذا الكتاب هي غزوات هذا الجبار وانتصاراته العسكرية التي هي اروع ما يعرف عنه . ويجعله المؤلف بحق في طليعة القواد العظام الذين خلدهم التاريخ . فهو يفضله على نابليون الذي : « تخلى عن جيش كامل في مصر ، كما ترك بقية جيش آخر في ثلوج روسيا ، واخيراً حار في امره وانخزل في كارثة (واترلو) . لقد هدموا امبراطوريته على مسمع منه ، ومزقوا شريعته وقوانينه » . واما جنكيز خان فقد خلف ملكاً موطد الأركان معزز الجانب . ويرى ايضاً انه يفوق الاسكندر المقدوني ، وان تشابها في انتصاراتهما غير انهما يختلفان في تدابيرهما ومصير ملكهما . فبينما تنهار امبراطورية الاسكندر بعد وفاته وتتمزق وحدتها فيتقاسمها قواده نرى كيف استطاع جنكيز خان ان يحتفظ بجميع فتوحاته وان يورثها ابناءه واحفاده من بعده دون منازع او منافس .

اراد المؤلف ان ينتصر لجنكيز خان فاتهم من كتبوا عنه بأنهم خدعوا بالأساطير التي لفقها اعداؤه « فصوروه ضرباً من القوة الوحشية المتجسمة او كارثة

انبعثت من الصحراء بين عهد وآخر لتقضي على المدنيات السالفة » . ويزعمه لو عرفه الناس لقدروه او كما يقول : « للتعرف على هذا المرء علينا ان نقترب منه وهو بين رجاله ، وعلى وجه الأرض كما كانت قبل سبعة عصور . وليس لنا ان نقيسة بمقاييس المدنية العصرية . بل علينا ان نمحصه باعتبارات عالم قاحل يسكنه الصيادون والرحل الممتطون الجياد العادون وراء الوعل والغزال » .

لقد اجمع مؤرخو عصره على عظمة غزوات جنكيز خان ووفوه حقه ، كما اجمعوا على استنكار فظائعه وجرائمه . فقد خرب البلاد واباد العباد وقضى على المدنيات . ولم ير الشرق شراً اشد من شره ، ولن يغفر لهذا السفاح عدوانه الذي كان من أهم العوامل في انحطاط الشرق وتأخره .

والكتاب بجملته طريف الموضوع وهو اقرب الى القصة منه الى كتب التاريخ : فيه اخبار حروب وغزوات ومغامرات تثير الاعجاب مما حملت احد جنود العرب على أن ينقل لنا اخبار بطولة هذا الرجل الذي قال عنه ابن السبكي في طبقاته انه : « كان من اعقل الناس واخبرهم بالحروب ووضع له شرعاً اخترعه ، وديناً ابتدعه » .

جعفر الحسني

آراء وأنباء

أعضاء المجمع العلمي العربي

في سنة ١٣٦٦ هـ — ١٩٤٧ م

١ السيد محمد كرد علي (رئيس المجمع) دمشق
٢ الدكتور أسعد الحكيم 〃
٣ الأمير جعفر الحسني 〃
٤ الدكتور جميل الخاني 〃
٥ 〃 جميل صليبا 〃
٦ 〃 حسني سبح 〃
٧ السيد خليل مردم بك (أمين السر العام) 〃
٨ 〃 سليم الجندي 〃
٩ 〃 شفيق جبري 〃
١٠ 〃 عارف النكدي 〃
١١ الشيخ عبد القادر المغربي (نائب الرئيس) 〃
١٢ السيد عز الدين التنوخي 〃
١٣ 〃 فارس الخوري 〃
١٤ 〃 محسن الأمين 〃
١٥ 〃 محمد البزم 〃
١٦ الشيخ محمد بهجة البيطار 〃
١٧ الدكتور مرشد خاطر 〃
١٨ الأمير مصطفى الشهابي 〃
١٩ السيد معروف الأرناؤوط 〃
٢٠ 〃 هنري لاوست 〃
٢١ الشيخ راغب الطباخ حلب
٢٢ 〃 عبد الحميد الجابري 〃
٢٣ 〃 عبد الحميد الكيالي 〃
٢٤ الدكتور عبد الرحمن الكيالي حلب
٢٥ الشيخ محمد زين العابدين 〃
٢٦ البطريرك مار اغناطيوس افرام حمص
٢٧ الشيخ سعيد العرفي دير الزور
٢٨ 〃 ابراهيم منذر بيروت
٢٩ السيد أنيس المقدسي 〃
٣٠ 〃 بشارة الخوري 〃
٣١ 〃 بولس الخولي 〃
٣٢ الشيخ فؤاد الخطيب 〃
٣٣ الفيكونت فيليب دي طرازي 〃
٣٤ الدكتور نقولا فياض 〃
٣٥ السيد عيسى اسكندر المعلوف زحلة
٣٦ الشيخ احمد رضا جبل عاملة
٣٧ 〃 سليمان ظاهر 〃 〃
٣٨ السيد ادوار مرقص اللاذقية
٣٩ 〃 محمد سليمان الأحمد (بدوي الجبل) 〃
٤٠ 〃 عبد الله مخلص القدس
٤١ 〃 محمد اسعاف النشاشيبي 〃
٤٢ محمد الشريقي باشا عمان
٤٣ الشيخ رضا الشبيبي بغداد
٤٤ طه باشا الهاشمي 〃
٤٥ السيد عباس العزاوي 〃

٤٦ الشيخ كاظم الدجيلي بغداد
٤٧ 〃 محمد بهجة الاثري 〃
٤٨ الدكتور داود الجلبي الموصل
٤٩ السيد ابراهيم عبد القادر المازني القاهرة
٥٠ احمد أمين بك 〃
٥١ السيد احمد حسن الزيات 〃
٥٢ أحمد لطفي السيد باشا 〃
٥٣ انطون الجميل باشا 〃
٥٤ السيد خليل ثابت 〃
٥٥ خليل مطران بك 〃
٥٦ السيد خير الدين الزركلي 〃
٥٧ الدكتور طه حسين بك 〃
٥٨ السيد عباس محمود العقاد 〃
٥٩ الدكتور عبد الوهاب عزام 〃
٦٠ الشيخ محمد الخضر حسين 〃
٦١ السيد محمد لطفي جمعة 〃
٦٢ الشيخ مصطفى عبد الرازق 〃
٦٣ الأمير يوسف كمال 〃
٦٤ السيد عبد الحميد العبادي اسكندرية
٦٥ حسن حسني عبد الوهاب باشا تونس
٦٦ السيد عبد الحي الكتاني فاس
٦٧ 〃 عبد العزيز الميمني الراجكوتي الهند
٦٨ 〃 عباس إقبال طهران
٦٩ 〃 مارسه تونس
٧٠ 〃 ماسه الجزائر
٧١ السيد محمد الحجوي مراكش
٧٢ السيد كي بوليفيا
٧٣ 〃 بوفا باريز
٧٤ 〃 دوسو 〃
٧٥ 〃 كولان 〃
٧٦ 〃 ماسينيون 〃
٧٧ 〃 آسين بلاسيوس (مجريط) اسبانية
٧٨ 〃 لويس (لشبونة) البرتغال
٧٩ 〃 هيس سويسرا
٨٠ 〃 أراندونك هولاندة
٨١ 〃 هوتسما 〃
٨٢ 〃 كرينكو انكلترا
٨٣ 〃 جيب (ه ١٠٠ر) 〃
٨٤ 〃 بروكلن المانية
٨٥ 〃 هارتمان (ريشار) 〃
٨٦ 〃 سترستين السويد
٨٧ 〃 استروب الدانيمارك
٨٨ 〃 موجيك فينا
٨٩ 〃 ماهلر بودابست
٩٠ 〃 موزل تشيكوسلوفاكية
٩١ 〃 كوفالسكي بولونية
٩٢ 〃 كراتشكوفسكي لينغراد
٩٣ 〃 كرسيكو فنلاندة
٩٤ 〃 فيليب حتي اميركة
٩٥ 〃 هرزفلد 〃
٩٦ 〃 سعيد ابوجمرة البرازيل

اعضاء المجمع العلمي الراحلون

١	الشيخ طاهر الجزائري	دمشق	٢٣	السيد جرجي يني	طرابلس الشام
٢	« سليم البخاري	«	٢٤	الشيخ سليمان أحمد	اللاذقية
٣	السيد مسعود الكواكبي	«	٢٥	الدكتور صالح قنباز	حماة
٤	« مالنجو	«	٢٦	الأب جرجس شلحت	حلب
٥	« الياس قدسي	«	٢٧	« جرجس منش	«
٦	« أنيس سلوم	«	٢٨	السيد قسطاكي الحمصي	«
٧	« جميل العظم	«	٢٩	الشيخ كامل الغزي	«
٨	« سليم عنحوري	«	٣٠	السيد ميخائيل الصقال	«
٩	« عبد الله رعد	«	٣١	الشيخ بدر الدين النعساني	«
١٠	« رشيد بقدونس	«	٣٢	السيد نخلة زريق	القدس
١١	الشيخ عبد القادر المبارك	«	٣٣	الشيخ خليل الخالدي	«
١٢	السيد أديب التقي	«	٣٤	« سعيد الكرمي	طول كرم
١٣	« حسن بيهم	بيروت	٣٥	السيد محمود شكري الآلوسي	بغداد
١٤	الأب لويس شيخو	«	٣٦	« جميل صدقي الزهاوي	«
١٥	الشيخ عبد الله البستاني	«	٣٧	« معروف الرصافي	«
١٦	السيد جبر ضومط	«	٣٨	« طه الراوي	«
١٧	« عبد الباسط فتح الله	«	٣٩	الاب انستاس ماري الكرملي	«
١٨	الشيخ عبد الرحمن سلام	«	٤٠	الشيخ أحمد الاسكندري	القاهرة
١٩	« مصطفى الغلاييني	«	٤١	احمد زكي باشا	«
٢٠	السيد عمر الفاخوري	«	٤٢	احمد شوقي بك	«
٢١	« أمين الريحاني	لبنان	٤٣	السيد اسعد خليل داغر	«
٢٢	الأمير شكيب ارسلان	«	٤٤	حافظ ابراهيم بك	«

٤٥	السيد محمد رشيد رضا	القاهرة
٤٦	السيد مصطفى صادق الرافعي	〃
٤٧	احمد كمال باشا	〃
٤٨	احمد تيمور باشا	〃
٤٩	السيد مصطفى لطفي المنفلوطي	〃
٥٠	الدكتور يعقوب صروف	〃
٥١	السيد اوجينيو غريفيني	〃
٥٢	〃 رفيق العظم	〃
٥٣	〃 داود بركات	〃
٥٤	الدكتور أمين المعلوف	〃
٥٥	الشيخ عبد العزيز البشري	〃
٥٦	الدكتور احمد عيسى بك	〃
٥٧	الأمير عمر طوسون	الاسكندرية
٥٨	الشيخ محمد بن أبي شنب	الجزائر
٥٩	السيد رينه باسه	〃
٦٠	〃 ميشو بللير	طنجة
٦١	〃 زكي مغامز	الاستانة
٦٢	الحكيم محمد أجمل خان	الهند
٦٣	السيد فران	باريز
٦٤	السيد كليمان هوار	باريز
٦٥	〃 جويدي	إيطاليا
٦٦	〃 نللينو	〃
٦٧	〃 هومل	المانيا
٦٨	〃 ساخاو	〃
٦٩	〃 هوروفيتز	〃
٧٠	〃 مارتين هارتمان	〃
٧١	〃 ميتفوخ	〃
٧٢	〃 مونته	سويسرا
٧٣	〃 سنوك هوغرنيه	هولاندة
٧٤	〃 مرجليوث	انكلترا
٧٥	〃 بفن	〃
٧٦	〃 براون	〃
٧٧	〃 بوهل	الدانيمارك
٧٨	〃 بدرسن	〃
٧٩	〃 أغناطيوس غولدصهير	بودابست
٨٠	الشيخ أبو عبد الله الزنجاني	زنجان
٨١	السيد ماكدونالد	أميركا

الأمير شكيب أرسلان

عظيم من عظماء الشرق والمسلمين ، وحجة العرب وامامهم في اللغة والتاريخ والسياسة غير مدافع . واميرهم في البيان والكتابة والخطابة غير منازع . كان — رحمه الله — اذا حدثك في اللغة ، خيل اليك انه رجل اعطى اللغة نفسه ، فأعطته اللغة نفسها ، وغير كثير على مثله ان يبلغ في علم انقطع له ، واختص به ؛ مبلغ الأمير من اللغة . فاذا هو انتقل الى التاريخ ، رأيت منه في هذا العجب العجاب ، معرفة احاطة بأخبار الأولين ، وحوادث المعاصرين ، وفتوحات العرب والمسلمين ، يسير بك من الجزيرة الى مصر فالمغرب فقلب اوروبة الى أقصى الهند وتخوم الصين ، فيسير على هدى وتثبت ومعرفة وتحقيق ؛ وله اطلاع على تواريخ الدول والشعوب قد لا يقل كثيراً عن اطلاعه على تاريخ بلاده وقومه ، وتنتقل من التاريخ الى السياسة فاذا هو البحر يدرك اغوارها ، ولا يدرك فيها غوره : لا تقع الواقعة إلا نظر في خفاياها فعرف نتائجها من مقدماتها . فحذّر وبصّر ، فاذا انجلت الغياهب وانكشفت الحجب ، كان الرأي ما رآه ، والقول ما قاله [1] .

---

(١) كتب عنه الأستاذ مصطفى السباعي في جريدة المنار النشرة الـ ١١٧ ما يأتي :

اجتمعت بالأمير في القاهرة وقد سمرنا ليلة في دار جريدة الشورى ، عند العربي المجاهد الأستاذ محمد علي الطاهر فرأينا مؤرخ اليمن الشيخ عبد الواسع اليمني يعرض على الأمير كتاباً له في تاريخ اليمن ، وفيه بحوث تتعلق بالفقه عرضاً . فسمعت الأمير - رحمه الله - يصحح —

يتناول هذه العلوم التي يتناولها: محدثاً او خاطباً او كاتباً، ببيانه العذب السائغ، وحجته الدامغة، وصراحته العارية الواضحة لا غمغمة ولا مواربة.

وفيه يقول شاعر القطرين خليل مطران في مقدمة ديوان الأمير:

«في هذا المفترق الأول من السبل التي يواجه بها المرء مستقبله — آثر الأمير الترسل، ومضى فيه متدفقاً تدفق الينبوع الصافي مجلجلاً أحياناً جلجلة السيل الكثير الشعاب. وما زال حفظه الله منذ خمس واربعين سنة [1] يتحف قراء العربية في مشارق الأرض ومغاربها بكتب قيمة يقتبسون من انوارها هدى، او يفيدون من مختلف الآراء المنبثة فيها ما يهيئ لهم من امرهم رشداً، الى رسائل متنوعة يجتنون محاسن اغراسها وازاهرها، ويجتنون ما يغذي العقول ويفكه القلوب من اطايب ثمارها؛ الى فصول ومقالات تنشرها المجلات الدورية والصحف اليومية في كل قطر، فما ينقضي يوم من ايام تلك البرهة الا وله في كل منها قلائد تزهى بها صفحاتها، او فرائد تزهو بها انهارها، ولو تفرغت طائفة من حملة الأقلام جم عديدها، فياضة قرائحها فيما يشاء الله من مسائل السياسة والاجتماع والأدب، ومباحث التاريخ والأخلاق، لكتابة ما كتب من تلك الفصول والمقالات، لتعذر عليها ان تأتي مجتمعة، بما أتى به ذلك العلم الفرد».

وفوق هذا ما قال فيه ابو السامي مصطفى الرافعي في عبارة جليلة، آسف انها لا تحضرني الآن.

— الشيخ اليمني بعض ماأورده في الفقه، وبعض تراجم أوردها في كتابه، وكل ذلك من ذاكرته دون أن يرجع الى كتاب.

وحدثنا صديقنا الأستاذ الكبير الشيخ مصطفى الزرقا عن والده علامة حلب، وشيخ مشايخها الشيخ أحمد الزرقا عليه — رحمة الله — انه دخل مرة على علامة الشام الشيخ جمال الدين القاسمي — رحمه الله — فوجده يقرأ مؤلفاً له في التوحيد على شاب تلوح عليه سيما الامارة والنجابة. والشيخ القاسمي يصغي بانتباه الى ملاحظات هذا الشاب فيصححها كما يرى دون اعتراض. فسأل الشيخ الزرقا عن الشاب، فقيل له: انه الأمير شكيب ارسلان.

(١) كتب الخليل هذا سنة ١٩٣٦. أما الواقع فان الأمير — رحمه الله — ظل يكتب ويخطب ويؤلف ستين سنة كاملة من السن السابعة عشرة الى السابعة والسبعين.

هذا هو الرجل الذي فقده وطنه ، ورزئت به أمته ، وهما أكثر ما يكونان حاجة الى علمه الناضج ، ولسانه الناطق ، ورأيه الحميز ، وخبرته الواسعة في شؤون العرب ، والمسلمين ، وفي مطامع الغربيين المستعمرين .

مولده ونشأته : ولد رحمه الله في الشويفات سنة ١٨٦٩ من بيت امارة ، سادوا في الاسلام ، وملكوا في الجاهلية : يتصل نسبهم بالملك المنذر بن النعمان : الشهير بأبي قابوس في ثبت صحيح مسجّل . فهو عربيّ النبعة والنزعة ، عربي اللسان والبيان .

دراسته : درس هو وأخوه الشاعر العربي الفحل : الأمير نسيب دراستهما الأولية ، على شيخ من اهل الشويفات هو مرعي شاهين سلمان ، وأقرأهما في عين عنوب — وقد ذهبوا يصطافون فيها على جاري عادتهم — الشيخ أسعد فيصل كتاب الله ، فحفظا جانباً منه ، ثم عادوا الى الشويفات فدخل هو وأخوه مدرسة للأمريكان في حارة العمروسية : تعلما فيها مدة ، وقرأا في جملة ما قرأا الجغرافية والحساب ومبادئ الانكليزية ، وسنة ١٨٧٩ دخلا مدرسة الحكمة ببيروت ، وهي المعروفة الى اليوم بمدرسة المطران ، وكانت مشهورة باللغة العربية ، وظلا فيها الى سنة ١٨٨٦ . وسنة ٨٨٧ انتقلا الى المدرسة السلطانية وحضرا دروس مجلة الأحكام العدلية ، على الشيخ محمد عبده المصري ، وجعلا يلازمانه في مجالسه الخاصة ، ويزورانه في بيته ببيروت ، وكانت قد انعقدت صداقة أكيدة بينه وبين ابيهما الأمير حمّود رحمه الله .

كانت دراسة الأمير في المدارس محدودة ؛ غير أن دراساته الخاصة ، ومطالعاته العامة كانت لا حدّ لها ، فقد كان يقضي الساعات الطوال دارساً منقباً ، باحثاً مراجعاً . جلَد لا ملل معه ، وصبر لا نفاد له ، يقوم من الساعة السابعة فيجلس الى مائدة الكتابة والمطالعة الى الساعة الواحدة ، فاذا تغدّى استراح الى الساعة الثالثة ثم استأنف عمله الى الساعة الخامسة ؛ ويقضي ثلاث ساعات في شرب الشاي وقراءة الجرائد ، والتنزه ماشياً ، ثم يعود الى العمل ثلاث ساعات في الليل .

هـذا الدأب مضافاً اليه ما وهبه الله من ذكاء ، بوّأه من العلم هذه المنزلة الرفيعة التي لا يتعلق بها درك ، وقد جمع الى معرفة اللغة العربية — وهو فيها المفرد العلم — اللغة الفرنسية والتركية ، ثم الألمانية فالانكليزية .

وقد أفاد كثيراً من صحبته لزعيم الشرق السيد جمال الدين الأفغاني ، ولرجل مصر الشيخ محمد عبده .

وظائفه : تولى من الأعمال الحكومية مديرية الشويفات – وتعرف بالغرب الأقصى –[1] ؛ ثم عين قائم مقام للشوف ، في أواخر مدة نعوم باشا المتصرف الخامس في لبنان ؛ إلا انه لم يطل عهده في القائم مقامية فعزله مظفر باشا لسياسة شخصية ليس هنا موضع ذكرها ، ثم أعاده. يوسف باشا المتصرف السابع ؛ غير انه لم يتحمله طويلاً ، لما كان عليه من الصراحة وحدة المزاج في شبابه ، والاستنكاف عن تنفيذ كثير من الأوامر الجائرة التي كان يتلقاها من مرجعه .

ثم انتخب مبعوثاً عن حوران في مجلس المبعوثات ، الى ان انتهت الحرب العالمية الأولى ، وفصلت الشام عن السلطنة العثمانية .

ولقد أرادوه في عهد من عهود الانتداب على ان يتولى رئاسة المجمع العلمي أو رئاسة الجامعة السورية فرفض[2]

مؤلفاته : أمّا مؤلفاته المطبوعة فأذكر منها :

١ — الباكورة ، وهي ديوان شعره وطبع مرتين .

(١) ولعله من المضحك ، أن يتولى الأمير – رحمه الله – ولو في عهد شبابه مديرية ، بل قائم المقامية التي تولاها فيما بعد ، غير أن الوضع النظامي الذي انتقل اليه لبنان بعد سنة ١٨٦٠ ؛ الغى حكم الاقطاع وقسم لبنان قائمقاميتين، ثم مديريات ، ورأى المتصرفون الأولون أن يجعلوا من كل اقطاع مديرية . وان يحتفظوا لكل عشيرة اقطاعية باقطاعها السابق مديرية لها . فكان تولي المديرية معناه الاحتفاظ بتراث تاريخي قديم .

(٢) حدثني بذلك الأستاذ شفيق جبري : وكان رئيساً لديوان المعارف وقد كتب هو اليه بذلك فأبى .

٢ – رسائل الصابي نقّحها وصحّحها وعلّق عليها .

٣ – ابن سراج وفي ذيله مختصر تاريخ الأندلس .

٤ – الحلل السندسية في الرحلة الأندلسية وهو تاريخ عام شامل يقع في ثمانية اجزاء[1] .

٥ – حاضر العالم الاسلامي في أربعة اجزاء .

٦ – الارتسامات اللطاف .

٧ – غزوات العرب في فرنسة وشمالي ايطالية وفي سويسرة ، وقد ترجم هذا الكتاب الى اللغة الاسبانية .

٨ – لماذا تأخر المسلمون .

٩ – حسن المساعي في تاريخ الامام الاوزاعي .

١٠ – روض الشقيق : ديوان اخيه الأمير نسيب .

١١ – السيد رشيد رضا .

١٢ – شوقي .

١٣ – اناطول فرانس في مباذله .

١٤ – ابن خلدون .

١٥ – مجلدات « الناسيون آداب الأمة العربية » وهي المجلة التي أنشأها باللغة الفرنسية للدفاع عن القضية العربية .

ومن المخطوط :

١ – تاريخ لبنان وعندي نسخة منه .

٢ – اصلاح العامية .

٣ – الجزء الثاني من رسائل الصابي

---

(١) وصف فيه جغرافية الجزيرة الأندلسية بحالها الحاضرة ، وبما كانت عليه أيام العرب ، وزينه بصور وخرائط لأكثر المدن والمباني ، ورجع الى الأسماء العربية التي كانت مستعملة للأماكن والبقاع قبل ان عادت البلاد الى الاسبانيول ؛ وقد حصل على أطلس لقرطبة ايام العرب . وعرّف بالعلماء والأدباء الذين خرجوا في كل بلدة من تلك البلاد .

٤ — كتيب عن البلاشفة .

٥ — رحلة الى المانية .

٦ — مذكراته .

الى غير ذلك من المؤلفات المطبوعة والمخطوطة التي لا تحضرني الآن اسماؤها .

رحلاته : جال الفقيد في الشام من أقصى حدوده الشمالية الى أقصى حدوده الجنوبية ، ورحل الى مصر والأستانة ، وفيها تعرف الى السيد جمال الدين الافغاني واتصل به وأخذ عنه ؛ وعرف كثيراً من الاقطار العثمانية في آسية واوربة وقصد الى طرابلس الغرب مجاهداً على رأس طائفة من جماعته المتطوعة ، وزار الحجاز في الحرب العامة الأولى وبعدها ، وكان في جملة الوفد الذي قصد الى الحجاز ثم اليمن لاصلاح ذات البين بين صاحب الحجاز وصاحب اليمن ، وطوف في القسم الأكبر من اوروبة : فرنسة والمانية وايطالية ولندرة ودول البلقان ولا سيما يوغوسلافية ، وساح في اسبانية فشاهد منها : برشلونة وسرقسطة ، ومجريط ، وطليطلة ، وقرطبة ، وغرناطة ، ورندة ، ومالقة ، ومرسية ، وبلنسية ، وميورقة ، وغيرها ؛ وزار طنجة من المغرب ، واقام برهة طويلة من الدهر في سويسرة : لوزان ثم جنيف ، وزار امريكة الشمالية ، فتلقته جاليتها بكل حفاوة واكرام ، وعرفه كما عرف هو — العالم الاسلامي عامة ، والعالم العربي خاصة .

سياسته : اما سياسته فقد كانت عربية اسلامية : استمسك بالدولة العثمانية بكل جوانحه ومن كل قلبه ، وانفض الناس عنها ، فظل مخلصاً لها الى ان قام الكماليون ، ودكوا الخلافة ، واعلنوا انهم نفضوا عنهم الاسلام وخرجوا منه ، فانقلب عليهم ، ونفض يده منهم .

ولم تكن تلم ببلد اسلامي ، أو بلد عربي ، ملمة استصرخ لها او لم يستصرخ ، إلا كان سريعاً الى الدفاع عنه ، بقلمه وبلسانه ، دفاع اصدق الوطنيين ، عن كرائم وطنه .

فلقد اقض مضجع فرنسة ونغص عليها اساليبها الاستعمارية في الشام : سورية ولبنان ، وفي المغرب ولا سيما يوم اصدرت الظهير البربري . وحمل حملاته الداوية عليه . وأقلق ايطالية وزعيمها موسوليني حتى حمله على التخفيف عن عرب طرابلس والسماح لثمانين الف منهم بالرجوع الى وطنهم .

وهو من السابقين الأولين في تنبيه العرب خاصة والمسلمين والشرقيين عامة الى ما يبيته لهم الاستعمار والمستعمرون من أساليب ، وما ينصبون لهم من شباك وفخاخ . بذكر هذا ويعززه بالوقائع والأرقام .

وكانت سياسته في كل عهوده ، سياسة صريحة صادقة بعيدة عن المصانعة والزلفى ، تخلقت له خصوماً ما بالى بهم ، ولا عدل الى رثاء او دهان ؛ وكان الى جانب هذا : راجح الرأي ، صحيح الحكم ، منصفاً حتى من نفسه ، معترفاً بالفضل لذوي الفضل ، واضعاً نفسه دون قدرها ، رافعاً الناس فوق أقدارهم ؛

اباؤه وصبره : وكان في عمله العلمي والسياسي جلداً جباراً احتمل النفي والغربة ، ماضعف له عزم ، ولالانت له قناة ، ولارضيت له نفسه بما رآه لايجملُ بها .

راجعه شقيقه النسيب ، وكثير من أقربائه واصدقائه في الرجوع الى البلاد ، وضرب له شقيقه مثلاً الشيخ محمد عبده ، وقد رضي بالاقامة بمصر تحت احتلال الانكليز . فأبى الاباء كله ، على حبه لوطنه ، وحنينه اليه ، ورغبته في رؤية أمه واشقائه واقربائه واصدقائه واخصائه ، « ورغم ما أصابه من آلام الغربة ، ومن نغصة البعد عن الأوطان ، التي هواها طبيعي ، والشوق اليها مبرح » والخوف الشديد من ان يموت في ديار الهجرة فيدفن في غير بلده .

أما جلده على العمل وقدرته عليه ، فقد كان بحسبه التآليف التي وضعها واشرنا الى بعضها ، على أنه كان فوق ذلك ، يكتب في الشهر الواحد ما لا يقل عن عشر مقالات يتألف منها في السنة لو هي جمعت ١٢٠ مقالاً اي ٣٠٠ — ٤٠٠ صفحة على أقل تقدير . وكان يرد عليه في الشهر مالا يقل عن ٢٠٠ مكتوب ؛ كان يجيب عنها كلها ، وكان لا يرى لنفسه مندوحة عن الجواب ، لأن رد

الجواب كان في رأيه – كرد السلام ، ويرى في عدم الجواب نقصاً في المروءة ، فكان لذلك يكتب في السنة بين جواب وخطاب ما يزيد على ٣٠٠ رسالة ، وهو عمل ندر في الناس من يستطيعه .

بل هو قد كتب في سبيل الكتاب المعروف الذي زوّر عليه ، الفين وخمس مئة صفحة ، بين رسائل ومقالات ، شغلته مدة شهرين وتزيد .

شعره : اشتهر نثر الأمير فعرفه الناس ، فأصبحوا لا يحتاجون الى من ينوّه لهم بشيء منه ، على انه يحسن بنا ان نورد هنا شيئاً من شعره في مناسبات وطنية .

فما قاله في حرب طرابلس الغرب ، يوم اقامت جمعية الهلال الأحمر حفلة بمصر لجمع الاعانات والمساعدات :

مواطن اخوان تملوا من الردى ... كؤوساً تساقيها بملء الحلاقم
دفاعاً عن الأوطان ان دفاعها ... لدى كل قوم كان اولى المكارم
تهيبهم فيها العدو مهاجما ... فجاء دبيب اللص في ليل قاتم
ولين في اقباله من إهابه ... وهل يخدع الانسان لين الاراقم
فثاروا وما كانت زعانف رومة ... من العرب اكفاء الليوث الضراغم
ونعم سقاط الموت هم كلما بدت ... بروق المواطي في رعود الغماغم
وحسبك منهم كل قوم نمتهمُ ... ارومة قحطان ونبعة هاشم
وكم وقفوا يستنصفون عدوهم ... وهزوا من الاملاك جذع المراحم
فلما رأوا عجز الدليل تطلبوا ... لدى الصارم البتار صدق التراجم
فلم يك مثل السيف كاليوم قاضياً ... ولا العهد مثل الآن احلام حالم
وما طال نوم السيف الا تنبهت ... عيون الدواهي منه عن جفن نائم
اخلايَ سوق للمنايا مقامة ... تباع حفافيها غوالي الجماجم
فهل لكم في سوق بر ورحمة ... تنالون فيها باقيات المغانم
غياثاً لمظلوم ونصراً لصارخ ... وضمداً لمجروح وقوتاً لصائم

ومن قوله :

فياوطني لا تترك الحزم لحظةً بعصر احيطت بالزحام مناهله
وكن يقظاً لا تستنم لمكيدة ولا لكلام يشبه الحق باطله
وكيد على الأتراك قيل مصوب ولكن لصيد الأمتين حبائله
تذكر قديم الأمر تعلم حديثه فكل حديث قد نمته اوائله
اذا غالت الجلى أخاك فانه لقد غالك الأمر الذي هو غائله
ولو لم يفدنا عبرة خطب غيرنا لهان ولكن عندنا من نسائله
سيعلم قومي انني لا اغشهم ومهما استطال الليل فالصبح واصله

وقال في حطين وبحيرتها ويوم صلاح الدين :

يا يوم حطين كم حططت من الـ إفرنج شأناً ما كان ينكسر
هبوا من الغرب كالجراد فلم يكن لشرق يردهم قدَرُ
واستفتحوا القدس والبلاد ولم يعص عليهم بدو ولا حضرُ
وهدّدوا المسجد الحرام وكم دعا ملبٍ فيه ومعتمر
وكاد يبكي الميزاب فيه دماً ورق مما أصابنا الحجر
ونابت المسلمين داهية دهماء قد عمهم بها الذعر
فكل كف اصابها شللٌ وكل عزم اصابه خور
وكل جمع ناواهم انقلبت فرسانه وهي للظبى جَزَر
وحوصرت جلق ولو اخذت لم تبق مدن لنا ولا مَدَر
وقيل دار الاسلام قد حصرت وحفّ باقي بلاده الخطر
مازال ملء القلوب رعبهم ولم يكن نافعاً لها الحذر

* * *

يوم تلاقى الجمعان والتظت الهيـ ـجاء حتى كأنها سَقرُ
يوم تلاقى الجمعان وانتصب المـ ـيزان رهن انحرافه الظفرُ
الشرق والغرب بعد طول وغى تواقفا والبراز مختصرُ
ثلاثةٌ والنزال بينهما نزال من بعد يومه المصرُ

فأمطرتهم قسيّ جيش صلا ... ح الدين نبلاً من دونه المطر
ودّوا وقد ابصروه عارضهم ... لو سترتهم من دونه حُفَر
كأنما قومنا وقد ثبتوا ... شمّ حصون لها القنا جُدُر
كأنما قومنا وقد وثبوا ... زعازع للغصون تهتصر
ذاق العدى من سلاف طعمهم ... كأساً بغير العنقود تختمر
لما بدا الأمر غير ما حسبوا ... والناس من فوق صبرهم صبروا
ولّوا ظبي يوسف ظهورهمُ ... تأخذ منهما فوق الذي تذر
قاصمة الظهر للفرنج غدت ... وقعه قرنى حطين مذ ظهروا
كأن عليا حطين مبتدأ ... وكل فتح من بعده خبر

أخلاقه: وأما أخلاقه ، فأخلاق الأنبياء المرسلين : صفاء قلب ، ونقاء ضمير ؛ لا ضغينة معها ولا حسد ، أساء اليه كثيرون واجتهدوا في الاضرار به ، فعفى عنهم عفو الكريم المقتدر أحياءً ؛ ورثاهم رثاء الواله المتفجع أمواتاً ، بل هو قد قابل اساءة كثير منهم بالاحسان اليهم .

وكان صادق الود لاخوانه ، كثير البر اليهم ، والعطف عليهم ، ينزلهم من نفسه منزلة الأشقاء . بل كان لا يرد قاصداً يطلب اليه معونة مادية كانت ام معنوية ، حتى اضاع كثيراً من ماله في سبيل قصاده واخوانه .

كان الأمير الأرسلاني ـ رحمه الله ـ اذا عزّى اخوانه استشهد لهم احياناً بقول البديع : «الموت أمر عظم حتى هان وخشن حتى لان» .

وخطب هذه الأمة بأميرها وامامها ، عظم حتى مايهون ، وخشن حتى ما يلين ، إلاّ ان يمن الله عليها بخليفة له من بعده ، يسد مسده ، وهو ما لا يكاد يكون ، في المئات من السنين .

رحم الله أباغالب رحمة واسعة ، وأحسن اليه بعد مماته ، على قدر ما أحسن الى هذه الأمة وهذا الوطن في حياته ، وانا لله وانا اليه راجعون .

عارف النكدي

فهرس الجزء الأول والثاني من المجلد الثاني والعشرين

الصفحة

مخطوطات ومطبوعات

آراء وأنباء

مجلة
المجمع العلمي العربي

آذار ونيسان سنة ١٩٤٧ شهر ربيع الآخر وجمادى الأولى سنة ١٣٦٦

كنوز الأجداد

— ٢ —

ابن حزم

(ابو محمد علي ٤٥٦)

كان جده الأعلى أول من أسلم ، وكان مولى يزيد بن أبي سفيان الأموي ، وأصل أهله من فارس وجده الخامس خلف أول من دخل الأندلس من آبائه ، وسكن أول أمره في قرية منت ليشم من اقليم الزاوية في عمل أونبه من كورة لبلة غرب الأندلس . وسكن أبوه قرطبة ووزر للمنصور محمد بن أبي عامر .

ولد علي سنة ٣٨٤ في قصر ما عرف فيه الا النعيم والنعم في صباه وتولى النساء تربيته وربي في حجورهن ونشأ بين أيديهن ولم يعرف غيرهن ، ولا جالس الرجال الا وهو في حد الشباب وحين تبقل وجهه ، وهن علمنه القرآن ، وروينه كثيراً من الأشعار ، ودربنه في الخط » فكانت ثقافته أرقى ثقافة يثقفها ابناء العظماء ، وما كانت المظاهر الخلابة التي شاهدها في قصر أبيه لتحول دون رغبته

في التناغي بالعلم والغرام بالأدب وما كان ذاك الثراء ليبطره فيشغل نفسه بما لا يجدي عليه في حياته . وناقش مرة أحد علماء الأندلس فقال له هذا : ان أكثر مطالعاته كانت على سراج الحراس فأجابه علي أن أكثر مطالعاته كانت على منابر الذهب والفضة ، يريد أن الغنى أمنع لطلاب العلم من الفقر .

ولما تغلب البربر على قرطبة وعلي في الخامسة عشرة في عمره انتقل أبوه من دورهم المحدثة بالجانب الشرقي من قرطبة في ربض الزاهرة الى دورهم القديمة في الجانب الغربي ، ثم انتهب البربر دورهم في الجانب الغربي هذا ونزلوا فيها فخرج عن قرطبة وسكن المرية . وقال ابن حزم انهم شغلوا « بالنكبات وباعتداء ارباب دولة هشام المؤيد ، وامتحنا بالاعتقال والترقيب والاغرام الفادح والاستتار وأرزمت الفتنة والقت باعها وعمت الناس وخصتنا » ثم نكبه صاحب المرية بدعوى انه يسعى في القيام بدعوة الدولة الأموية فاعتقل أشهراً ، ثم أخرج على جهة التغريب ، ثم صار الى حصن القصر ولقي صاحبه التجيبي فأقام عنده شهوراً « في خير دار اقامة وبين خير أهل وجيران » ثم ركب البحر قاصداً بلنسية عند ظهور أمير المؤمنين عبد الرحمن بن محمد وسكن بها وتولى له الوزارة ثم تولاها لهشام المعتمد بالله .

هذه بالاجمال سيرة ابن حزم السياسية الى العقد الثالث من عمره . ولما رأى ما رأى من تقلقل الدول في الأندلس وعزفت نفسه عن أمور « الرياسة التي كانت له ولأبيه من قبله في الوزارة وتدبير الملك » أقبل على قراءة العلوم وتقييد الآثار والانتفاع بدروس أجل رجال عصره .

نبغ ابن حزم في الأدب والفلسفة والطب والحديث والفقه والتاريخ وكان أصولياً نظاراً كاتباً شاعراً يرتجل الشعر ويبتده الخطب ويضع الكتب وكان « أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الاسلام واوسعهم معرفة مع توسعه في علم اللسان ووفور حظه من البلاغة والشعر والمعرفة بالسير والأخبار » « وكان

شافعياً أولاً ثم صار ظاهرياً على مذهب داود بن علي بن خلف الاصفهاني ومن قال بقوله من اهل الظاهر ونفاة القياس» وناضل عن مذهبه الجديد فنال منه فقهاء الأندلس ، وكان اكثرهم يميل الى القول بمذهب مالك ولولا ان حال صاحب الكربة دون تحاملهم عليه لأوردوه حتفه واكتفوا بأن احرقوا بعض كتبه في احدى ساحات اشبيلية وحرموا النظر فيما كتب ، ولولا ان حمل بعض تلاميذه كتبه الى الشرق لما انتشرت في الآفاق . اما هو فظلّ على كثرة معانديه يقرأ ويُقرئ ويدرس في بلده حتى مضى لسبيله .

وفي احراق ابن عباد كتبه قال ابن حزم :

فان تحرقوا القرطاس لاتحرقوا الذي تضمنه القرطاس بل هو في صدري

يسير معي حيث استقلت ركائبي وينزل ان انزل ويدفن في قبري

دعوني من احراق رقّ وكاغد وقولوا بعلم كي يرى الناس من يدري

والا فعودوا في المكاتب بدأة فكم دون ما تبغون لله من ستر

ومما عدوه عليه انه كانت « له مجالس مع اولي المذاهب المرفوضة من أهل الاسلام » اي انه كان يجتمع الى غير السواد الأعظم ، وعابوا عليه انه خالف ارسطو في بعض آرائه ، كأن الاجتماع بالمخالف والنقد على صاحب الرأي من الكبائر . والذي ينتقد عليه في الحقيقة انحاؤه على بعض الأئمة ومغالاته في رد كل من خالف مذهبه من فرق الاسلام ، يستعمل لهجة قاسية حتى قالوا انه كان يصك معارضه في علمه صك الجندل وينشقه متلقنه انتشاق الخردل . قالوا وكان مما يزيد في شنآنه تشيعه لأمراء بني أمية ماضيهم وباقيهم بالشرق والاندلس واعتقاد صحة امامتهم وانحرافه عمن سواهم من قريش .

قال عن نفسه معتذراً عما يبدو في كلامه من الشدة على من لم يتبع مذهبه انه كانت به علة شديدة أصابته فولدت عليه ربواً في الطحال شديداً فولّد ذلك عليه من الضجر وضيق الخلق وقلة الصبر والنزق أمراً جاشت به نفسه .

وقال انه انتفع بمحك اهل الجهل منفعة عظيمة وهي انه توقد طبعه واحتدم خاطره وحمي فكره وتهيج نشاطه فكان ذلك سبباً الى تواليف عظيمة النفع ولولا استثارتهم ساكنه واقتداحهم كامنه ما انبعثت لتلك التواليف .

وقال عن نفسه انه جبل على طبيعتين لا يهنؤه معهما عيش ابداً وهما وفاء لا يشوبه تلون ، قد استوت فيه الحضرة والمغيب والباطن والظاهر ، وعزة نفس لا تقر على الضيم مهتمة لأقل ما يرد عليها من تغير المعارف مؤثرة للموت عليه . فكل واحدة من هاتين السجيتين تدعو الى نفسها وقال واني لأجفى فاحتمل واستعمل الأناة الطويله والتلوم الذي لا يكاد يطيقه أحد ، فاذا أفرط الأمر وحميت نفسي تصبرت وفي القلب ما فيه .

وقال غاظني أهل الجهل مرتين من عمري احداهما بكلامهم فيما لا يحسنونه ايام جهلي ، والثانية بسكوتهم عن الكلام بحضرتي ، فهم ابداً ساكتون عما ينفعهم ناطقون فيما يضرهم . وسرني اهل العلم مرتين من عمري احداهما بتعليمي ايام جهلي والثانية بمذاكرتي ايام علمي .

كان ابن حزم يعرف كيف يحاج المخالفين له ويبذهم ، لأنه كان أرقى منهم كما ظهر ، مع ما أوتيه من بلاغة اللسان وبلاغة القلم ، وحضور الذهن ، ووفرة المادة ، وشدة الاخلاص والصدق ، ولما ضاق به مخالفوه ذرعاً لجأوا الى السلطان فما استطاعوا ان يذلوه وهو العزيز ولا ان ينتقصوه وهو الكامل ، ولا ان يجهلوه وهو العالم وكيف يصلون الى غاياتهم منه وهو الذي انتشرت في الأقطار كتبه في حياته وما وسع حتى اعداؤه في رأيه ان ينكروا فضله العظيم .

ألف تآليف كثيرة بلغت نحو أربعمائة مصنف تدخل في ثمانين الف ورقة فكان اكثر علماء الاسلام تآليف بعد ابن جرير الطبري .

وانت ايها القارئ العزيز اذا احببت ان تقرأ نمطاً عجيباً من رد ابن حزم على مخالفيه وكيف يزيف اقوالهم ويشتد في حوارهم طالع « الفصل في الملل

والأهواء والنحل » واذا شئت ان تطلع على الحكم فيما اختلف فيه الناس من أصول الأحكام في الدين فطالع كتابه الجامع « لإحكام في أصول الأحكام » واذا سمت بك همتك الى التبحر في الحجاج ومعرفة الاختلاف وتصحيح الدلائل المؤدية الى معرفة الحق مما تنازع الناس فيه ، والاشراف على احكام القرآن والوقوف على جمهرة السنن الثابتة عن رسول الله وتمييزها مما لم يصح والوقوف على الثقات من رواة الأخبار وتمييزهم من غيرهم والتنبيه على فساد القياس وتناقضه وتناقض القائلين به فليكن تصفحك لكتابه « المحلّى » واذا جنحت الى تعرف حكمة العشق يطلعك بمجالس في الحب وعلم النفس على تحليل ارواح النساء والرجال وكشف اسرار الجنسين . وفي كل أولئك تدرك مبلغ ابن حزم من حرية القول وبعد التفكير وتتبين درجة أدبه على ما لا يخطر ببالك صدور مثله عن مثله فاقرأ كتابه البارع « طوق الحمامة في الألفة والألاف » يثبت لك من هذا ان ابن حزم لايقول بالتقية وهو القائل : « ولا انسك نسكاً أعجمياً ، ومن أدى الفرائض المأمور بها واجتنب المحارم المنهي عنها ، ولم ينس الفضل فيما بينه وبين الناس فقد وقع عليه اسم الاحسان ، ودعني مما سوى ذلك » ، ومن أحب ان يقرأ فلسفته في الأخلاق وما يصلح الجماعات والمجتمعات فليقرأ كتابه « مداواة النفوس » وهذا كتاب كله زبدة يجزيء قارئه عن كثير مما كتب في موضوعه ويبين درجته من الحكمة .

ذاك بعض كتبه التي تخطتها حملات خصومه فسلمت وانك لتقرأ إسناده في الشريعة فتدهش لما ترى من احاطته بأطراف كل موضوع خاض عبابه كأن مسائل الدين صفحة واحدة ماثلة امام عينه استظهرها في الصغر واستخرج ايام نضج عقله وعلمه كل ما فيها من دقائق الحقائق . فكان بهذا حقاً من أعظم علماء الاسلام لم يجيء في بابه بضعة رجال من عياره .

ابن حزم إمام في كل شأن في الدين والحكمة والأخلاق والأدب والتاريخ وفي كل ما اتقن من علم وتمثله وألف فيه . فهو جد عظيم يملك عليك نفسك

وانت تنظر فيما شرح او بسط وحاور وجادل، يتعاظمك بسلطان علمه فتكبره وتكبر أدبه ، ويعجبك بشدة غيرته على بث دعوته ، ويسوءك ان يسيء اليه معاصروه وهو الذي كان كله احساناً . ومن « طوق الحمامة » تعرف اي اديب هو ومن « المحلى » تدرك اي عالم ديني هو وتنادي لا تبالي هكذا فليكن العلماء . ناهيك من رجل ينشأ على الفضائل الموهوبة والمكسوبة ولم يلهه ترف القصور عن الاستغراق في معالجة صعاب المسائل . ولما علم تقصيره في بعض الفروع الشرعية وهو في نحو الثلاثين من عمره عاد فقعد مقعد المتعلم بين ايدي العلماء يحصل ما فاته وما برح يتلقى عن الشيوخ حتى بلغ درجة الاجتهاد وأعظم بها من مرتبة لا ينالها في قطره وعصره الا من استحقها الاستحقاق كله ، خصوصاً وهو بين ظهراني خصماء غير رحماء واعداء ارداء ، يحسدونه على نعمته ونعمة آبائه وعلى علمه وعلى مكانته ورجاحته .

ابن حبّان البستي
(ابو حاتم محمد ٣٥٤)

عربي اتصل نسبه بالياس بن مضر نشأ في بُست مدينة بين سجستان وغزنين وهراة لا يعرف عن نشأته الا ما قالوه من أنه كان مكثراً من الحديث بالرحلة والشيوخ وانه سمع الحديث من خلائق في خراسان والعراق والحجاز والشام ومصر والجزيرة وغيرها وقال في بعض كتبه : ولعلنا كتبنا عن الف شيخ ما بين الشاش والاسكندرية .

ولي قضاء سمرقند ثم قضاء نسا وغيرها ثم صرف من القضاء بدعوى انه زعم ان النبوات علم وعمل وانه صنف لأبي الطيب المصعبي كتاباً في القرامطة . وقال بعضهم ان له أوهاماً أنكرت عليه وأنه طعن عليه بهفوة منه بدرت ولها محل لو قبلت . وقيل ان الخليفة قتله بدعوى انه يعرف بعض العلوم الرياضية وهو في الثلاثين من عمره ! وقيل مات حتف أنفه . والأرجح ان كتابه في

القرامطة تحمل افكاراً لا يرضاها السلطان فنقموا منه ما كتب ، فكان مقتله سياسياً .

كان البستي عالماً بالمتون والأسانيد أخرج من علوم الحديث ما عجز عنه غيره ، وصحيحه فيه أصح من سنن ابن ماجة وكانت الرحلة بخراسان الى مصنفاته لأنه أدرك الأئمة والعلماء والأسانيد العالية وكان وعاء من أوعية العلم في اللغة والفقه والحديث والوعظ ، عارفاً بالطب والنجوم والكلام ، عاقلاً المعياً وكاتباً لوذعياً .

وذكر العارفون ان من الكتب التي تكثر منافعها ان كانت على قدر ما ترجمها به واصفوها مصنفات ابي حاتم وهي في الحديث ومناقب الأئمة ، والعلوم وأنواعها ، والهداية الى علم السنن . وقد سبلها ووقفها وجمعها في دار رسمها بها جعلها لأصحابه ، وبنى مسكناً للغرباء الذين يقيمون بها من أهل الحديث والمتفقهة وجعل لهم جرايات يستنفقونها دارة . وأوصى وصيه ان يبذل كتبه لمن يريد نسخ شيء منها من غير أن يخرجها من دارها . وتشتت كتبه مع « تطاول الزمان وضعف السلطان واستيلاء ذوي العيث والفساد على تلك البلاد وجهل اهلها ، فلم تتداول بالنسخ » ضاع أصلها ولم يكثر فرعها .

لم نعرف ان كان طبع لابن حبان شيء من كتبه المحررة في العلم الذي اشتهر به في القاصية والدانية ، وغاية ما طبع له كتاب « روضة العقلاء ونزهة الفضلاء » وهو كتاب بديع قسمه الى زهاء خمسين مطلباً ، ابتدأ كل مطلب بحديث وأتبعه بما قصد بيانه ، ووشاه بشواهد كثيرة من الشعر وغيره ، بحيث يستفيد منه الكبير والصغير ، ويتأدب به الأمير والأجير ويغني غناءه في تربية الرجال والنساء ، ببيان معجب وتنسيق جاءت معه فصوله ذات حجم واحد متوازية الفائدة آخذة من الحسن والاحسان بأوفر نصيب .

ابن حبان ينقل الشعر والنثر بالرواية على أصول المحدثين ومنظومه طبقة يتنافس فيها ، ثم يأتي من عنده بكلام يدل على بعد غورة ولطف أدائه ، وقد يورد في بعض الفصول قصصاً تروق وتعلم ، ويخاطب العقل وما يجدر بصاحبه عمله « لأن من جاوز الغاية في كل شيء صار الى النقص ، ولا ينفع العقل الا

بالاستعمال كما لا تنفع الأعوان الا عند الفرصة ، ولا ينفع الرأي الا بالانتحال كما لا تتم الفرصة إلا بحضور الأعوان » .

قال أنشدني عبد الرحمن بن محمد المقاتلي :

فمن كان ذا عقل ولم يك ذا غنى   يكون كذي رجل وليست له نعل

ومن كان ذا مال ولم يك ذا حجى   يكون كذي نعل وليست له رجل

ومما حكاه قال : سمعت اسحق بن احمد القطان البغدادي بتستر يقول : كان لنا جار ببغداد كنا نسميه طبيب القراء كان يتفقد الصالحين ويتعاهدهم ، فقال لي : دخلت يوماً على احمد بن حنبل فاذا هو مغموم مكروب فقلت : مالك يا أبا عبد الله . قال : خير . قلت ومع الخير ، قال : امتحنت بتلك المحنة حتى ضربت ثم عالجوني وبرأت ، إلا أنه بقي في صلبي موضع يوجعني ، هو أشد علي من ذلك الضرب . قال : قلت اكشف لي عن صلبك : قال : فكشف لي فلم أر فيه إلا أثر الضرب فقط . فقلت : ليس لي بذي معرفة ، ولكن سأستخبر عن هذا . قال : فخرجت من عنده حتى أتيت صاحب الحبس ، وكان بيني وبينه فضل معرفة ، فقلت له : أدخل الحبس في حاجة قال : ادخل . فدخلت وجمعت فتيانهم ، وكان معي دريهمات فرقتها عليهم ، وجعلت أحدثهم حتى أنسوا بي . ثم قلت : من منكم ضرب أكثر ؟ قال : فأخذوا يتفاخرون حتى اتفقوا على واحد منهم أنه أكثرهم ضرباً وأشدهم صبراً . قال : فقلت له : أسألك عن شيء قال : هات . فقلت : شيخ ضعيف ليس صناعته كصناعتكم وضرب على الجوع للقتل سياطاً يسيرة ، إلا أنه لم يمت ، وعالجوه وبرأ ، الا أن موضعاً في صلبه يوجعه وجعاً ليس له عليه صبر . قال : فضحك ، فقلت : مالك ؟ قال الذي عالجه كان حائكاً . قلت : إيش الخبر ؟ قال : ترك في صلبه قطعة لحم ميتة لم يقلعها . قلت : فما الحيلة ؟ قال : يبط صلبه وتؤخذ تلك القطعة ويرمى بها ، وإن تركت بلغت الى فؤاده فقتلته . قال : فخرجت من الحبس فدخلت

على احمد بن حنبل فوجدته على حالته ، فقصصت عليه القصة قال : ومن يبطه ؟ قلت : أنا ، قال : أوتفعل ؟ قلت : نعم قال : فقام ودخل البيت ثم خرج وبيده مخدتان وعلى كتفه فوطة فوضع احداهما لي والأخرى له ثم قعد عليها وقال : استخر الله فكشفت الفوطة عن صلبه وقلت : أرني موضع الوجع قال : ضع اصبعك عليه فاني أخبرك به ، فوضعت اصبعي وقلت : ها هنا موضع الوجع ؟ قال : ههنا احمد الله على العافية . فقلت : ههنا قال : هاهنا احمد الله على العافية . فقلت ها هنا قال : ها هنا اسأل الله العافية . قال : فعلمت انه موضع الوجع ، قال : فوضعت المبضع عليه فلما أحس بحرارة المبضع وضع يده على رأسه وجعل يقول : اللهم اغفر للمعتصم ، حتى بططته . فأخذت القطعة الميتة ورميت بها وشددت العصابة عليه ، وهو لا يزيد على قوله : اللهم اغفر للمعتصم . قال : ثم هدأ وسكن ثم قال : كأني كنت معلقاً فأحدرت - قلت : يا أبا عبد الله ان الناس اذا امتحنوا محنة دعوا على من ظلمهم ورأيتك تدعو للمعتصم . قال اني فكرت فيما تقول ، وهو ابن عم رسول الله ﷺ فكرهت آتي يوم القيامة وبيني وبين احد من قرابته خصومة ، وهو مني في حل .

ومن حكاياته ، وحكاياته على الأغلب ذات مغزى سياسي واجتماعي : انبأنا محمد بن صالح الطبري بالصيمرة حدثنا محمد بن عثمان العجلي قال : لما حدث شريك بحديث الأعمش عن سالم بن ثوبان أن النبي ﷺ قال : « استقيموا لقريش ما استقاموا لكم ، فاذا خالفوكم فضعوا سيوفكم على عواتقكم فأبيدوا خضراءهم ، فان لم تفعلوا فكونوا زراعين أشقياء » . سعي به الى المهدي فبعث الى شريك فأتاه ، فقال : حدثت بها قال : نعم قال : عمن رويتها قلت : عن الأعمش قال : ويلي عليه لو عرفت مكان قبره لأخرجته فأحرقته بالنار . قلت : انه كان مأموناً على ما يروى . قال : يا زنديق لأقتلنك . قلت : الزنديق من يشرب الخمر ويسفك الدم . قال : والله لأقتلنك قلت : أو يكفي الله . قال : فخرجنا من عنده فاستقبلني الفضل بن الربيع فقال : ليس لك موضع

تهرب اليه ؟ قلت : بلى ، قال : فانه أمر بقتلك قال : فخرجت الى جبل ، وخرجت يوماً أتجسس الخبر فأقبل ملاح من بغداد فاستقبله ملاح آخر من البصرة ، فسأله ما الخبر ؟ قال : مات أمير المؤمنين . قلت : يا ملاح قرّب ، قرّب . وفي هذه القصة اشارة الى ظلم العباسيين وفي أقل منها كانوا يستبيحون اهلاك الناس ولذلك ما كان ابن حيان من المرضي عنهم في بلاط بغداد على ما يظهر . وما أغناه انطواؤه على علم غزير وخير كثير . أفاد الأمة من كل وجوه الاستفادة فما نال منها الا كفر ما أسدى وغمط ما اجدى .

الراغب الاصفهاني

(الحسين بن محمد مات سنة ٣٩٩ وقيل ٤٠٢)

لاتصال العلماء والأدباء برجال السلطان وتصرفهم لهم في القضاء والعمالات او تقريبهم منهم بالمنادمة والتأديب والشعر دخل كبير في استفاضة شهرتهم وتناقل آرائهم وتآليفهم . وكم من عظيم لم يتول قضاء ولا عملاً للدولة بقي على خمول لا يكاد يشعر به ولا يعرفه غير بعض ابناء حيّه ومنهم على ما يظهر الراغب الاصفهاني .

لم يترجم له حتى اصحاب الطبقات من أهل مذهبه وغاية ما اتصل بنا من أخباره انه كان صاحب لغة وعربية وحديث وشعر وكتابة وأخلاق وحكمة وانه عارف بعلوم الأوائل وغير ذلك وانه كان مقبولاً عند الخاصة والعامة ومن أئمة السنة شافعي المذهب وقرنوه بالغزالي وقيل ان الغزالي كان يستصحب كتابه الذريعة ويستحسنه لنفاسته وان القاضي البيضاوي اعتمد على كتابه مفردات الراغب في التفسير .

أما اين قرأ الراغب وعمن اخذ وكيف نبغ وكيف نفع الى غير ذلك من خصائصه وحليته ورحلته فلم نقف على شيء منه يبل الغلة وكانت اصفهان في أيامه عش العلماء والائمة على ما كانت نيسابور لم تخرج مدينة من المدن

في فارس أمثالهم في كل فن ولا سيما الحديث وحفاظه على أننا لا نعرف ان كان الراغب نشأ في تلك المدينة الجميلة ام انها موطن أسرته وهو عاش في مدينة أخرى من فارس .

وكأن لسان الحال نادى من غفلوا أو تغافلوا عن التنويه به في كتبهم : انكم يا هؤلاء اذا اهملتموني فالقدرة تعلقت بأن تناقل الناس كتبي وانتفعوا بها في مختلف الأعصار والأقطار . وهل يستغني طالب الوقوف على اسرار التنزيل عن الأخذ من كتابه « المفردات في غريب القرآن » وقد شاع بين الناس باسم « مفردات الراغب » ؟ وهل تسد حاجة المتفقه بغير كتابه « الذريعة الى مكارم الشريعة » اذا أراد الجمع بين احكام الشرع ومكارمه علماً وعملاً ؟ وهل يتم أدب المتأدب اذا لم يأخذ من كتابه « محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء » الذي أطلق عليه الناس اسم « محاورات الراغب » تخفيفاً فاقترن باسمه على الدهر ؟ وهل المتعلم في غنية عن مدارسة كتابه « تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين » .

الراغب لا يتكلم عن نفسه ، بل ينقل في العلم والأدب — اللهم اذا حكمنا عليه بما بقي لنا من ممتع تراثه هذا ، وهو الكتب الأربعة السابقة — كلام من تقدمه ويضع الدساتير ويختط الخطط ، وقد امتاز بأن العقل يتجلى في سطور ، فهو من أعظم العلماء الذين يحسنون استخراج الآي من القرآن ويوردونه عند الاقتضاء دليلاً على ما يريدون الافاضة فيه . ومن اعظم من طبقوا الحكمة اي علم العقل على الشرع كما امتاز بتنسيق فصول كتبه وسهولة عبارتها مع بلاغتها واقتصاره في تقريره على ما يجب ان يبقى في الذهن ولا تعافه النفس لطوله ولفه ودورانه .

يقول لك الراغب في المفردات « ان اول ما يحتاج ان يشتغل به من علوم القرآن العلوم اللفظية ومن العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة فتحصيل معاني مفردات الفاظ القرآن في كونه من اوائل المعاون لمن يريد ان يدرك معانيه

كتحصيل اللّبن في كونه من ادل المعاون في بناء ما يريد-ان يبنيه وليس ذلك نافعاً في علوم القرآن فقط بل هو نافع في كل علم من علوم الشرع فألفاظ القرآن هي لب كلام العرب وزبدته وواسطته وكرائمه وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحِكَمهم واليها مفزع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم ...»

ويقول لك في الذريعة انه باكتساب المكرمة يستحق الانسان ان يوصف بكونه خليفة الله تعالى المعنيّ بقوله تعالى اني جاعل في الأرض خليفة، وبقوله تعالى ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون وبقوله تعالى وهو الذي جعلكم خلائف في الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم . وان خلافة الله عز وجل لا تصحُّ إلا بطهارة النفس كما ان اشرف العبادات لا تصح الا بطهارة الجسم .

ويقول لك في تفصيل النشأتين ان العقل لن يهتدي الا بالشرع والشرع لا يتبين الا بالعقل فالعقل كالأس والشرع كالبناء ولن يغني أس ما لم يكن بناء ولن يثبت بناء ما لم يكن أس . وأيضاً فالعقل كالبصر والشرع كالشعاع ولن يغني البصر ما لم يكن شعاع من خارج ولن يغني الشعاع ما لم يكن بصر ولهذا قال الله تعالى لقد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سُبُل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه . وأيضاً فالعقل كالسراج والشرع كالزيت الذي يمده فان لم يكن زيت لم يحصل السراج وما لم يكن سراج لم يضيء الزيت قال الله تعالى «الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار، نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء» والله هو الهادي وأيضاً فالشرع عقل من خارج العقل شرع من داخل وهما متعاضدان بل

متحدان ولكون الشرع عقلاً من خارج سلب الله تعالى اسم العقل من الكافر في غير موضع من القرآن نحو قوله : صم بكم عمي فهم لا يعقلون ، ولكون العقل شرعاً من داخل قال في وصف العقل « فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم » فسمى العقل ديناً ولكونهما متحدين قال « نور على نور » اي نور الشرع ونور العقل ثم قال يهدي الله لنوره من يشاء . فجعلهما نوراً واحداً فالشرع اذا فقد العقل عجز عن أكثر الأمور عجز العين عند فقد الشعاع » .

بينا يقول لك هذا اذا به في محاضراته اديب لا يتورع عن نقل كل ما ندعوه بالأدب الواقع أو المكشوف في جملة ما ينقل من فرائد الشعر ويتيمات النثر هو هناك اديب على أكمل وجه عرف به اديب ويقول « ومن لا يتحلى في مجلس اللهو الا بمعرفة اللغة والنحو كان من الحصر صورة ممثلة أو بهيمة مهملة ومن لا يتبع طرفاً من الفضائل المخلدة من ألسنة الأوائل كان ناقص العقل . ويبدأ كتابه بباب العقل والعلم . فهو معلم صادق في كل ما كتب لا يحب التزمت ويبعد عن التقية ويلقنك ما يعتقد صحته وفصاحته بدون مواربة .

كتب كتابه هذا لأمير من أولئك الأمراء على ما يظهر وخاطبه بسيدنا عمر الله بمكانه مرابع الكرم ليجعل هذه المحاضرات « صيقل الفهم ومادة العلم » لأنه كان ممن سلك في زمانه طريقاً قل سالكوه جعل مراعاة الأدب شعاره ودثاره » .

هذه نتفة من سيرة عظيم الشرع ونابغة العقل ولم نعرفه إلا كما عرفنا اكثر العلماء ، مثلوهم لأعيننا كباراً من أول يوم وما وقفوا على بيوتهم ونشأتهم ودراستهم وشيوخهم ومعاشهم وصفاتهم وما وقع لهم من الأحداث في حياتهم مما كانوا لا يرون فيه كبير أمر وممن لا نتصور الرجال الا به .

محمد كرد علي

شرح ديوان المتنبي لابن عدلان
لا للعُكْبَرِيّ
— ٣ —

أحوال شارح الديوان

لقد استبان مما بسطناه من أدلة النفي — أعني نفي أن يكون الشرح المنسوب الى العكبري من تأليفه — أنه كان من أهل الموصل أو طالباً للعلم فيها وأنه قرأ ديوان المتنبي على عالم الموصل ابي الحرم مكي بن ريّان الماكسيني وأنه كان بصيراً لا ضريراً وينتسخ بخطه من كتب النحو والأدب وأنه انحدر من الموصل الى بغداد ورأى في طريقه بسامرا مشهد المهديّ محمد بن الحسن العسكري وأنه دخل الكوفة ثم درس بالشام على ضياء الدين نصر الله بن الأثير، ثم بمصر على ابي محمد عبد المنعم بن صالح النحوي المتوفى سنة (٦٣٣) وقرأ عليه ديوان المتنبي . فهذه الأحوال هي التي بعثتنا على أن نحسب الشرح لشرف الدين الحسين بن ابراهيم الاربليّ ، ولكنها في الحقيقة لم تتوفر فيه لأنا لم نجد مَن ذكر أنه درس على الماكسيني ولا على عبد المنعم الاسكندراني ، ولا فعل كذا وكذا مما هو منسوب الى الشارح بقلمه واشارته ، فانْ سقط اسم شرف الدين من الترجيح فعلينا أن نبحث عن أدباء أوائل القرن السابع الذين تدخل في الامكان نسبة شرح الديوان الى كل واحد منهم وهم :

(١) — شهاب الدين ابو طاهر وأبو الفداء وأبو المحامد اسماعيل بن حامد بن عبد الرحمن الأنصاري الخزرجي القوصيّ ، المتوفى سنة «٦٥٣» ذكره ابن العديم الحلبي في تاريخ حلب وقال «جمع معجماً لشيوخه في مجلدات أربعة» وذكر الذهبي

أنه روى عن ابي الحرم مكي بن ريان الماكسيني المذكور قبل ذلك ولكن لم يذكر لنا أحد أنه ألّف في النحو ولا اشتغل بديوان المتنبي إذن تسقط استجازة نسبة الشرح اليه .

(ب) — أبو البركات المبارك بن الشعار الموصلي مؤلف « عقود الجمان في شعراء الزمان » و « ذيل معجم الشعراء » الذي للمرزباني قال الحاجي خليفة « عقود الجمان في شعراء الزمان : لأبي البركات مبارك بن أبي بكر ابن الشعار الموصلي المتوفى سنة (٦٥٤) أربع وخمسين وستمائة وهو مجلدات » ثم قال « معجم الشعراء للشيخ أبي عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني ... وذيله أبو البركات مبارك ابن أبي بكر بن الشعار الموصلي المتوفى سنة « ٦٥٤ » أربع وخمسين وستمائة وسماه تحفة الوُزراء المذيل على كتاب معجم الشعراء [1] ... »

وذكره اليافعي في تاريخه ومؤلف غربال الزمان في وفيات الأعيان ، قال في وفيات سنة (٦٥٤) :

« وفيها الكمال أبو البركات المبارك بن حمدان الموصلي مؤلف عقود الجمان في شعراء الزمان [2] » وزاد عليه ابن العماد أنّ وفاته كانت بحلب [3] . ولم يُشر أحد الى أنه الف في النحو ولا في شرح شعر المتنبي ، فكيف نستجيز نسبة شرح هذا الديوان اليه ؟

شارح الديوان ابن عدلان الموصلي

لا سبيل لنا إذن سوى الرجوع الى شرح الديوان مرّة ثانية فانّ الله تعالى قد أعان علي أن يُعرَفَ صاحبه وللعون علامات ، فقد جاء في الشرح في بيان قول المتنبي :

(١) والظاهر أن له « مختصر طبقات الشعراء » لابن المعتز وذيلها في خزانة الاسكوريال بإسبانية ، برقم ٢٧٩ من فهرست درنبرغ - Derenbourg, Les Mss arabus de l'Escurial, 1, 177, no. 279

(٢) أصول التاريخ والأدب مج ٧ ص٥٦

(٣) شذرات الذهب ج ٥ ص ٢٦٦

تتقاصر الأفهام عن ادراكه مثل الذي الأفلاك فيه والدُنا

قوله «قال ابو الحسن عفيف الدين علي بن عدلان : الرواية الصحيحة «مثل» بالرفع[1] ...» • فالشارح إذن هو هذا العالم الذي أثبت اسم نفسه في آخر الشرح على التقريب ، وإذا أتى القارئ الكريم على ترجمته — على ما نحن ذاكروه — يرى أنّ الشرح لا تصحّ نسبته إلا إليه ، لما في سيرته من استلزام تلك النسبة وما في علمه من استحقاقها وسيظهر له أنه درس على أبي البقاء العكبري — كما أشرنا اليه — وهو في سلسلة اسمه (عفيف الدين أبو الحسن علي بن عدلان ابن حمّاد بن علي الربعي الموصلي النحوي المترجم الامام العلامة) ، أحد أذكياء العالم الاسلامي بل الدنيا ، ولد بالموصل سنة (٥٨٣) أو قبلها وبها أمضى أيام الصبا ، ودرس الأدب على أبي الحرم مكي بن ريان الماكسيني النحوي المشهور وقرأ عليه ديوان المتنبي[2] ، وارتحل الى بغداد — كما كان طلاب الأدب والحديث يفعلون — ومرّ بمدينة سامرا ، وكانت قد انتعشت في تلك الأيام كسائر مدن العراق على عهد الخليفة الناصر لدين الله العباسي[3] ، وأدرك ببغداد محب الدين أبا البقاء عبد الله العكبري النحوي الذي نسب اليه شرح ديوان المتنبي المذكور ، وهمًا أو افتعالاً ، فأخذ عليه ، ومال الى الزهد والعبادة — على قول بعض المؤرخين — وكتب لنفسه فيما كتب جزءاً من كلام المشايخ والعارفين وسمع الحديث من أبي محمد عبد العزيز الجنابذي المعروف بابن الأخضر الحنبلي وعبد العزيز بن منينا وهو مشهور أيضاً ، ويحيى بن ياقوت وعلي بن محمد الموصلي وبُزْغُش عتيق ابن حمدي وجماعة ، ودرس فنون الآداب وأولع بحل المترجم والألغاز ، ثم ارتحل الى بلاد الشام ماراً بالكوفة ، ودخل حلب وكانت

(١) الشرح ج٢ص٤١١ (٢) قدمنا الاشارة الى ذلك في نقلنا بعض خطبة شرح الديوان

(٣) ذكر خصب البلاد وخيرها في أيامه الأديب الكبير ابن جبير وقال فيه «وهو ميمون النقيبة عندهم قد استسعدوا بأيامه رخاء وعدلاً وطيب عيش فالكبير والصغير منهم داع له...» (رحلة ابن جبير ص ٢٠٦) من طبعة مطبعة السعادة بمصر سنة ١٩٠٨ م

ملتقى العلماء والأدباء وطلاب الحديث في أوائل القرن السابع وأجاز له العلامة الكبير تاج الدين الكندي ، وكان يلم بدمشق ثم يرجع الى حلب ، وقد رأى فيها جمال الدين ابن القفطي وياقوتاً الحموي ، قال ياقوت :

« كنا بحضرة القاضي الأكرم الوزير جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف ابن ابراهيم الشيباني — حرس الله مجده — وفيه [1] جماعة من أهل الفضل والأدب فقال أبو الحسن علي بن عدلان النحوي الموصلي : حضرتُ بدمشق عند محمد بن نصر بن عنين الشاعر وزير المعظم فجاءته رقعة طويلة عريضة خالية من معنى ، فارغة من فائدة فألقاها إليّ قائلاً : هل رأيت قط رقعةً أسقط أو أدبر من هذه مع طول وعرض ؟ فتناولتها فوجدتها كما قال ، وشرعتُ أخاطبه ، فأومأ إليّ بالسكوت وهو مفكر ، ثم أنشدني لنفسه :

وردَتْ منك رقعة أسأمتني ونَثتْ صدري الجول مَلولا
كنهار المصيف ثقلاً وكرباً وليالي الشتاء برداً وطولا

فاستحسن أهل المجلس هذه البديهة وعجبوا من حسن المعنى ، فقال القاضي الأكرم : مازلت استحسن كلاماً وجدته على ظهر ديوان الأعشى في مدينة قفط في سنة « ٨٥ » [2] ، يتضمن لأبي العلاء المعري [3] يشبه ما في هذين البيتين من المقابلة ضداً بضد في موضعين ولعل هذين البيتين يفضلان على ذلك » .

ولقي عفيف الدين ابن عدلان شمس الدين ابن خلكان وصاحبه ، ولقي جماعة وافرة من الأدباء والشعراء ، ثم قصد الى الديار المصرية ودرس على عبد المنعم ابن صالح التيمي الاسكندراني وقرأ عليه ديوان المتنبي . وصار علامة في الادب واللغة العربية ، حاذقاً في حلّ المترجم والألغاز ، متفرداً فيه ، وألف كتاب « عقلة المجتاز في حلّ الألغاز » وكتاباً في « المترجم » صنفه للملك الأشرف

(١) كذا قال وكأنه أراد « كنا بمجلس القاضي ... وفيه ... » (٢) أي وخمسمائة فتكون السنة ٥٨٥ (٣) قال طابع المرجم التاريخي « لعله سقط : شعراً » .

موسى بن العادل الأيوبي ، ولبث في القاهرة يقرئ الأدب والنحو ويسمع الحديث اسماعًا قليلاً ، حتى تصدّر بجامع الصالح بها ، وطار صيته واشتهر علمه وقصده من طلاب الحديث شرف الدين عبد المؤمن الدمياطي وسمع عليه ، وذكره في معجم شيوخه ، قال : قرأت على الشيخ الفاضل أبي الحسن علي بن عدلان النحوي ، أخبرك ابو محمد عبد العزيز بن محمود الحافظ قراءةً عليه — ثم ذكر سنده بتمامه — قال رسول الله ﷺ «من كان ذا لسانين في الدنيا جعل الله له يوم القيامة لسانين من نار» . قال الدمياطي أنشدنا ابن عدلان الموصلي لنفسه بالقاهرة :

حيّ عصراً مضى بدار السلام فعليه تحيتي وسلامي
أيقظتني ذكراي طيب ليالي(م) ه كأني قضيتها في المنام
كم حلبنا به من اللهو دراً وشربنا السرور شرب المدام
في دجى ليلة تبسّم فيها ا(م) لهو حتى انجلى عبوس الظلام
قصرت طولها الخلاعة فالـ(م) اعة منها طالت على ألف عام

وروى عنه الختني وابن الظاهري ، ومن شعره أيضاً :

لا تعجبنّ إذا ما فاتك المطلبْ وعوّد النفس أن تشقى وأن تتعبْ
إن دام ذا الفقر في الدنيا فلا تعجبْ مات الكرام وما فيهم فتى أعقبْ

وألّف ابن عدلان ذلك الشرح الكريم البارع الجسيم لديوان المتنبي [1] وهو يدل على أنه كان عالماً نحريراً وأديباً كبيراً — على التحقيق لا المبالغة — وألّف أيضاً في النحو «نزهة العين في اختلاف المذهبين» و «الروضة المزهرة» وكنا ذكرنا أنه جمع لنفسه جزءاً من كلام المشايخ الصوفية . وتوفي ابن عدلان بالقاهرة يوم الجمعة بعد العصر ، وكان اليوم العاشر من شوال سنة (٦٦٦) هـ

(١) سماه «التبيان في شرح الديوان» وهو مأخوذ من تسمية شيخه أبي البقاء العكبري لاعراب القرآن بالتبيان في اعراب القرآن .

ودفن من الغد بسفح المقطم ، وقيل كانت وفاته في التاسع من شوال ، قال ابن خطيب الناصرية : لعله دخل حلب أو عملها والله أعلم . قال مصطفى جواد كاتب هذه الترجمة : قد أثبتنا أنه دخل حلب ولقي القفطي وياقوتاً بها .

أخبار ابن عدلان الموصلي وآثارُهُ

إن الذي ذكر أنَّ ابن عدلان الموصلي جمع لنفسه جزءاً من كلام المشايخ والعارفين هو كمال الدين عبد الرزاق ابن الفوطيّ قال « نقلت منه الى هذا المختصر : لا تكونوا بالمضمون مهتمين فتكونوا للضامن متهمين » ومن كلام الفضيل : لا يستريح قلبك حتى تبالي من أكل الدنيا (كذا) وأنشد :

لا تبخلنَّ بدنيا وهي مُقبلة فليس ينقصها التبذيرُ والسرفُ

فان تولتْ فأحرى أن تجودَ بها فالحمد منها إذا ما ادبرت خلف »ا ه .

وحكي أنَّ ابن عدلان اجتمع هو وأبو الحسين يحيى بن عبد العظيم الشهير بالجزّار المصريّ فقال أبو الحسين « عندي تفصيلة صوف عرس » . وبالغ في وصفها بالحسن ، فقال ابن عدلان : أعطنيها . فلما عاد الجزار الى منزله سيّرها اليه وكتب معها :

لو أنهـا عرس لأرسلتُها فكيف بالتفصيـلة العُرسي

ولا تقل ليسَ له غيرَةٌ فأنت مأمونٌ على عِرسيَ

فلما اجتمعا بعد ذلك قال ابن عدلان له : كيف تقول « وأنت مأمونٌ على عرسي » ؟ فقال الجزار : من وجهين أحدهما أنَّ لقبك « عفيف الدين » والثاني أنك من الموصل[1] . فقال العفيف : نسختَ بالكلام الثاني حكم الأول .

وقال ابن خلكان « حكى لي الشيخ عفيف الدين أبو الحسن علي بن عدلان النحوي المترجم قال : سألت شرف الدين أبا المحاسن محمد بن عنين الآتي ذكره في هذا الكتاب في حرف الميم إنْ شاء الله تعالى عن قوله : ...

(١) أشار بذلك إلى ما اتهم به أهل الموصل من قلة الميل الى النساء ، وهم كثيرهم في مثل هذا الأمر .

سقى الله أرض الغوطتين ولا ارتوت من الموصل الحدباء إلا قبورها

ولم حرمها وخص قبورها ؟ فقال لأجل أبي تمام . وهذا البيت من قصيدة لابن عنين المذكور مدح بها السلطان الملك المعظم شرف الدين عيسى بن الملك العادل بن أيوب » .

وقال ابن خلكان في ترجمة صلاح الدين الاربلي « كتب اليه شرف الدين ابن عنين الدمشقي كتاباً من دمشق الى الديار المصرية — قال لي صاحبنا عفيف الدين أبو الحسن علي بن عدلان النحوي المترجم الموصلي : إن هذا الكتاب كان على يديه وتضمن الوصية عليه — وفي أوله :

أبثك ما لقيت من الليالي فقد حصّت نوائبها جناحي

وكيف يفيق من عنت الرزايا مريض ما يرى وجه الصلاح ؟ ! » .

وقال في ترجمة نجم الدين المنجنيقي « وما زلت مشغوفاً بشعره مستعذباً أسلوبه فيه واجتمعت بخلق كثير من اصحابه والناقلين عنه منهم صاحبنا الشيخ عفيف الدين ابو الحسن علي بن عدلان المعروف بالمترجم الموصلي فانه أنشدني له شيئاً كثيراً فمن ذلك قوله :

كلفت بعلم المنجنيق ورميه لهدم الصياصي وافتتاح المرابط

وعدت الى نظم القريض لشقوتي فلم أخل في الحالين من قصد حائط » .

وذكر عدة أناشيد أنشدها إياه ابن عدلان المذكور اكتفينا بأحدها .

وقال ابن أبي أصيبعة في ترجمة مهذب الدين أبي الحسن علي بن احمد بن علي ابن هبل الطبيب : « وحدثني عفيف الدين أبو الحسن علي بن عدلان [1] النحوي الموصلي قال : كان الشيخ مهذب الدين ابن هبل من بغداد وأقام بالموصل ثم بخلاط عندشاه أرمن صاحب خلاط وبقي عنده مدة وحصل من جهته من المال العين مبلغاً عظيماً وقبل رحيله من خلاط بعث جملة ماله من المال العين الى الموصل

(١) في الأصل « عدنان » وكذلك في فهرسته وهو خطأ

الى مجاهد الدين قيماز الزَّيني وديعةً عنده وكان ذلك نحو مائة وثلاثين الف دينار ، ثم أقام ابن هبل بماردين عند بدر الدين لؤلؤ والنظام الى ان قتلهما ناصر الدين ابن ارتق صاحب ماردين وكان بدر الدين لؤلؤ متزوجاً بأم ناصر الدين، وعمي مهذب الدين ابن هبل بماء نزل في عينيه عن ضربة وكان عمرُه إذ ذاك خمساً وسبعين سنة ثم توجه الى الموصل وحصلت له زمانة فلزم منزله[1] بسكة ابي نجيح ، وكان يجلس على سرير ويقصده كل أحد ...» .

وكان بينه وبين ابن خلكان وآخرين مُحاجاة ومُداعاة ، وقد كتب اليه المذكور لغزاً في سوس الطعام أوله :

أيها العالم الذي فضل العا (م) لم فضلاً وسؤدداً وذكاء

وكتب اليه لغزاً في سراج أوله :

أيها العالم الذي صار حبراً ممارسا
والذي موضحاته نجتليها عرائسا

فكتب اليه عفيف الدين ابن عدلان :

أيها الحاكم الذي قام للدرس حارسا
يا ملاذي سررتني بعد أن كنتُ عابسا
شرح الصدر لغزك ال(م) مستنير الحنادسا
أنت والله وصفه لامرئ كان قابسا
صحف «الشرح» لفظه لا تصحفه عاكسا
فهو من مركب الرجا (م) ل إذا كان فارسا
وهو ان زال ربعه فهو يهدي الوساوسا
جاءني بعد هجعة لم يخف فيه حارسا
فأقل عثرتي إذا كان ما نلت هاجسا

(١) قال في أول ترجمته إنه من بغداد وأقام بالموصل فابله اشتري المنزل في ليته الأولى .

وكتب ابن عدلان من دمشق الى ابن خلكان بالقاهرة لغزاً في القطائف المحشوة والمقلوة (١) :

أحاجيك يا قاضي القضاة ومن سمت ... به الهمة العليا الى المنصب العالي
ومن قد غدا في كل فن مبرزاً ... على كل حبر كان في الزمن الخالي
وأوضح بالفكر اللطيف غوامضاً ... غدت نزهة ما بيننا ذات أشكال
« مطوية طي القباطي غذيت ... ألذ غذاء ثم علت بجريال
وأخت لها من جنسها هائم بها ... جميع الورى لكن لها واحد تالي »

وقال ابن عدلان « أنشدني اسمعيل المسمول الذي ينسب الى صلاح الدين الاربلي – رحمه الله – :

وما بيت له في كل عضو ... عيون ليس تنكرها العقول
إذا بسطوه تلقاه قصيراً ... وان قبضوه تبصره طويل

فقلت : هذه شبكة صياد طيور . فأخذ يباهت ، فقلت : قد تركته ولا يلزمني أكثر من هذا . وأخذ في المباهتة ، فقلت : هذا في خركاه (٢) . فاعترف أنه هو » .

وكتب اليه ناصر الدين ابن النقيب ملغزاً في « سيف » :

يا عفيف الدين يا من ... رق في الفهم وجلا
والذي سموه في النا ... س علياً وهو أعلى
يا اخا الفضل الذي فيـ ... ـه لنا القدح المعلى
أي شيء طعمه مر ... ر وان كان يحلى
وهو شيخ لا يصلي ... ولكم بالضرب صلى
ماله عقل وكم منـ ... ـه استفاد الناس عقلا

(١) وذكر أن البيتين الآخرين من اللغز لابن عنين (٢) في الأصل « جركاه » ولعل الصواب « خركاه » الذي ذكرت وهي ضرب من الخيم المدورة ومنهم من يسميها « الخرقاهة » قال الفيومي في ق ب « القبة من البنيان معروفة وتطلق على البيت المدور وهو معروف عند التركمان والأكراد ويسمى الخرقاهة » .

جفنه من غير سهد ... ما يذوق النوم أصلا
وهو لا يحسن قولاً ... وهو قد يحسن فعلا
وهو ان تعكسه « قد ... س ». فصحفه وإلاّ
وهو مطبوع نحيف ... عندما يلقاك بسلا
ولكم بدّد جمعاً ... ولكم شتت شملا
ولكم قد سبق العذ ... ل وكم قطع وصلا
فأبن عنه بأجلى ... منه في اللفظ وأحلى
وابق في ايوان عزّ ... وبناء ليس يبلى

فكتب عفيف الدين الجواب :

ناصر الدين الذي فا ... ق جميع الناس فضلا
والذي وافق في الاسـ ... ـم الذي وافق فعلا
والذي أشعاره أشـ ... ـهى من الحلي وأحلى
هو حلو في فم النا ... س وفي العينين يحلى
إن تسلني عن رفيق ... لك يجلى حين يجلى
هو أنثى في زمان ... ويرى في ذاك فحلا
يشرب الماء ولا يأ ... كل الا اللحم أكلا
والندى يؤذيه والنا ... ر له الف فيصلى
وهو يحمي العين لا شـ ... ـك متى ما كان كحلا
محرم في كل وقت ... ما رآه الناس حلا
أعجمي وفصيح ... جمع الوصفين كلا
وهو كالمرآة يبدي ... مثل رأي الشكل شكلا
ولموع يرقبه الخلا ... ب لا يمطر وبلا
وعليه أبد الدهـ ... ـر ذباب - ما تولى
وهو مثل الناس في النشـ ... ـأة مذ قد كان طفلا

وُيرى شرخًا وشيخًا بعد ما قد كان كهلا

صبق التصحيف ذا لشي شنف الآذان أحلى (كذا)

قلت لما جاءني أهـ لاً بذا اللغز وسهلا

لغز كالشمس قد دقـ قت معانيه وجلا

وكتب اليه ناصر الدين ابن النقيب المذكور :

تالله ما العيد عندي مُذ غبت عني عيدُ

وهل يسرُّ بعيد من أنتَ عنه بعيدُ

إني اذا ما اجتمعنا بعد الشتات سعيدُ

مولاي تبدي الفضـ ل ثم أنتَ تعيدُ

فكتب ابن عدلان الجواب :

ما ذلك اليوم عيدٌ بل ألف عيد وعيدُ

إنْ كان لي منك وعد فليس يُخشى وعيدُ [1]

فعفيف الدين ابن عدلان كان من مفاخر العالم العربيّ وأكابر علمائه وأدبائه ومن كبار مَن جمع بين ثقافات البلاد العربية الثلاث : العراق والشام ومصر فعلينا أن نمجد ذكره أحسن التمجيد لأنه كان من رُسل الثقافة العربية وفضلاء علمائها وأدبائها وأذكياء العالم .

(بغداد) مصطفى جواد

---

(١) مراجع ترجمة ابن عدلان هي «أصول التاريخ والأدب مج ١٦ ص ١٩٣» نقلاً من المنهل الصافي ومج ١٧ ص ١٤ نقلاً من الكواكب الباهرة من النجوم الزاهرة ومج ٢٣ ص ١٢٥ نقلاً من الدر المنتخب في تكملة تاريخ حلب ، ومج ٢٤ ص ١٩٤ نقلاً من تاريخ الاسلام للذهبي ومج ٢٧ ص ٦٤ نقلاً من معجم الألقاب ، ووفيات الأعيان ج ١ ص ٦٣ ، ١٣٣ و ج ٢ ص ٥٠٥ من طبعة العجم ، ومعجم الأدباء ج ١ ص ٢١٤ وعيون الأنباء ج ١ ص ٣٠٤ وفوات الوفيات ج ٢ ص ٥٩ والنجوم الزاهرة ج ٧ ص ٢٢٦ وبغية الوعاة ص ٣٦٣ وأشار اليه الخونساري في روضات الجنات ٤٥٢ بأنه - أعني عفيف الدين ابن عدلان - غير عفيف الدين عبد الله اليافعي وذكر أن الصفدي ترجمه في الوافي بالوفيات وسماه ذيله على تاريخ ابن خلكان ونقل من ذلك الكتاب صدراً من أخباره وألغازه .

الخيل والابل في الشعر الجاهلي

من جملة الأسباب التي أعانت الإنسان على التقدم في ميدان التفكير والحضارة تقدماً سريعاً أنه استطاع أن يتفهم نفس الحيوان، ويتعاون معه في ميدان العمل والرياضة واللهو. ولقد عرف تاريخ البشرية كثيراً من النفوس الكريمة عاشت متعلقة بالحيوان أشدّ التعلق كما عرف تاريخ الآداب العالمية عدداً حافلاً من غرر النظم والنثر في وصف الحيوانات المختلفة ومتعها الحنيّة [1].

والأدب العربي — ولا سيما الجاهليّ منه - زاخر بوصف الحيوان الأليف وسباع البرّ. والقصائد العربية المخصوصة بالحيوانات تعدّ من أجمل الشعر وأظهره جدّة وطرافة وحياة. ولعلّ ما يميز الأدب العربي — ولا سيما جاهليه — من سائر الآداب العالمية الأخرى أنه عُني بوصف الخيل والإبل عناية عجيبة، وجعل الحديث عنها ملء القصائد والأسماع والأحاديث. ويذهب الأستاذ المستشرق آ. ج. آربري [2] إلى أنْ ليس في آداب العالم أدب وصف الخيل والإبل ومدحها مثل ما وصف أدبُ الجاهلية ومدح. وليس شيء أدل على صحة هذا القول من أن ينظر المرء في الشعر الجاهلي: في المعلقات والمفضليات والأصمعيات والحماسة وما استُدرك في كتاب (الاختيارين) [3] وغيرها من الكتب التي حفظت في بطونها تحف الجاهلية ليراها حافلة بوصف المطايا وامتداح الجياد الكريمة والنجائب. بل كان وصف المطية ركناً ركيناً في بنيان القصيدة

(١) نشرت مكتبة D. G. Barnes في لندن مجموعة شعرية عنوانها (Lords of Life) تحوي غرر القصائد المقولة في وصف الخيل في الخمسين عاماً الأخيرة. (٢) أستاذ الأدب العربي والأدب الفارسي في معهد الدراسات الشرقية والافريقية بلندن. (٣) طبع السيد معظّم حسين نخبة من هذا الكتاب مشروحة وترجمها الى الانكليزية ونشرها في دهلي عام ١٣٥٦—١٩٣٨

الجاهلية . ولعل سير الخيل والإبل هو الذي أوحى الى العرب بأوزان الشعر وكان – بانتظامه ورشاقته – (ضابط الإيقاع) لأغانيهم وأشعارهم ، ولعل «كثرة الشعر الجاهلي – كما يرى سيد نوفل [1] – قد قيلت على ظهور الإبل والخيل وسط الطبيعة» .

ولم يضعف الإسلام هذا الميل الجاهلي بل رعاه وزاد في إعزاز الخيل وأمر باتخاذها وإكرامها [2] . والأحاديث المروية عن الرسول الكريم (ﷺ) في خلق الخيل [3] والأساطير التي نجمت عنها [4] تدل على شغف العرب بالخيل وحرصهم على أن يجعلوها عربية المنشأ والموطن والجنس والدم .

ولم يفتر الشعراء والكتاب في العصر الأموي والعصر العباسي والعصور التوالي عن وصف الخيل والإبل . وقصائد البحتري العديدة في وصف الأفراس هي من الحسن والدقة والرواء بحيث تستحق دراسة خاصة .

---

(١) راجع : شعر الطبيعة في الأدب العربي لسيد نوفل . مصر ١٩٤٥ . (٢) جاء في حياة الحيوان الدميري (ج ١ ص ٣٥١) أن الرسول (ص) قال : إن المنفق على الخيل كباسط يده بالصدقة لا يقبضها . (٣) جاء في حياة الحيوان للدميري (ج ١ ص ٣٥٠) أن النبي (ص) قال: لما أراد الله أن يخلق الخيل أوحى الى ريح الجنوب إني خالق منك خلقاً فاجتمعي . فاجتمعت فأتى جبريل عليه السلام فقبض منها قبضة ثم قال الله عز وجل له : هذه قبضتي . ثم خلق منها فرساً كميتاً وقال عز وجل : خلقتك فرساً وجعلتك عربياً وفضلتك على سائر ما خلقت من البهائم بسعة الرزق ، والغنائم تقاد على ظهرك ، والخير معقود بناصيتك . (٤) روى الدميري (ج ١ ص ٣٥٤) عن ابن عباس أنه قال: لما أذن الله لابراهيم وإسماعيل برفع القواعد قال الله تبارك وتعالى : إني معطيكما كنزاً ادخرته لكما . ثم أوحى الله الى اسماعيل أن اخرج الى أجياد فادع يأتك الكنز . فخرج الى أجياد ولا يدري ما الدعاء ولا الكنز فألهمه الله تعالى الدعاء فلم يبق على وجه الأرض فرس بأرض العرب إلا جاءته وأمكنته من ناصيتها ، وذللها الله تعالى له . قال الدميري : ولو ذكرنا ما قال الناس في ذلك وشرحناه بطوله لطال . فقد تكلم الناس في ذلك كثيراً وذكروا من خواص الخيل ومنافعها شيئاً كثيراً ليس ذلك كله مما نلتزم صحته .

ونحن في هذا المقال إنما نحاول أن نمتحن (أولاً) العاطفة التي ألفت بين قلب العربي والحيوان ونوازن بينها وبين عواطف الأمم الأخرى التي أحبت الحيوان وأكرمته ووصفته ، لنبرز المتشابه من عناصرها (أي العام الذي تشترك فيه كل النفوس البشرية) من الأصيل المميز لروح العرب ، الخاص بهم ، ونشير (ثانياً) الى الأسباب التي نظنها قد جعلت الأدب العربي يبذ كل الآداب الخصيبة الأخرى في اللهج بالخيل والإبل ووصفها وإطراء محاسنها .

لا ريب في أن منافع الحيوانات من أهم ما جعل العربي يعنى بها ويصرف اليها أكثر همه . وقد جاء في القرآن الكريم « أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً فهم لها مالكون ، وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون . ولهم فيها منافع ومشارب ، أفلا يشكرون ؟ » وقالت العرب : إن الله لم يخلق نعماً خيراً من الإبل ، إن حملت أثقلت ، وإن سارت أبعدت ، وإن حلبت أروت ، وإن نحرت أشبعت [1] . والخيل كذلك كانوا يشربون ألبانها ويأكلون لحومها ؛ غير أنها كانت تعد — اكثر ما تعد — للحروب والغزو والكر والفر وإرهاب العدو والقنص واللهو ، وبخاصة للعدو السريع الذي يقرب بين المسافات الشاسعة القاحلة الظامئة التي كانت تفصل مضارب القبائل بعضها عن بعض ، ويجعل مواقع الغيث ومنابت الكلأ في متناول العربي حيث كان . وهذا ما حمل الشاعر الجاهلي على أن يفخر — بوجه خاص — برشاقة جواده وضمور بطنه وقوته وسرعة عدوه فيشبهه بالطائر يطير بلا جناح ، وبالكوكب المنقض وبقيد الأوابد . قال امرؤ القيس :

وقد أغتدي والطير في وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل

وقال الأخنس التغلبي يصف فرسه [2] :

---

(١) نهاية الأرب للنويري ج ١٠ ص ١١٥

(٢) نخبة من كتاب الاختيارين ص ٥٥

تباعدني إذا ما شئتُ عنهم وتُدنيني إذا كرهوا اقترابي
وتُصدرني كما قد أوردتني كأني بين خافيتيْ عقاب

واقتناء الحيوانات لمنفعتها امر شائع بين الأمم وما تزال أشد الأمم حضارة تعنى بالخيول والمهرة والكلاب وبعض الأسماك والطيور وبعض الحيوانات الاخرى لما تجنيه منها من نفع وفائدة ٠

غير أن هذه الأمم المتحضرة قد تعنى بالحيوانات وهي مسوقة برغبة أخرى غير اجتناء المنفعة ، رغبة اللهو والزينة والترف ٠ وقد عرف العرب هذه العاطفة وزادوا تعلقاً بالحيوان ٠ وقد ذكر ذلك القرآن الكريم في مواضع عدة ٠ قال تعالى : والأنعامَ خلقها لكم فيها دفءٌ ومنافعُ ومنها تأكلون ، ولكم فيها جمال حين تُريحون وحين تسرحون ٠ وأشار امرؤ القيس الى ذلك فقال :

كأني لم أركب جواداً للذّةٍ ولم أتبطّن كاعباً ذات خلخال

والولع بالحيوان من حيث هو متعة وزينة وسبيل للهو غير الولع به ولعاً (مجارياً) ٠ لأن هذا الضرب الأخير لا يصدر عن الصدق والحاجة وهوى النفس بل هو شغف منحرف تسميه اللغات الأوربية (Snobisme) وهو أن تمنح ودّك من لا تريد لأنك لم تجد من تريد ، وتهوى الشيء وهواك غيره ٠ وإنما يفعل اكثر الناس ذلك ليُروا أنهم ليسوا من المقصرين المتخلفين في هذه الحياة ، وأنهم كأمثالهم في العاطفة والسلوك ٠ فالبنت الصغيرة تمنح ودّها الشديد لقطتها أو كلبها أو لعبتها لأنها لم تجد في أهلها (المنهمكين في شؤونهم) من يبذل لها كل الودّ الذي تريد ٠ وحبها هذا — على قوته — مموّه مزيف ٠ والقطة والكلب واللعبة ليست في واقع الأمر ، الشيء الذي تهوى ، وانما هي عوض وبدل من الشيء الذي تهوى ٠ هذه العاطفة المموّهة ، هذا الولع (المجاري) من أقوى العناصر المقوّمة لولع الانسان بالحيوان لدى أكثر الأمم في العصر الحاضر ٠ فثمت كل نجم نجد من يبذل عاطفته للحيوان لأن أمراً ما حال بينه

وبين أن يبذلها للانسان . وشغف الصغار بالحيوانات معروف ، وحب النساء العقم أو المترملات للقطط أو الكلاب أو الطيور أو الجياد مشهور : يخصصنها بالاعتناء ، ويحدبن عليها حدب المرضعات على الفطيم . وعناية الرعاة (المتفردين) وأهل البر (المتعزلين) بحيواناتهم شديدة الظهور تسترعي الأنظار . وتعلق الجنود (البعيدين عن منازلهم) بخيولهم ، ومنحهم اياها الود الشديد والعاطفة المشبوبة وحزنهم عليها وغمهم إما جُرحت أو قُتلت يكاد يكون مضرب الأمثال [1] .

والولع المجاري أو (السنوبزم) من جملة البواعث التي زادت — على ما يبدو — تعلّق بعض عرب الجاهلية بإبلهم وخيولهم ، ودعتهم الى أن يحرفوا اليها ما تدفق من عواطفهم الجياشة . فالقارئ للغزل الجاهلي يجد أن العاشق المشبوب العاطفة ، الخافق القلب لذكر الحبيب كان يجد في النزهة في الفلاة على ظهر فرسه أو ناقته مفرجاً لضيق صدره ، ومسلاة لأحزانه ، وإمضاء لهمومه . قال طرفة :

وإني لأمضي الهمّ عند احتضاره ... بعوجاء مرقال تروح وتغتدي

وقال علقمة الفحل :

فإنك لم تقطع لبانة عاشق ... بمثل بكور أو رواح مؤوّب

وامرؤ القيس الذي اشتهر بوصف الخيل والإبل كان يشكو تنكر الصحاب ويتهمهم بالتغير والخيانة :

اذا قلت هذا صاحب قد رضيته ... وقرّت به العينان بدّلت آخرا

كذلك دأبي : ما أصاحب واحداً ... من الناس الا خانني وتغيرا

وقد يفسر هذا الباعث النفسي طريقة بعض الشعراء الجاهليين في نعت الخيل والإبل بصفات المرأة أو الصديق كقول امرئ القيس :

لها ذنب مثل ذيل العروس ... تسد به فرجها من دُبُر

(١) جعل أحد الكتاب الأمريكان تعلق الجنود بجيادهم حتى أنهم لا تطيب لهم الحياة إذا ماتت موضوعاً لرواية أخرجتها دور السينما وعُرضت في سورية في العام الماضي .

وقول عمارة بن صفوان في وصف مطيته :

مشت مشية الخرقاء مال خمارها ... وشمّر عنها ذيل بُرد ومنطق
تُقلّب للأصوات أُذناً سميعةً ... وتسمو بعيني فارك لم تُطلّق

وقول امرئ القيس :

وخرق كجوف العير قفر مضلة ... قطعت بسام ساهم الوجه حسّان
يُدافع أعطاف المطايا بركنه ... كما مال غصن ناعم بين أغصان

وقول عنترة :

فازورّ من وقع القنا بلبانه ... وشكا اليّ بعبرة وتحمحم
لو كان يدري ما المحاورة اشتكى ... ولكان لو علم الكلام مكلمي [1]

ويرى الأستاذ (آربري) أن شعراء الجاهلية كانوا في الغالب ينعتون الخيل بصفات الصاحب والصديق المحارب ويخصون الإبل بصفات النساء .

إن قراءة الشعر الجاهلي لتدلّ لا شك على أن (الولع الجاري) كان — في الجاهلية — من جملة البواعث لعطف العربي على الحيوان وتغنيه بوصفه . لكن هذا العطف الجاهلي هو من القوة والعمق بحيث يستبين للقارئ — في الوقت نفسه — أن هذا الباعث وحده عاجز عن خلق هذا العطف المتقد المتصل بل ان (المنفعة) و (اللهو) و (الزينة) و (الولع الجاري) جميعاً لا تكفي لتعليل شدة اتصال العربي بخيله وإبله ، وحبه لها ، وتلذذه بتصويرها . إن العاطفة القوية التي تستمد في القصائد المقولة في الخيل والإبل إنما تصدر — فيما نظن — عن باعث آخر غير كل ما ذكرناه ، باعث أصيل في نفس العربي ، فطريّ في طبعه ، لا يشاركه فيه غيره من بني الناس ..

هذا السبب الأصيل الذي قد يكون أشدّ البواعث وأقواها أثراً في إذكاء

---

(١) وقال البحتري في العصر العباسي :

ملك العيون فإن بدا أعطينه ... نظر المحب الى الحبيب المقبل

هوى العربي لجواده وناقته شديد الاتصال بعصره : عصر الجاهلية ، شديد الاتصال ببيئته : صحراء الجزيرة .

كان العربي في الجاهلية وثنياً لا يؤمن بانفصال النفس عن الجسد ، ولا يقسم (وحدته) الى روح خالد وجسد فانٍ يزدريه الروح ويعاديه . كان لا يؤمن بالبعث ولا يتطلع الى ما وراء القبر ، معنياً بالزمان الحاضر يسعى فيه الى التلاؤم مع بيئته الطبيعية القاسية ومجتمعه البدوي البدائي . وكانت (مثالية) الحياة في عينيه إحسان هذه الملاءمة ؛ وكان يراها لا تتم الا بنمو كل قواه الجسدية والنفسية جميعاً دون أن يشطر (وحدته) شطرين ودون أن يفضّل ميلاً على ميل أو غريزة على غريزة . والوازع الأخلاقي الضابط لأعماله هو التكيّف بحسب مقتضيات المحيط والساعة الحاضرة لا الحساب والعقاب في اليوم الآخر . فهو شديد البطش جبار في الحروب لأن الحروب تتطلب ذلك . وهو ناعم رقيق القلب إذا رأى المحبوب لأن الهوى يدعو الى ذلك . هذه العقلية الوثنية الصحراوية التي تعيش في الحاضر ولا تفرّق بين الروح والجسم جعلته يُحسّ بالشبه بينه وبين بعض الحيوانات التي تحيط به ولا سيما الابل والخيل . فهي مثله تعيش في زمن الحال لا في زمن الاستقبال ، وحياتها متوقفة على ملاءمتها لشروط البيئة . بل إن نظره الدقيق كان يريه أنها في كثير من الأحيان أصلح منه للحياة الطبيعية وأشدّ مقاومة وأهدى غريزة [1] : فلم يفطن قط الى أن الانسان سيد المخلوقات وأشرف الحيوانات ، وكانت نظرته الى الإبل والخيل نظرة الصاحب للصاحب والأليف للأليف لا نظرة السيد المترفع للعبد الحقير . كان يرى فيها بعض صفات الإنسان ويحبّ فيها هذه الصفات ويكرمها لأنها تملك هذه الصفات . بل كان يظن أنها نقلت إليه بعض طباعها وعاداتها .

(١) وفي طبع الإبل الاهتداء بالنجم ومعرفة الطريق والذيرة والدولة والصبر على الحمل الثقيل وعلى العطش (نهاية الأرب ج ١٠ ص ١١١) .

جاء في نهاية الأرب (ج ١٠ ص ١١٠) : ليس في الحيوان من يحقد حقد الجمل . فقد قالوا ان العرب إنما اكتسبت الأحقاد لأكلها لحوم الجمال ومداومتها . وفي حياة الحيوان للدميري (ج ٢ ص ٢٠٧) أن الفرس أشبه الحيوان بالإنسان لما يوجد فيه من الكرم وشرف النفس وعلو الهمة . ومنها ما يعرف صاحبه ولا يمكّن غيره من الركوب عليه . وفي طبع الفرس الزهو والخيلاء والسرور بنفسه والمحبة لصاحبه ؛ ومن أخلاقه الدالة على شرف نفسه وكرمه أنه لا يأكل بقية علف غيره .

ومن طبع العقلية الوثنية الصحراوية ألاّ تجعل قيمة الشيء في ذاته بل في نفعه وجدواه . فزيدٌ من الناس صديق البدوي ما دام ينفعه أو لا يعاديه أو لا يعادي قبيلته ، وينقلب بسرعة إلى عدوٍّ مبين إذا ما نشبت الحرب بين القبيلتين . وأولاد البدويّ أحب خلق الله اليه ما دام قادراً على إعالتهم . فاذا خشي الفقر والجوع وعجز عن ملائمة البيئة الخارجية والساعة الحاضرة قتلهم وهو باك حزين . وفرس الجاهلي أو ناقته من أحب الأشياء اليه . وقد يؤثرهما على نفسه وولده لكن الجوع وقسوة الصحراء والكرم العربي الأصيل كل ذلك كان يدعوه إلى نحر فرسه أو عقر ناقته . فما أقسى حياته ، وما أشدّ ضراوة قانون الصحراء : الصديق يذبح الصديق بيده ويطعم الجياع من لحمه .

ولو أن الله سبحانه وتعالى خلق العرب غلاظ الأكباد ضعفاء الحسّ لهانت عليهم هذه الحياة الوثنية الصحراوية . لكنه فطرهم على رقة الشعور ورهافة الحسّ وعمق العاطفة . ولا شك أن البدوي كان — حين ينحر مطيته — يؤمن بضرورة الأمر ويفعله راغباً ؛ لكن هذا ما كان يمنعه قط من أن يتألم ويحزن ويُحسّ إحساساً باطنياً بقسوة الحياة . ومثل هذه العواطف الغامضة العنيفة المكبوتة كانت تجد متنفساً في حبّ الحيوان — ولا سيما الإبل والخيل — وفي الأُنس بها والحديث عنها حديث الإلف والحبيب ووصف أعضائها وتصوير سيرها

ونشاطها في الغور والنجد . كيف لا وهو يلمح من عواطفها وإحساساتها ما يقربها الى نفسه ويصل حياتها بحياته ويمزج شعور الإنسان بشعور الحيوان .

هذه العقلية الوثنية الصحراوية بعيدة عنا بحيث لا نستطيع تصورها ، متناقضة الوجوه بحيث نشك في أمرها ؛ لكنها على كل حال عقلية ساكن الصحراء في الجاهلية . وهي التي جعلت حبه للحيوان متميزاً من حب الأمم الأخرى له . فإن كانت الأمم الأخرى في الماضي والحاضر تحب الحيوان لتنتفع به أو لتلهو أو لتتخذه أداة للزينة والجمال أو وسيلة للتعبير عن عواطف مضغوطة سدّ متنفسها الطبيعي لسبب من الأسباب فإن العربي الجاهلي كان يحب حيوانه وبخاصة إبله وخيله لكل هذه العوامل (بنسب متفاوتة طبعاً) ولعوامل أخرى لا ترى إلا فيه ، ولا توجد إلا في عاطفته : ولّدتها حياته الوثنية وبيئته الصحراوية ونفسه الدقيقة الحسّ المتقدة الشعور . ولئن جعل الناس في العصر الحاضر يزدادون ولعاً بالحيوان كلما ازداد إقبالهم على سكنى المدن[1] واشتد بعدهم عن الطبيعة الحية فلقد أولع عرب الجاهلية به لأنهم عاشوا معه في قلب الطبيعة الحية : أنسوا به وأحبوه ورأوا في الخيل والإبل بعض صفاتهم فوصلوا حياتها بحياتهم وشعورها بشعورهم وحفظوا لها في شعرهم مكاناً أكرمْ به من مكان !

(لندن) خلدون الكناني

---

(١) يرى الأستاذ برتراند رسل في كتابه الجديد (تاريخ فلسفة الغرب) أن الإنسان كان في البرية سلطان الحيوانات فلما سكن المدن صار « سلطان الآلات » والآلات جامدة صماء وهو جسم حي ، لذلك أحس بالعزلة والفراغ وحن الى الاتصال بالحيوان والطبيعة من جديد .

كنز من كنوز الجاحظ

أربع رسائل من رسائله

— ٣ —

الرسالة الثانية من رسائله الأربع

عنوان هذه الرسالة (كتمان السر وحفظ اللسان) افتتحها بقوله (أما بعد فاني تصفحت أخلاقك وتدبرت اعراقك الخ) ويظهر أن المخاطب في هذه الرسالة ليس من طبقة من وجّه اليه الخطاب في الرسالة الأولى اي انه ليس من طبقة القضاة ولا من طبقة الوزراء فقد جاء في خطابه له قوله (قد ناهزتَ الكمال ، وأوفيتَ على التمام .... وقاربتَ أن تُلفى عديم النظير) فيكون المخاطب من اخوانه الذين يُخلص لهم الود ، ويحب أن لا يفرط منهم ما يعابون به أو تلحقهم السبّة بسببه . وقد بلغ الجاحظ عن ذلك الصديق أمران نقمهما منه (وضع القول في غير موضعه ، وإضاعة السر بإذاعته) وقوله (وضع القول في غير موضعه) هو ما عبّر عنه في عنوان الرسالة بحفظ اللسان فان من يحفظ لسانه لا يضع القول إلا في الموضع الذي يحسن فيه القول . فهذان الأمران من صديقه ساءه أن يعاب بهما ، ويُزرى عليه بسببهما . فرأى من دواعي الاخلاص في الود أن يمحضه النصح ، ويُسرع اليه بالإيقاظ . فوضع له هذه الرسالة واصفاً فيها قبح (إفشاء الأسرار) وسوء مغبته وحسن (حفظ اللسان) وسلامة عاقبته — وصفاً يتمنى المرء معه لو أنه خُلق أخرس أبكم كي يُكفى ما وصفت من سوء العواقب وشر الحصائد .

قال الجاحظ : سمع بهرام في الليل صوت طائر فتتبع صوته ورماه بسهم وهو

لايراه فصرعه ولما صار بين يديه قال (والطير أيضاً لو سكت كان خيراً له) .

وقد تشعبت بالجاحظ طرق الكلام في تهجين الخلتين المذكورتين حتى انتهى الى الغيبة وقبح أثرها وفضيلة الإعراض عنها . فأنعم القول في أشكالها ومختلف صورها . وسائر ما له علاقة بها إلى حد أن سوغ الغيبة لمن يغتاب غيره أحياناً . وجعل له العذر في ما يرتكب منها . ثم عاد فأشبعه تقريعاً على الذل الذي يلحقه من جراء الاعتذار (على أن أكثر من يعتذر اليه ليس بقابل للعذر وان اظهر القبول : لما جربه من سخاء الناس بالأيمان وبعدهم من الاقرار بالذنب . . . . ولا حسم لهذا الداء الا باطراح الفضول) وعد الجاحظ من فضول الغيبة الضحك والابتسام فانهما أحياناً يقومان في الاغتياب مقام الكلام أو أشد تأثيراً واكثر إغراء وتحريضاً . وذكر الله يكون أحياناً مؤكداً للغيبة محققاً لها (كما اذا رفع صوته عند غيبة أحد بقوله (لا حول ولا قوة إلا بالله) او (غفر الله لنا وله) كأنه يقول (ما تقولونه في الرجل حق فأنا ادعو الله بأن يعفو عن سيء اعماله) .

ولما جاء دور الكلام على إفشاء الأسرار أبدع الجاحظ في تصوير قبحها . ووجوب تنزيه النفس عنها . وبالغ في التحذير — ليس بأن يملك المرء لسانه فقط — بل بأن يملك (لحظ عينيه وسحنة وجهه . وتغير لونه وتبسمه أو قطوبه) فإن كل ذلك قد ينبه المرجمين والمتعقبين إلى معرفة السر ويدلهم على حقيقة الأمر : فالأسرار قد تفهم من الأسارير . كما تفهم من الجمل والتعابير .

وهل اقتصر الجاحظ من التحذير على هذا القدر ووقف عنده ؟ كلا ! فإنه فوق ذلك حذر من الكتب (أي التحارير) المتبادلة بين الناس المتضمنة لأسرارهم :

(ورب كلام قد ملأ بطون الطوامير قد عرفت جملته وما فيه الضرر منه بسحاءة أو طابع أو لحظة متطلع في الكتاب أو حرف تبين من ظهره . فاستيقظ عند هذه الأحوال واستعمل سوء الظن بجميع الأنام) . والطوامير جمع طومار رقوق كانت تكتب فيها الرسائل وتطوى على شكل خاص ثم تسحى

بسحاءة أي تمزّق من طرفيها ثم بدار القدّ المزوق على الطومار ويشدّ به فالجاحظ يحذّر صاحب الكتاب الذي اودعه سرّه من ان تكون كيفية طي الكتاب والشد عليه بالقدّ أو الطابع اي الختم المضروب على ظهره أو حرف يتوانى من الكتابة التي في باطنه — كل ذلك يحذر منه الجاحظ لئلا يكون دالاً للمرجمين ومتعقبي الأسرار على مضمون ما في الكتاب .

هذا ولنقبل على الرسالة فنعالج أبحاثاً لغوية حول بعض ألفاظها تارةً مستحسنين محبذين . وطوراً مؤاخذين مصححين .

من ذلك قوله ص ٣٨ لا أعرف رجلاً يتحلى بالأدب ويُديم الثخانة والزمانة الخ . ثخانة الشيء غلاظته ونقول في اللغة الدارجة سماكته وضد الثخانة اللطافة والرهافة والرشاقة ونستعمل (الثخانة) احياناً (ونلفظ ثاءها المثلثة تاء) بمعنى السماجة وغلاظة الطبع ذمّاً أما الجاحظ فقد استعملها مدحاً بمعنى الرزانة والوقار . وهذا كالثقالة فانه غلب استعمالها بيننا في الذم مذ نقول فلان ثقيل وكان من المنتظر ان تستعمل مدحاً بمعنى الرزين الزميت الوقور وقد احتال العامة لهذا الاستعمال بتحريف (الثقيل) الى (تقيل) بالتاء المثناة ويفخمونها الى الطاء فيقولون (طقيل) ومهما يكن فإن استعمال الجاحظ للثخانة بمعنى الوقار ليس من الممكن قبوله ولا رواجه بيننا اليوم .

قوله ص ٣٩ القلب خزانة للأسرار (ولكل ما يعيه ذلك عن الحواسّ من خير وشرّ) الأولى اسقاط كلمة (ذلك)

وقوله (استعملَ فضول النظر فدعت الى فضول القول) مراده بالنظر التأمل في الشيء والتفكير العميق فيه ومنه قولنا اليوم (النظريّات الفلسفية) و (النظريات العلمية) وهذا النظر العقلي له أحياناً زيادات وتجاوز حد في التأملات التي لا فائدة فيها ولا خير يرجى من ورائها . وهي التي سماها الجاحظ (فضولا) . والفضول في الأصل جمع فضل والفضل الزيادة وقال ان هذه الفضول تؤدي الى فضول أخرى وهي فضول القول والتزيد فيه فما أشبه فضول النظر بفضول

الهذَر . وقد أحسن الجاحظ في تعبير (فضول النظر) ولا بأس أن نحتذيه ونقلده فيه .

ومثل (فضول النظر) قوله (كَرْبُ الكتمان) فقد ذكر الجاحظ أن بعض الناس اذا حاول الاحتفاظ بسرّ في نفسه (اعتراه الكرب لكتمان السر . وغشيه لذلك سقم وكمد . يحسّ له في سويداء قلبه بمثل دبيب النمل . وحكة الجرَب . ولسع الدَبر . ووخز الأشافي) هذه الحالة النفسية في بعض الأشخاص سماها الجاحظ (كرب الكتمان) فقال في ص ٤٢ (ومما يؤكد هذا المعنى في كرب الكتمان وصعوبته) ثم أعاد هذا التعبير في ص ٤٣ وقد جعل (كرب الكتمان) رذيلة تقابل فضيلة كتمان السر كما ان التهور رذيلة تقابل فضيلة الشجاعة . والبخل رذيلة تقابل فضيلة السخاء . وذكر ابو تمام في باب (الملح) من كتابه (الحماسة) شعراً لبعض الأعراب تشاءم فيه بكرب الكتمان ونصح للناس ان يفشوا اسرارهم ولا يكابدوا عناء هذا الكرب فقال :

(لا اكتم الأسرار لكن أنمّها ولا أترك الأسرار تغلي على قلبي)

(وان قليل العقل من بات ليله تقلبه الأسرار جنباً الى جنب)

وقال الجاحظ في صدد (كرب الكتمان) ان كتمان السر يصعب على العقلاء (فضلاً عن غيرهم) فقوله (فضلاً عن غيرهم) تعبير كنا نتشاءم به ونعدل عنه الى قولنا (دَع عنك غيرهم) واذا هو فصيح وقع في كلام أمير الفصحاء ولعله اول من استعمله ثم تخاطفه الناس من بعده .

وقال في ص ٤٢ (وكان الأعمش سيء الخلُق عَلِقًا) الغلق بمنزلة قولنا ضيق الصدر كثير الضجر وهكذا الأعمش فانه كان ضجوراً لا يتحمل ثقالة الثقلاء الذين كانوا يطوفون حوله لطلب (الأحاديث والأخبار) فكان أحياناً يحلف لا يحدثهم الشهر (فاذا حلف ضاق صدره بما فيه وتطلعت الأخبار الى الخروج منه . فيقبل على شاة له في منزله فيحدثها بالأخبار والفقه حتى كان بعض اصحاب الحديث يقول ليتني شاة الأعمش) .

" وقوله في ص ٤٢ (الزمانة والوقار) صوابه الزماتة بالتاء وهي بمعناه .

وفي ص ٤٣ يقول إن صاحب السر اذا اراد إفشاءه احياناً (استعهد جليسه واستكتمه) ومعنى استعهد فلان من فلان أن يكتب عليه عهدة أي صكاً فاستعهد منه بمنزلة قولنا اشترط عليه ولا جرم ان من يفشي سرّ نفسه لا ينفعه الاستعهاد ولا الاشتراط .

وقال أيضاً ان اللوم على مُفشي السر أوجب (وعمن أفضى به اليه أدلّ) . قوله (أدلّ) صوابه (أزلّ) من الزَّلَل وهو الزَّلَق : زلت رجله زلقت يعني ان اللوم يزلّ ويزلق ولا يعلق بالرجُل الذي أُفشي اليه السر . بل ان اللوم يكون أجدر أن يزلق عنه ويسقط . فلا يكون ملوماً بالافشاء ولا مذموماً .

وقوله ص ٤٤ (لا لوم على صاحب الجناية فيه) وصوابه (الخيانة) .

وقوله ص ٤٥ (ما رَطَلَتْ يدي قط احداً أرزن من عبد الملك) رَطَلَ الشيء رازه بيده مختبراً وزنه وثقله ومنه سمي الرطل رطلاً وقوله (ارزن) اي أثقل وأوقر . وهي حسنة . واحسن منها (أوزن) فلعلها محرفة منها ولا سيما انه قال من قبل (ولو ان أوزن الناس حلماً مَلَكَ لسانه عن إفشاء السر ما قدر أن يملك لحظ عينيه وتغير لونه) يعني ان السر معرَّض لأن يُفشي ولو عن طريق العين ولون الوجه فأوزن أقرب ان تكون مرادة للجاحظ من كلمة (أرزن) وما أحسن ان يقال : إن مجلة كذا في حاجة الى محرر يكون أوفى وزناً من المحرر الذي لديها ، واتفق وانا اكتب هذا ان قرأت في بعض الصحف قول الكاتب (ومستقبلُ هذه القضية اذا بقي فلان يعمل على حلها بكل وزنه وقوته) .

ثم قال الجاحظ في الرد على من قال (ما رطلت يدي قط الخ) ما نصه (وهذا هو الغلط البيّن والغدر الملصق) صواب (الغدْر) (العُذْر) يعني انه في قوله (ما رطلت الخ) يعتذر عذراً غير ثابت ولا مكين وانما هو مُلصق قابل للسقوط والانزلاق . و (الغدر) يمكن تأويله غير أن السياق يشهد للعذر . . . .

قوله ص ٤٥ (فيفشو السرّ من هذه الجهات اكثر مما تُفشيه ألسن المذاييع المبذر) قوله (المبذر) صوابه (السرّ) أما المذاييع فهي جمع (مذياع) وهو

الذي لا يكتم السر يقال (هو للأسرار مذياع . وللأمور مضياع) والمذياع نستعمله اليوم بمعنى آلة الراديو ويجوز ان تستعمل في المحدث بالراديو الذي يسمونه (المذيع) على ان في هذا الاستعمال شيئاً من التسامح إذ ان المذياع وصف بان لا يكتم السر وليس كل ما نسمعه من (الراديو) أسراراً يجب كتمانها .

وقال في ص ٤٧ ان اكثر من يؤتمن على الأسرار يجتهد في إفشائها (حتى ربما كان لا يبلغ في الاذاعة أن يقصد للبلاغة من الرجال المعروف بالنميمة الخ) قوله (لا يبلغ) صوابه (لا يألو) اي لا يقصر وكأن (لا يألو) كانت مكتوبة هكذا (لا يئلو) فحرفت الى (لا يبلغ) وقوله (للبلاغة) لعلها مشددة اللام لافادة المبالغة في التبليغ . لكني لم أجده والقواعد تأباه اذ ليس في اللغه بلّغه (ثلاثياً) بمعنى بلّغه المشدد . ثم ان الجاحظ مثّل للبلّاغة الذي تأتمنه على السر فيذيعه — بعمر بن الخطاب (رض) مذ أسلم واراد التعجيل باذاعة خبر اسلامه فعمد الى أنمّ أهل مكة وهو (جميل بن النحيت) فأخبره باسلامه وسأله كتمانه فأذاعه من فوره .

واتبع الجاحظ خبر عمر بقوله ان نهيك أحداً عن افشاء السر قد يكون فيه إغراء له بالافشاء قال (والنفس طيّارة متقلبة تعشق الاباحة وتغرم بالاطلاق) : قوله (طيارة) في وصف النفس الانسانية لم نسمعه من غيره أي انها تحب التنقل من حال الى حال كالطائر يطير من مكان الى آخر وقوله (الاباحة والاطلاق) أصبحنا اليوم نستعمل مكانهما كلمة (الحرية) فلا يرضى الحر لنفسه أن يتحكم فيه أحد أو يحال بينه وبين ما يريد . وأيد الجاحظ هذا المعنى بقوله (ولعل رجلاً لو قيل له لا تمسح يدك بهذا الجدار وهو لم يمسحها به قط لغري بأن يفعل) اي ليمسحها حباً بالاباحة والاطلاق .

وقوله ص ٤٨ (الفقر وخوف الاخوان) صوابه خوف الإملاق .

وقوله فجعل الله نفس الانسان (تواقة مشتاقة مطرفة ملولة) صواب (مطرفة)

طَرِفة ومعناها الرجل الذي لا يثبت على صاحب وهو مأخوذ من قولهم جَمَل طَرِف إذا كان لا يثبت على مرعى واحد ·

وقوله ص ٥١ ان نهمة العلم والمال فيها (خروج عن العقل) الظاهر ان يكون مكان (العقل) (العدل) بدليل قوله بعد (لأن النَهم تجاوز القدر)

وقال الجاحظ ليس كل خبر تتناقله الناس يصح ان يوصف بأنه سر أفشي وانما السرّ هو الرائع من الأخبار (والأشنع الأبلق) منها اي ما كان من أمور الناس ووقائعهم أشنعها اي اقبحها · وقوله أبلقها اي اشهرها واندرها · فسرُّ الملوك مثلاً اذا روي كان أبلق ينتشر بسرعة وتتناقله الأفواه بلهف وحرص واصل معنى البَلَق السواد والبياض في لون الخيل والفرس اذا كان بعض جسمه ابيض وبعضه اسود كان نادراً مستغرباً وكان بين الخيل منظوراً وعلى ألسنة الناس مشهورا ثم كُنّي بالأبلق عن كل ما اشتهر وذاع خبره · وتحدث عنه الناس لندرته ومثل الجاحظ له بسرّ الأديان · وبسرّ الملوك الذين شكا بعضهم تنقيب العوامّ عن اسرارهم فقال :

(ما يريد النـاس منا ما ينام الناس عنّا)
(لو سكنا باطن الأر ض لكانوا حيث كنا)
(إنما همّهمو أن ينشروا ما قد دفنا)

وفي ص ٥٥ أفاض في تقبيح فضول الكلام وقد مر ان الفضول جمع فضل بمعنى الزيادة ثم أريد به معنى التزيد في القول والاكثار من الكلام الذي لا فائدة فيه وقد استعملت كلمة (الفضول) الجمع استعمال المفرد ككلمة (الأصول) جمع أصل التي استعملها الأتراك العثمانيون استعمال المفرد أيضاً مذ يقولون مثلاً (اصول جديد) · وقرن الجاحظ كلمة الفضول بكلمة (الكُلفة) و (التكلف) فهو يقول (ومرّ هشام ببعض أهل الكُلفة والفضول) (ولقلّت الفضول والكُلَف والغيبة) (ويتكلّف ما لا يعلم) (ولو تهيأ للمتكلفين صرامة

لازدجروا) فالعرب يعرفون (الكلفة) بمعنى (الفضول) والمتكلف بمعنى الشخص الكثير الفضول ومنه آية (قل ما اسألكم عليه من أجر وما انا من المتكلفين) اي لا اطلب على القرآن منكم أجرة وما انا من الذين يكثرون من فضول الكلام والخوض في ما لا يعنيني او ليس لي به علم وربما قيل في تفسير الآية غير ما ذكرنا ٠

وفي ص ٥٦ و ٥٧ خمسة ألفاظ تعدّ من غريب اللغة بالنسبة الى زماننا ومن الفصيح المألوف بالنسبة الى الجاحظ وزمنه :

١ — (اغتابه وقَصَبه) أي عابه وشتمه ٠

٢ — (لا مَرفِق ولا ربح) أي لا منفعة ٠

٣ — (الكِظّة بالمعاذير الكاذبه) اي الامتلاء والانتفاخ ٠

٤ — (ليس هذا الأمر من سُوس النفس الشَهْمة) اي ليس من طبيعتها

٥ — (كثُر التَطَف في الناس) العيب والشر والفساد ٠ ونَطَفه عابه ٠

وقال في ص ٥٧ (نتنذر اليه خوفاً من سقطته ٠ وإبقاء لسلطانه) صواب سقطته سخطته كما قال المصحح وعندي ان صواب (إبقاء) (اتقاء) ٠

وقال في ص ٥٨ (أفضل العبادة الصبر) صوابه الصمت بدليل السياق ٠

وفي ص ٥٩ (او يعظم الجرح الصغير) صوابه الجرم ٠

وفي ص ٥٣ و ص ٥٩ استعمل كلمة (عين) المؤكدة مضافة لما بعدها فقال (هذا عندي عينُ المذموم) اي المذموم عينه (ولكن العجب عينَ العجب) أي العجب عينه ٠ فلا غرو اذا استعملت (النفس) المؤكدة هذا الاستعمال فيقال مثلاً جئتك في نفس الوقت كما يقال الوقت نفسه ٠

وفي ص ٦٠ (بعد اجتهاد صاحبه رأيَه) صوابه إجهاد وقوله (ما اجتمع على صاحبه غمُّ الندامة) الأظهر (من غم الندامة) ٠

انتهى ما اليه أجرينا — وله قصدنا ٠ في التعليق على الرسالة الثانية من رسائل الجاحظ ٠ وستفي القول حقه على الرسالة الثالثة في العدد القادم

المغربي

آل بكتكين ـ مظفر الدين كوكبري

أو

امارة اربل في عهدهم

(٥٢٢ هـ — ٦٣٠ هـ)

— ٤ —

الحياة العلمية والأدبية

لا يقتصر التاريخ على الادارة والسياسة ، وانما تتوقف حياة الشعب على معرفة أمور كثيرة من علوم وآداب وحركة فكرية وحضارة وحياة يومية ومعاشية . والآداب والعلوم عندنا قد خرجت من نطاقها المحدود . بذلت لكل راغب وطالب ، وكانت بغداد من أعظم مراكز الثقافة ، ومنها في الاكثر ذاعت في الأطراف ، وشاعت بين الملأ في مواطن عظيمة لم تقل عنها مكانة .

فاض العلم حتى تسرب الى القرى الصغيرة والكبيرة . ولم تكن اربل من البلاد الكبيرة التي تعد من مواطن الثقافة المهمة ، وان كانت قد اشتهرت بعلماء أنجبتهم ، وفضلاء ربتهم ، وأكابر ثقفتهم . ولا تخلو بلدة ، أو قرية من عالم فأكثر . وما ذلك الا لأنها لا تخلو من مسجد . فلا يزايلها بسببه العلم ولا يفارقها الأدب .

عدّ السمعاني وياقوت وغيرهما من اشتهر فيها بفضل وعلت مكانته في علم ، ولكن الزيادة بافراط انما كانت أيام آل بكتكين وامارتهم في اربل . فكان انتاجها في العلم والأدب كبيراً ، ونالت بسبب ذلك مكانة ممتازة بين البلدان العراقية أنجبت نوابغ فاقوا في العدد ، فكان عصرها الذي نكتب عنه وحيداً من بين العصور الأخرى ، ظهر علماء لا يحصون ، فيهم الفقيه والمتكلم ، والشاعر ،

بلغ معناه

والسياسي ، والكاتب ، والقاضي ، والمؤرخ والموسيقار ، وفي مختلف المواهب ...

ويرجع الفضل في هذا الانكشاف العلمي الى تلك الامارة (آل بكتكين) بل الى كبير هذه الأسرة مظفر الدين كوكبري ، أبلغها قمة المجد ، وولّد صلات علمية بين الأقطار الاسلامية والعربية وبين اربل ، فارتفعت منزلتها ، فكانت خدماته هذه تعلن عن نفسها ، وتنطق بالفضل ، فلا تحتاج الى دعاة لبث المحامد ، أو اطراء المناقب ، نال السمعة الطيبة ، والذكرى الجميلة .

لهج الأهلون بهذه الامارة وأحبوها ، وأخلصوا لها ، وكان عمل مظفر الدين كوكبري من بينهم أعظم وأجل ، نفع في صحة المجتمع ، وفي ثقافته ، وسعى الى ازالة فقره ، وبذل الوسع في تهذيبه ، وخصّ موسماً في الاحتفال بمولد الرسول واعادة ذكريات حياته عليه السلام في كلّ عام تردد فيه أعمال الرسول ومناقبه الجليلة التي هي أجلّ قدوة «قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني» وأعظم سيرة مشرفة للانسانية جمعاء .

وفي هذا الاحتفال كان الاتصال العلمي عظيم الأثر بالغاً الغاية في الثقافة ، أنفق له كوكبري بسخاء بدعوة علماء الأقطار ، وقام بأعمال خيرية اكبرها القاصي والداني ، وفكّ الأسرى ، وجاهد في سبيل الله ، وذبّ عن الوطن الاسلامي . وفتح مستشفيات ودور عجزة تخلد ذكره وكلما ذُكر ذكر بتجلة واحترام .

ولا ينكر فضل أسلافه من امراء ونواب ، ولا يغمط حقهم في الخدمات الثقافية والخيرية الا انه فاقهم ، وأكسب الامارة عزاً وفخراً ، ولا تقف رغبات الأمة عند الحروب والشجاعة ولا الشئون السياسية والادارية بل تريد الرفاه والثقافة . فكان ذلك من أكبر أعماله ، قام بمقياس واسع ، أكمل به ما قام به الأمراء والنواب قبله . أدركوا رغبة الأمة ، فأفسحوا المجال ، وسهلوا طريق السير .

فاذا كان العلماء قد أدوا الحق المفروض في تبليغ العلوم وتلقينها ، فالأمراء وجهوا وسهلوا ونشطوا بما بذلوا ليكون العمل العلمي أتم واكمل ببذل المال ،

أو في تنفيذ خطط العلماء وتحقيق آمالهم العلمية . ولم يتدخلوا في شئون التعليم ، ولا في المناهج العلمية ، وانما أمدوا العلماء بما هو المفروض لهم في (بيت المال) ، ووقفوا الوقوف من أموالهم لتخلد على الدهر . لم يتدخلوا في طريق التدريس ولا مراقبته الا من طريق الحسبة . بل لم يعرف هذا التدخل الى آخر أيام هذه الامارة في كل البلاد الاسلامية . ولذا فاضت العلوم والآداب .

ان التنظيم العلمي كان للعلماء وبيدهم وان التوجيه المالي ، والمساعدات الكبيرة بأيدي الأمراء فلهم الفضل في الانعاش وهو أكبر ما نحتاجه . فقد نقلت نصوص تاريخية عديدة ان هـذا الأمير (كوكبري) لم يصرف المبالغ على الاهواء النفسية والملاذ ، ولا على رجال السوء بقصد الارضاء ، بل حاسب نفسه ، ونظم ماليته تنظيماً فنياً ، بل من اجل الأمثلة الشخصية حادث ثوبه ، ومناقشة زوجه له في ان يشتريه من أغلى الأقمشة وأنفسها أو من ادناها والباقي يتصدق به ، فكان من خير ما يدل على تدبير الصرف وان يعد خير قدوة .

واذا اضيف الى ذلك ما عمل من دار العجزة للأيتام ، وللعمي ، وللأرامل ، واتخاذ مستشفى وما ماثل من المشاريع الخيرية علمنا ان انتباه الأمم مؤخراً الى جعل هذه المشاريع حكومية يلزم ادخالها في الميزانيات أدركنا قيمة العمل ، بل أن اصل التنظيم العلمي اسلامي ، وهو حقوق العلماء في (بيت المال) ولم تسبق أمة الاسلام في هذا الحق الشرعي المقرر . والأعمال الخاصة قام بها أهل الخير ، ولم تتقيد بموارد الدولة ، فكانت وقوف المعاهد الخيرية والمدارس على طريق التأييد تعاوناً مشهوراً من أهل الخير والصلاح ...

ولعل ظهور العلم في بلد مثل اربل يرجع الى ان التنظيم كان بيد العلماء ، وان الحسبة تسيطر ، فنقل هذا التنظيم الى الدولة ، وصار الأمر بيد الحكومة ، فتدخلت سلطة الأمراء وتصرفاتهم السيئة ، فخرج العلم وادارته من أيدي العلماء الى محرفة جهال ، أو سوء يقترف من السياسيين المتسلطين .. وهذا يعد من اسباب

خذلان العلم وخموله عندما تدخل في شئون العلوم والآداب جهال أو سياسيون أعمتهم أغراضهم عن الصالح العام بعد ان كانت حرة فتقيدت . وفي أيام الحرية نالت المكانة بما نفع ، وظهر علماء اكابر . وكان نصيب اربل منها كبيراً .

ان هذه الامارة قضت مدة طويلة من سنة ٥٢٢ هـ الى سنة ٦٣٠ هـ قامت في خلالها بأعمال من شأنها ان وسعت نطاق العلوم والآداب ، ونالت ثقة الأمة ولا يهمنا ما عملت خارج الامارة مما فعله زين الدين علي كوچك مؤسس هذه الامارة ، واتابكه مجاهد بن قايماز في الموصل ، ومظفر الدين كوكبري وما عمله من برّ في مكة وفي طريقها ، وما سدّ به من حاجات عظيمة لفك الأسرى ، وانما يهمنا العمل في اربل . ظهرت فيها اعمالهم ، فأنجبت العلماء والأدباء والمؤرخين وهكذا في مختلف الثقافات ، وكان لهؤلاء أثر ظاهر في المجاورين ، فكانوا في ثقافتهم محلّ الاهتمام الكبير الا ان السياسة كانت مرتبطة بأتابكة الموصل من سنة ٥٢٢ هـ الى سنة ٥٨٠ هـ . فمالوا اليها ثم كانت مع الأيوبيين من التاريخ المذكور فمالوا الى الشام وداموا الى سنة ٦٢٧ هـ . وهكذا كان اتصالهم بالخلافة بعد الاتصال السياسي ببغداد من أول سنة ٦٢٨ هـ الى آخر أيام هذه الامارة وبعدها .

وفي هذه ترى الأوضاع بارزة ، وان لم يكن ثم مانع من الاتصال بمواطن الثقافة حيث كانت الا ان الاتجاه السياسي ذو دخل في الميل الكبير . ومن جهة اخرى ان العمل السياسي الصحيح جعل العلم لساناً ناطقاً يلهج بسمو الادارة .

والفضل في هذه الثقافة للمدارس وللعلماء الذين أخلصوا ، فان من عرف تذبذب الحالة ، واختلاط الأقوام ، ثم زوال هذا التباين بتأسيس ثقافة موحدة أدرك قيمة هذه المدارس بعد ان كان الأهلون في تشوش من لغتهم وإضطراب في ثقافتهم مما أدى الى ان يقول ياقوت ان أهلها أكراد استعربوا . . . وهكذا ما نقل نوشروان البغدادي من إختلاط لغتهم وما وصلوا اليه بظهور علماء وأدباء أفاضل ملكوا زمام الأمر ، وتوصلوا الى أعظم المناصب العلمية والسياسية .

المدارس في اربل

كانت المساجد أول دور العبادة والثقافة معاً ، وهي الوحيدة في بث العلوم والآداب في العالم الاسلامي ، وأول درجات التحصيل الكتاتيب ، وجاءت المدارس بعد مدة طويلة وما دخل الاسلام بلداً الا دخلته المساجد . فبذرت بذور العلم والأدب وظهر علماء اكابر تخرجوا بأساتذتها ، فكانت موطن تعلم الخير والصلاح ، بل كانت الوسيلة المهمة والأولى في التنظيم الثقافي .

اتخذت اربل بغداد قدوتها في تكوين المدارس كما أن الأقطار الأخرى سارت على هذه السيرة ، نهجت نهج بغداد في السيرة العلمية والأدبية وان أول مدرس في اربل كان ممن أخذ العلم من بغداد وتثقف على أكابر علمائها .

لم تؤسس مدرسة في اربل الا بعد تكوّن المدارس ببغداد بنحو نصف قرن من تأسيسها في بغداد . فأثمرت ثمرة يانعة ، وظهر فيها علماء أفاضل ذاع صيتهم في الأقطار .

١ — مدرسة الربض :

هذه المدرسة من تأسيس ابي العباس خضر بن نصر الاربلي المتوفى في ١٤ جمادى الآخرة سنة ٥٦٧ هـ — ١١٧٢ م . شادها بعد رجوعه من الدرس في بغداد . فكان أول مدرس درّس في اربل . وهذه المدرسة قام بتأسيسها هذا الرجل الفاضل فخدم الثقافة في اربل ، بل كان السبب في بناء مدرسة القلعة ولا شك انه بنى هذه المدرسة في مطلع المائة السادسة أو قبلها بقليل .

درّس فيها الى تاريخ وفاته فخلفه ابن اخيه عز الدين ابو القاسم ، فقام بالتدريس مدة . ثم طوي ذكرها ، فلم يعرف من تولى التدريس بعد هؤلاء الأفاضل . ولعلها نسخت بمدرسة مظفر الدين كوكبري .

٢ — مدرسة القلعة :

عرفت بهذا الاسم لأنها أسست في أصل (قلعة اربل) ، اعني القسم الفوقاني من البلدة ، وكان بناها الأمير منصور سرفتكين نائب اربل أيام زين الدين ،

علي كوجك سنة ٥٢٣ هـ ، أسسها لأبي العباس الخضر بن نصر بن عقيل بن نصر الاربلي . بنيت له هذه المدرسة بعد أن تلقى العلم ببغداد ، فرجع الى اربل ، ودرّس بهذه المدرسة ، فهو أول مدرس في اربل . كان أسس مدرسة الربض لنفسه ، ثم قام الامير سرفتكين بتأسيس هذه المدرسة ، وجعله مدرساً فيها .

وكان أبو العباس السبب في تأسيس هذه المدرسة فالأمراء يودون ان يفوقوا . ويهمنا ان نذكر مدرسي مدرسة القلعة المعروفين لنقف على درجة انتاجها . والتدريس كان مستمراً غير مقطوع ولا ممنوع وكان المدرس ابا العباس الخضر ابن نصر الأربلي . ويعد من خيرة المدرسين . وهذه المدرسة دعت نائب اربل (واليها) الى بنائها اي بناء (مدرسة القلعة) . ولا تزال الى اليوم ، فهي أقدم مدرسة في اربل ، ولا يخلو متعلم هناك من الاتصال بمدرسها ...

وأبو العباس كان عارفاً بمذهب الشافعي وبالفرائض والخلاف ، اشتغل على الكيا الهراسي من علماء بغداد المعروفين المتوفى في أول المحرم سنة ٥٠٤هـ — ١١١٠م . ولا شك ان المترجم أتم تدريسه قبيل وفاته بسنين . وكذا اشتغل على ابن الشاشي المتوفى في ٢٥ شوال سنة ٥٠٧ هـ ١١١٤ م فنعلم قدم تحصيله ، وعودته الى اربل ، فأسس المدرسة في الربض حين رجوعه ، ولم يعرف بالضبط تاريخ ذلك ، ولكنه في أواخر المائة الخامسة أو أول المائة السادسة ثم قام سرفتكين ببناء مدرسة القلعة سنة ٥٣٣ هـ — ١١٣٩ م . ومن المهم أن نقول كما قال ابن خلكان : « اشتغل عليه خلق كثير وانتفعوا به »[1] .

ومن الأشخاص البارزين الذين تخرجوا عليه :

١ — الشيخ الفقيه ضياء الدين أبو عمرو عثمان بن عيسى بن درباس الهذباني . شارح المهذب[2] .

٢ — ابن اخيه عز الدين ابو القاسم نصر بن عقيل بن نصير —

(١) ابن خلكان ج ١ ص ٢٤٠ . (٢) ابن خلكان ج ١ ص ٢٤٢ .

وهذه المدرسة دام نفعها الى ان توفي هذا المدرس الجليل في ١٤ جمادى الآخرة سنة ٥٦٧ هـ — ١١٧٢ م باربل ودفن في مدرسته التي بالربض في قبة مفردة، وقبره يزار .

وولي التدريس بعده ابن أخيه المذكور في المدرستين . وكان فاضلاً ولد باربل سنة ٥٣٤ هـ — ١١٣٩ م . سخط عليه الملك المعظم مظفر الدين صاحب اربل فأخرجه منها فانتقل الى الموصل سعى به جماعة غيّروا خاطر الملك عليه . وكان ذلك في سنة ٦٠٢ أو ٦٠٣ وقال ابن باطيش سنة ٦٠٦ هـ . وتوفي في ١٣ ربيع الآخر أو جمادى الآخرة سنة ٦١٩ هـ — ١٢٢٢ م . وكان قد سكن في رباط الشهرزوري وقرر له صاحب الموصل راتباً ولم يزل هناك حتى توفي[1] .
وظلت المدرستان الى ذلك الحين . بل ان مدرسة القلعة لا تزال قائمة الى اليوم، وان مدرسها (آل ملا افندي) وآخرهم ملا أفندي الصغير . كان عالماً فاضلاً وأديباً كاملاً . توفي في هذه الأيام في ٢٢ ذي الحجة سنة ١٣٦١ هـ — ١٩٤١ م عن نحو ٨٠ سنة .

٣ — مدرسة كوكبري :

هذه المدرسة من أجلّ المدارس عظمة، واسعة النطاق، ويدل وضعها الحاضر على ذلك رتّب فيها فقهاء الفريقين من الشافعية والحنفية . وكان كل وقت يأتيها بنفسه، ويعمل السماط بها، ويبيت بها، ويعمل السماع . واذا طاب خلع شيئاً من ثيابه وسير للجماعة بكرة شيئاً من الانعام . وسعة المدرسة مشهودة ومنارتها من بدائع الصنعة، لا تزال تبين عن قدرة . وتعدّ من أقدم المآذن الموجودة .

وتقع هذه المدرسة بين تربة مظفر الدين وبين المنارة الشاخصة في ساحة كبيرة، ولم نقف على تاريخ بناء هذه المدرسة بالضبط . وعلمنا أنّ ابن دحية

(١) كنا ص ٣٦٩ .

قدم اربل سنة ٦٠٤ هـ، فاحتفل بالمولد، وقدم كتابه (التنوير في مولد السراج المنير) . وكان مولعاً بذلك قبل هذا التاريخ، وان تاريخ هذه المدرسة سابق لذلك، وربما كان من حين قدومه الى اربل . ودامت هذه المدرسة الى آخر أيامه، والى ما بعد ذلك .

ومن مدرسيها :

١ — محمد بن ابراهيم بن أبي بكر بن خلكان والد صاحب وفيات الأعيان . وتوفي في ليلة الاثنين ٢٢ شعبان سنة ٦١٠ هـ . كان مدرساً فيها الى حين وفاته، والظاهر انه ولي تدريسها من تاريخ بنائها .

٢ — أبو الفضل أحمد شرف الدين الاربلي :

تولى التدريس بعد ابن خلكان المذكور . وكان وصوله اليها من الموصل في اوائل شوال سنة ٦١٠ هـ . وانتقل الى الموصل في سنة ٦١٧ هـ وفوضت إليه المدرسة القاهرية الى ان توفي يوم الاثنين ٢٤ ربيع الآخر سنة ٦٢٢ هـ . وكانت ولادته بالموصل سنة ٥٧٥ هـ[1] . وهو من أسرة اربلية وليت التدريس في مدرسة زين الدين علي كوجك في الموصل .

ومما يلفت النظر ان بلدة صغيرة كهذه تحوي ثلاث مدارس كبيرة، ولا يستغرب ان يتخرج منها جماعة من الأفاضل في فروع كثيرة، وان تتمكن فيها الثقافة، فنتاجها دائم مستمر بسبب هذا التنظيم العلمي، وقد رعاها أهل البر والخير وعنوا بها بما بذلوا من موقوفات في سبيل بقاء رقبتها وعمارتها . والى أمد قريب منا كانت هذه المدارس في اربل تمد مساجدنا ومدارسنا بعلماء أفاضل. ولا تزال اربل في حاجة اليها للاستقاء من معينها، بل زادت المدارس والمعابد من ذلك الحين الى اليوم، وهي قائمة بالمهمة بالرغم من تحول الأيام وتبدل الاوضاع، وتوجه الثقافات، وعدم الالتفات الى اعادة التوجيه العلمي للانتفاع منها .

---

(١) ابن خلكان ج ١ ص ٤٤٠ .

نتاج هذه المدارس أو العلماء في اربل

لا يسع المجال إحصاء المدرسين ، ولا معرفة المتخرجين ، ولا يوجد من الوثائق التي وصلت الينا ما يشعر بذلك الا ان المعروفين قد بلغوا مقادير كبيرة جداً ، وبينهم من كان أثره خارج اربل أعظم ، وهكذا ورد اربل علماء كثيرون سهلوا تمكين ثقافتها ، والارتباط بعلمائها ومن بينهم من كان يحضر المولد الشريف .

ونخطئ اذا عددنا اربل خالية من كل ثقافة قبل الامارة البكتكينية . وانما عرف علماء ذكرهم المؤرخون منهم أبو احمد القاسم بن المظفر الشهرزوري الشيباني . وابو سليمان داود بن محمد بن الحسن بن ابي خالد الاربلي ، في آخرين[1] .

ويهمنا ذكر علماء هذه الحقبة ومن ظهر بعدهم من رجال القرن أو من وليهم فكانوا من نتاج هذه المدارس ، وبهم يتعين مقدار العناية بالعلم ، ودرجة كثرة المتخرجين . ولا يهم اذا كانوا متخرجين من هذه المدارس أو أنها دعت أفرادها الى التوسع والتكمّل في الخارج فعاجوا على بغداد وغيرها . فلا شك أنهم ممن رغب في العلم لما شاهدوا من أعاظم ، وأكبروا من مكانة العلم ، فخثوا السير في الطلب سواء ظهرت مواهبهم ، وانتشر علمهم في اربل أو في خارجها . ومنهم القاضي ، والمؤرخ ، والكاتب ، والفقيه ، والرياضي أو الفيلسوف والموسيقار والأديب وأرباب مواهب عديدة سياسية واجتماعية .

فمن الاربليين :

١ — أبو العباس . مر .

٢ — الشيخ الفقيه ضياء الدين ابو عمرو عثمان بن عيسى الهذباني شارح المهذب[2] .

٣ — عز الدين أبو القاسم نصير بن عقيل . وكان مدرساً . مر[3] .

٤ — رضي الدين الاربلي . توفي سنة ٥٧٦ هـ[4] .

---

(١) الانساب للسمعاني في مادة اربلي ، وياقوت الحموي في معجم البلدان في مادة اربل .

(٢) ابن خلكان ج ١ ص ٤٤٢ (٣) كذا ص ٤٤٦ . (٤) كذا ج ٢ ص ٦٢٦

٥ — ابنه كمال الدين ابو الفتح موسى. رياضي ، عالم فاضل في الهيئة والفلسفة وعلوم عديدة. توفي سنة ٦٣٩ . (ترجمته في الحوادث الجامعة ص ١٤٩ وفي ابن خلكان) .

٦ — ابو الفضل أحمد شرف الدين بن كمال الدين الاربلي [١] .

٧ — شرف الدين محمد بن عز الدين أبي القاسم نصر بن عقيل . شاعر وأديب وفقيه توفي سنة ٦٣٣ هـ [٢] .

٨ — شيطان الشام . اربلي شاعر . وله أبيات في رثاء ابن المستوفي . توفي سنة ٦٣٨ [٣] .

٩ — أمين الدين علي بن عثمان السليماني الاربلي . شاعر [٤] .

١٠ — ابن المستوفي الاربلي . ووالده أيضاً . توفي سنة ٦٣٧ [٥] .

١١ — موفق الدين الاربلي [٦] .

١٢ — صفي الدين علي بن المبارك [٧] .

١٣ — مجد الدين محمد بن الظهير الاربلي [٨] .

١٤ — أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن مسلم الاربلي [٩] .

١٥ — العز حسن الاربلي [١٠] .

١٦ — صلاح الدين 〃 [١١] .

١٧ — العز الحسن 〃 [١٢] .

---

(١) ابن خلكان ج ١ ص ٤٤ . (٢) كذا : ج ١ ص ٣٤١ . (٣) كذا : ج ١ ص ٦٣٣ . (٤) ابن أبي عذيبة ج ٥ ص ٣٩٧ . (٥) ابن خلكان ج ١ ص ٦٣١ وياقوت الحموي معجم البلدان مادة اربل . والحوادث الجامعة ص ١٣٥ . (٦) ابن خلكان ج ٢ ص ٣٤ . وابن أبي عذيبة ج ٥ ص ٧٩ . (٧) ابن خلكان ج ١ ص ٦٣١ . (٨) منتخب المختار ص ١٧٦ . وتاريخ الموصل ج ٢ ص ١٢٩ . وفوات الوفيات ج ٢ ص ٣١٩ . وتاريخ العراق ج ١ ص ٣٨٢ . (٩) منتخب المختار ص ٦٢ و ١٣٥ وهو من رجال المائة السابعة (١٠) القلاكة والمفلوكون . (١١) ابن خلكان ج ١ ص ٨٣ . (١٢) الدرر الكامنة وابن الجزري وتاريخ العراق هامش ص ٢٩٠ ج ١ ، وأعيان العصر ، وابن كثير .

١٨ — الزكي الاربلي [1] .

١٩ — العز عبد العزيز الاربلي [2] .

٢٠ — العز المقري 〃 [3] .

٢١ — عز الدين ابن عثمان 〃 . [4] .

٢٢ — بهاء الدين 〃 [5] .

٢٣ — مجد الدين موسى 〃 [6] .

٢٤ — بدر الدين ابن قينو 〃 [7] .

٢٥ — يونس بن حمزة 〃 [8] .

٢٦ — ابنه محمد بن يونس 〃 [9] .

٢٧ — بدر الدين محمد بن عبد الله الاربلي [10] .

٢٨ — بدر الدين محمد بن اسماعيل 〃 [11] .

٢٩ — ابن خلكان [12] .

٣٠ — والده محمد بن ابراهيم . مدرس المدرسة المظفرية في اربل [13] .

٣١ — الشيخ علي الاربلي . صاحب المنظومة في الموسيقى [14] .

٣٢ — حسام الدين الحاجري [15] .

---

(١) مختصر الدول لابن العبري وتاريخ العراق ج ١ ص ٢٥٨ والحوادث الجامعة .
(٢) تاريخ العراق ج ١ ص ٣٤٠ . (٣) تاريخ العراق ج ١ هامش ص ٣٤٠ .
(٤) تلخيص مجمع الآداب ص ٣٨ ـ ٣٩ (٥) تاريخ العراق بين احتلالين ج ١ ص ٣٦١ وابن أبي حديد ج ٥ ص ٤٠٩ ، وتاريخ منفصل ايران ص ٥٠٠ ، وتاريخ الموصل . وملحق تاريخ العراق ج ٢ ص ٤١ . (٦) تاريخ العراق بين احتلالين ج ١ ص ٤٥٠ .
(٧) الدرر الكامنة وتاريخ العراق ج ١ ص ٤٥٠ . وعقد الجمان ، والمنهل الصافي .
(٨) توفي سنة ٧١٨ هـ (تاريخ العراق ج ١ ص ٤٥٩) . (٩) الدرر الكامنة ج ٤ ص ٣١٧ ، وتاريخ العراق ج ٢ ص ٥٠ (١٠) مدرس مدرسة مرجان . تاريخ العراق ج ٢ ص ١٣٥ (١١) تاريخ العراق ج ١ ص ١٩٧ . (١٢) دائرة المعارف الاسلامية ج ١ ص ١٥٧ وطبقات الشافعية للسبكي ج ٥ ص ١٤ . (١٣) توفي في ٢٢ شعبان سنة ٦١٠ هـ (ابن خلكان ج ١ ص ٤٤) . (١٤) مجلة العالم الاسلامي المجلد الأول ، والدرر الكامنة . (١٥) ابن خلكان ج ٢ ص ١٣٠ .

هذا . ومن مراجعة تاريخ هؤلاء ، ومعرفة مؤلفاتهم نرى ان علماء هذه المدينة وادباءها قدموا ثروة علمية وأدبية لا تنكر .

وفي تذكرة الحفاظ جاء ذكر جملة من الاربليين ومثلها في طبقات السبكي ومؤلفات عديدة . والمتأخرون منهم كثيرون جداً . وبينهم الفقيه، والشاعر والأديب .

والحاصل ان الثقافة فاقت في هذا العصر، ولم تنقطع من اربل الا أنه قلّ الترغيب في العلم ولم تنل تشجيعاً في أيام المغول ومن بعدهم من التركمان الا أن مدارسها لا تزال موجودة الى آخر العهد العثماني، وبعده . وفي أيام العثمانيين ظهر فيها شعراء في اللغة التركية من أعظمهم «غريبي الأعمى» . كان يعدّ من أكابر الشعراء بالتركية ، وكذا يعقوب بيات الاربلي[1] . فلم تنقطع الجذوة العلمية والأدبية ، بل اشتهر اربليون عديدون فاقوا ، وانتشروا في الأنحاء . ومن أكابر المدرسين المتأخرين جرجيس الاربلي أخذ عنه مشاهير علماء الموصل . ولم يكن الأدب مقصوراً على اربل وحدها بل كانت مضافاتها مثل راوندوز و كويسنجق مواطن علم ودرس . وان المدارس السيّارة كانت موجودة الى أمد قريب منا . واشتهرت أيام السلطان أبي سعيد من ملوك المغول الايلخانيين .

ولعل في هذه الأمثلة ما يكفي لمعرفة ان المدرسة الواحدة لها أثرها فكيف بالمدارس العديدة في بلد صغير .

يتبع : (بغداد) عباس العزاوي

---

(١) في كتابنا تاريخ الأدب التركي في العراق تعرضنا لذكر مشاهير الأدب التركي في اربل .

مخطوطات ومطبوعات

أقوالنا وأفعالنا

تأليف محمد كرد علي

حين تصل الى أعماق المجتمع فتقف على مساوئ أخلاقه وعاداته وأوضاعه فلا يفوتها شيء من خروج هذا المجتمع على نظام الحياة ، ومن استحكام مفاسد الأخلاق فيه ، كالكذب واللؤم والحسد والنفاق والبخل والتبذير وأشباه هذا كله ، فقد تصفحت هذه العين أحوال مجتمعنا نصف قرن وعاشر صاحبها من الكبار والصغار ما لم يعاشره غيره ووقف من حسنات الناس وسيئاتهم على ما لم يقف عليه الا قليل من القوم ، فكأنما لمس صور الأخلاق بيديه وسمع سخافات الناس بأذنيه وتمكن من معرفة مواطن الضعف في شيمهم وطبائعهم ، سواء أكان هذا الضعف في سياستهم أم في وطنيتهم أم في دينهم أم في تربيتهم كلها ، هذه خصائص الأستاذ العلامة رئيس مجمعنا في تأليفه : أقوالنا وأفعالنا ، فكأنه مجموعة حواس مستيقظة لتتبع الأخلاق دقائقها وجلائلها ، ظواهرها وبواطنها ولم يقتصر على تتبع حركات الأخلاق وحدها وانما استقصى في حركات العقول في أميتها ونهضتها وثقافتها ولم يكتف بتصفح أحوال الحاضر وانما تصفح أحوال الماضي فهو حجة هذا العصر في معرفة ماضي العرب والعلم بأسباب عظمتهم وضعفهم . ولم يجمد الأستاذ العلامة على ما عرفه من حاضر مجتمعنا وماضيه وانما مشى مع العصر واتصل بأطواره وامتزج عقله بعقول رجال الغرب فأخذ عن هذا الغرب ما صلح واقتبس عنه ما نفع فاذا ذكرت نهضة الشام من خمسين سنة حتى يومنا هذا فهو على رأسها وحامل لوائها .

. وكيف استطاع الأستاذ أن يصور هذه الأمور كلها وأن يثبتها في الأذهان وأن يجعل هذه الأذهان طبق محاسن فنه تمشي معه أين أراد هــذا الفن ، فتتمهل اذا أراد التمهل وتسترسل اذا شاء الترسل ، انه لم يصل الى هذه المنزلة من البلاغة الا بعد أن اختمرت في صدره أساليب بلغاء العرب وأمراء البيان فيهم ، فالأسلوب الذي يصور به أخلاقنا وعاداتنا وطبائعنا وأوضاعنا كلها انما هو خلاصة اساليب عبد الحميد وابن المقفع والجاحظ وأمثالهم ، سهولة في غير شيء من التقعر ، وطبع دون شيء من التكلف ، وانزال الكلمة في منازلها ، واعطاء المعنى حقه من اللفظ ، واعطاء اللفظ حقه من المعنى ، فلا اسراف في التعبير ولا شح في التصوير ، فالصورة والآلة في فنه انما هما جسد وروح متناسبان متناسقان ، فليغرف القارئ من هذا البحر فلا خوف عليه من موجه ، مد الله في حياة الأستاذ ونفع العرب بخصب تآليفه .

شفيق جبري

مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق

المستجاد من فعلات الأجواد

من مطبوعات مجمعنا العلمي العربي بدمشق كتاب : المستجاد من فعلات الأجواد لمؤلفه القاضي أبي علي المحسن بن علي التنوخي المتوفى سنة ٣٨٤ وهو صاحب نشوار المحاضرة والفرج بعد الشدة .

عني بنشر الكتاب وتحقيقه رئيس مجمعنا الأستاذ العلامة محمد كرد علي بك وقد اعتمد في تصحيحه على كتب التراجم ودواوين الشعر وامهات كتب اللغة والأدب وحاول ارجاع النصوص الى ما كانت عليه يوم وضعها المؤلف وحلل بعض الكلمات التي لحظ أنها قد تستعصي على فهم الشادي في الأدب وأوجز ما أمكن في شرحها .

وصف الأستاذ العلامة في المقدمة كتاب المستجاد وصفاً يقف دونه كل وصف فهو كتاب في أخبار الكرماء في الجاهلية والاسلام يتضمن أدباً واخلاقاً وتأريخاً واجتماعاً وهو صورة جميلة من أدبنا القديم مبعث حضارتنا وهو خير ما نكشف به مقاييس الأخلاق في امتنا ومعايير عاداتها ومدنيتها .

وأكبر ظن الأستاذ ان أخبار التنوخي في المستجاد ما خرجت عن قصص وقعت وربما دخل بعضها شيء من المبالغة للتأثير في النفوس والادهاش بالغرائب فقد أتانا التنوخي بنموذج من غلو العرب في الكرم الذين بلغوا فيه حداً لا يصدق .

ولم يشأ الأستاذ العلامة ان يمر بهذا الكرم دون ابداء رأيه الحكيم فيه فهذا الجود انما هو في جملته بالنسبة الى عصرنا ضرب من التبذير يفقر صاحبه ويغري آخذه بالتفنن في الاستجداء وما كان العرب إلا مفرطين بكرمهم ووفائهم فمن السفه اعطاء فرد واحد مئات الألوف وهناك ألوف من الخلق يعيشون في ضنك وفاقة فكان العمال ينهبون ما تطول ايديهم اليه من مال الرعية ويجودون على من يرون المصلحة في اعطائهم .

وكيف كان الأمر فالمستجاد كما قال الأستاذ انما هو الفن الذي يقضي علينا الواجب ابداً ان نتذوقه ونتفاوضه ونرويه ونترواه لما فيه من عبقة أرواح اجدادنا ومنها ننشق الكمال في اللفظ والمعنى ونمشي على آثارهم فتنشأ شخصيتنا الجديدة .

ش . ج

تيسير الكتابة العربية

عني مجمع فؤاد الأول للغة العربية منذ سنة ١٩٣٨ بمسألة تيسير الكتابة العربية وجعلها صالحة لضبط النطق بألفاظ اللغة وقد ألفت من أجل هذا الموضوع لجان شتى وجرت مذاكرات ومناقشات في كل ما تقرره لجنة من هذه اللجان واستمرت هذه العناية حتى سنة ١٩٤٤ وانتهى هذا كله بوضع جائزة قدرها ألف جنيه لأحسن اقتراح في تيسير الكتابة العربية .

وقد نشر المجمع حديثاً نصوص المذكرات والمناقشات التي دارت حول هذا الموضوع وما اتخذ في ذلك من مقررات في مؤتمر المجمع سنة ١٩٤٤ فالذي تهمه تفاصيل هذه المناقشات فليرجع الى رسالة المجمع المطبوعة في المطبعة الأميرية بالقاهرة سنة ١٩٤٦ .

وقد بينت رأيي في هذا الموضوع في مقال عنوانه : العربية اللاتينية نشرته في مجلة مجمعنا في عدد شهري تموز وآب من سنة ١٩٤٤ فما أحب الرجوع الى الكلام في هذا الباب ولكن الغريب ان اللغة العربية مرّت عليها عصور طويلة كانت في خلالها تدخل في كل موضوع من الموضوعات ، في الأدب والفلسفة والعلم وغير ذلك ، ولقد كانت تدخل في هذا كله في عصور انتشر فيها اللحن واللهجة العامية في الناس فما وقع في خلد أحد ان يفكر في مسألة تيسير الكتابة أو القراءة وبقيت اللغة مستفيضة في آفاق الدنيا ولم يشكُ منها أهلها صعوبة في قراءة أو كتابة ولو ظلّ سلطان العرب مستمراً حتى أوائل عصر نهضتنا من دون أن تغلب على هذا السلطان العصور التركية لما علم الا الله وحده المنزلة التي كانت تبلغ اليها لغتنا في هذا اليوم فلست أدري ما الذي يحملنا على التفكير في تيسير الكتابة أو القراءة والناس بفضل أساليب التعليم الحديثة قد حسنت قراءتهم ونطقهم بالنسبة الى الماضي ولا شك في أنهم في المستقبل يزدادون قدرة عليها بفضل انتشار هذه الأساليب ولا يستغرب اتيان يوم من الأيام تبطل فيه العامية أو تخف حتى لا يشعر الناطق أو الكاتب بشيء من الصعوبة في النطق والكتابة فنحمد الله تعالى على ان الباب الذي فتح في موضوع تيسير الكتابة قد أغلق كما فُتح وبقيت اللغة على طبيعتها تابعة لحكم الزمن وحده ولكن هذا الباب لم يغلق دون شيء من اللمز والهمز والتهكم ظهرت آثارها على كلام أحد أعضاء المجمع واذا تعوّد الناس ان يروا مثل هذه الآثار في الصحف فانهم لم يتعودوا أن يروها في مناقشات شيوخ جلّت مقاديرهم وارتفعت منازلهم .

شفيق جبري

كتاب النبراس

في تاريخ خلفاء بني العباس

ألفه ابن دحية الكلبي المتوفى سنة (٦٣٣ هـ) وصححه وعلق عليه الأستاذ المحامي عباس العزاوي. وطبعته لجنة الترجمة والتأليف والنشر ببغداد. وهو يقع في ما يقرب من مئتي صفحة.

قدم المصحح الكتاب بتوطئة عرف فيها المؤلف: نسبه وعلمه ودراسته وتآليفه. وبالغ في الثناء عليه، مبالغة يراها من تصفح الكتاب أنها فوق ما يستحقه. ودافع عنه في ما كان يؤخذ عليه. حتى انه أثنى على قدرته في البيان، وتلاعبه في ضروب البلاغة، وسيطرته على اللغة. وهي أمور اذا كان وقع شيء منها في الكتاب، فهو في ما نقله المؤلف عن غيره لا في ما أنشأه هو نفسه. وتجيء بعد هذه التوطئة مقدمة موجزة للمؤلف ألم بها بفضل التاريخ، وبالسبب الذي من أجله وضع المؤلف مؤلفه.

يبدأ هذا التاريخ، بأبي العباس السفاح: أول الخلفاء العباسيين (١٣٢ — ١٣٦ هـ). وقد تكلم في هذا الفصل — وهو يقع في عشرين صفحة — عن ابن عباس، وعن فضائله، وعن مسائل في الفقه، وفي الحديث، وتعرض لألفاظ لغوية، بأكثر مما تكلم عن ابي العباس السفاح. وينتهي الكتاب في خلافة الناصر لدين الله سنة (٥٧٥ هـ).

وتراجم الخلفاء لا تزيد كثيراً على ذكر تاريخ التولية والوفاة، او الخلع، يتخللها حوادث اكثرها تافه غير ذي بال.

ومثل هذا الكتاب اذا كان لا يفيد كثيراً في ميدان التاريخ، فنشره ضروري لوجهين:

١ — انه تاريخ من التواريخ التي ألفت في بني العباس، فمن حق الحكومة العراقية وهي خليفة الدولة العباسية، ان تنشر كل ما له صلة بها وبآبائها.

٢ — قد تكون فيه بعض العظة لهؤلاء الذين يتولون الأمور في الأقطار العربية اليوم وهمهم — في مطلع دولتهم — ما كان هم أولئك المتولين — في أعقاب دولهم — الجري وراء مطامعهم وشهواتهم غير مفكرين في دين ، ولا عاملين لوطن ، ولا مخلصين لأمة . قائلين بواقع الأعمال ، ما قاله احد ملوك فرنسة المستهزئين بلسان الحال : انا ! ومن بعدي الطوفان .

وسيقضي هؤلاء المتأخرون على دولهم الناشئة ، كما قضى أولئك المتقدمون على دولهم الشائخة . ويقف واقف على قبورنا فينشد ما انشده ابن دحية (المؤلف) يوم وقف على قبور أولئك :

يا سائل الدار عن أناس ليس لهم نحوها معاد
مرت كما مرت الليالي اين جديس وأين عاد

وبعد ، فانا نشكر للأستاذ العزاوي ، ماعناه من جهد في تصحيح هذا الكتاب ، والتعليق عليه . وان بقيت فيه هنات قل ان يسلم منها كتاب .

عارف النكدي

آراء وأحاديث

في الوطنية والقومية

مجموعة محاضرات ومقالات للأستاذ ساطع الحصري ، ألقيت في أندية بغداد ونشرت في بعض الجرائد والمجلات ، شرح فيها الأستاذ المربي عناصر القومية ، وعوامل الوطنية ، وناقش الآراء والأنظار التي تتصل بهذه الموضوعات ، فكان من هذه المقالات والمحاضرات : (الايمان القومي) و (بين الوطنية والإنسانية) و (بين الوحدة الاسلامية والوحدة العربية) و (بين الماضي والمستقبل) و (بين مصر والعروبة) و (العلم للعلم أم العلم للوطن) و (العلم والوطنية) و (رد على تصريحات الشيخ المراغي) .

والحديث في هذه المحاضرات والمقالات مستمد من العلم الصحيح والخبرة الواسعة ، ولقد كان الأستاذ موفقاً كل التوفيق في ردوده على الذين يقاومون الفكرة القومية والوحدة العربية ، ولا سيما في رده على الشيخ المراغي والأستاذ طه حسين ، كما كان موفقاً في بحثه عن مصر ومكانها من القضية العربية ، وهو بحث نشره في جريدة البلاد في بغداد سنة ١٩٣٦ قبل ان تكون الجامعة العربية قد ولدت ، وفي هذا دليل على أن الجامعة العربية كانت حاجة في النفوس العربية المخلصة ، قبل ان تكون مظهراً حكومياً على ما هي عليه اليوم .

ولا يسع العربي إلا أن يثني الثناء الصادق على النزعة العربية القومية التي يؤمن بها الأستاذ الحصري ، ويعمل لها جاهداً دائباً .

ع . ه

عمر فروخ : ابن طفيل وقصة حي بن يقظان

طبع في مطبعة النجمة ببيروت عام ١٩٤٦ . عدد صفحاته ١٠٠ من القطع الوسط .

للدكتور عمر فروخ دراسات كثيرة في تاريخ الأدب والفلسفة تزيد على (٢١) رسالة منها كتابه : اثر الفلسفة الاسلامية في الفلسفة الاوروبية ، وكتابه : عبقرية العرب في العلم والفلسفة ، ودراساته عن ابن خلدون والفارابي ، وابن سينا ، واخوان الصفا ، وابن باجه ، وهذه الدراسة الأخيرة عن ابن طفيل .

تشتمل هذه الدراسة الأخيرة على مقدمة وست مقالات في عصر ابن طفيل ، وترجمة حياته ، وسبيل فلسفته ، وتحليل كتاب حي بن يقظان ، وبسط فلسفة ابن طفيل ، واثره في الشرق والغرب . وهي على قصرها محيطة بكل ما في كتاب حي بن يقظان من الآراء . ومع ان المؤلف لم يطلع على كتاب المستشرق الفرنسي (ليون غوتيه) : (ابن طفيل ، حياته ومؤلفاته) ، ولا على المباحث الأخيرة التي نشرها المستشرق الاسباني (آزين بالاسيوس) ، فان النتائج العامة

التي وصل اليها لا تختلف كثيراً عن الحقائق التاريخية التي أثبتها هذان المستشرقان . فليس في دراسته عن ابن طفيل نقص في العناصر ولا تقصير في الاحاطة ، وانما النقص الأساسي فيها هو تسرعه في الأحكام المطلقة وعدم تقيده بالطريقة التاريخية .

أما تسرعه في الأحكام المطلقة فيظهر لنا في قوله : « ان جهودنا اليوم يجب ان تنحصر وان تتضافر على تحليل آراء فلاسفة الاسلام في الدرجة الأولى . اما انتاجنا الفلسفي فيجب ان يتأخر » .

لا شك ان جميع المفكرين يوافقون الدكتور عمر فروخ على ضرورة البحث في تاريخ الفلسفة العربية ، لان الامة التي لا تعرف ماضيها الفكري لا تدرك أبداً ما يجب ان يكون عليه مستقبلها . ومن المفكرين من يرى أيضاً ان الاقتصار على البحث في آثارنا الفلسفية القديمة لا يشق لنا سبيل الانتاج الفلسفي . وانه ينبغي لنا ، في سبيل الوصول الى ذلك ، ان نجمع بين الماضي والحاضر ، فندرس أولاً آثارنا القديمة ونترجم في الوقت نفسه آثار الفلاسفة الغربيين . أما القول بتأخير انتاجنا الفلسفي فانا لم نفهمه ، لأننا نعتقد اننا قادرون على الابداع كغيرنا من الأمم ، ولا فائدة من تأخير انتاجنا الى مرحلة ثانية من مراحل التطور . ولو ان الأمم دعت الى تأخير انتاجها الفلسفي كما ندعو نحن اليه في كتبنا المدرسية لما استطاعت ان تنتج شيئاً . لنبدأ بالانتاج منذ الآن ولنغرس هذه الفكرة في نفوس طلابنا . فاذا نشأوا على ذلك وآمنوا بقدرتهم على الابداع استطاعوا في المستقبل ان يجاروا غيرهم من الأمم ، وهذا خير لنا وابقى من تثبيط الهمم والاقرار بالعجز .

ومما يدل أيضاً على تسرع المؤلف في احكامه قوله : « ومع ان فلسفة ابن طفيل كانت مادية الى أقصى حدود المادية فانه هو شخصياً كان ديناً تقياً » (ص ٣٨) .

ان اول ما يستنتجه القاريء من هذا الحكم المطلق ان المؤلف لم يفهم فلسفة ابن طفيل على حقيقتها . ففلسفة ابن طفيل لم تكن مادية ، بل كانت فلسفة عقلية روحية . ومن العجيب ان تشتمل هذه الفلسفة (المادية) على القول بخلود النفس واستقلالها عن الجسد ، والقول بوجود الله ووجود الجواهر الروحانية ، فالنفس عند ابن طفيل لا يدركها الفساد لأنها من ذات الله ، والله بريء من جميع معاني النقص ، وهو الكمال والحسن والبهاء ، لا يمكن ان يحدث في هذا العالم شيء إلا بأمره ، والمؤلف نفسه يصرح بذلك في بسط فلسفة ابن طفيل . فاما ان يكون حكمه هذا ناشئاً عن التباس معنى الفلسفة المادية عليه ، واما ان يكون في قوله هذا تناقض ، واما ان يكون ذلك ناشئاً عن التسرع في الحكم ، ونعتقد ان الوجه الأخير هو الأصح .

- وأما عدم تقيد المؤلف بالطريقة التاريخية فيظهر لنا في كلامه عن عصر ابن طفيل . اذ ذكر لنا أولاً حالة العالم الاسلامي في الشرق والغرب ثم تبسط في الكلام عن انكلترا وفرنسة ، والنورمان في صقلية ، وعن الامبراطورية البيزنطية ، واباطرة الجرمان والنزاع البابوي . وهذا كله يدخل في باب التاريخ العام . ولو احتجنا في الكلام عن فلسفة رجل الى مثل هذا الاسهاب في وقائع التاريخ لاختلط علينا الأمر . ان مؤرخي الأفكار يكتفون في مثل هذه الحالة بالأسباب والوقائع المباشرة التي أثرت في فلسفة الرجل . أما الكلام عن وقائع لا علاقة لها به فيعدونه خروجاً عن الموضوع .

هذا بعض ما بدا لنا في نقد هذا الكتاب . وهو لا ينقص من قيمته ، لأن الكتاب يستعرض آراء ابن طفيل على ترتيب معقول ، ويحللها بطريقة منظمة وأسلوب واضح جذاب . وهو على قصر حجمه يشتمل على كل ما يجب معرفته من قصة حي بن يقظان ، فالشكر للمؤلف على أدبه وعلمه .

جميل صليبا

نظام التربية في أميركا

يشتمل على دراسة تحليلية لمجلس التعليم الأميركي ، عنيت بنقله الى العربية
مجلة التربية الحديثة بالجامعة الاميركية بالقاهرة ، طبع بالمطبعة المصرية
بمصر ، عام ١٩٦٥ ، عدد صفحاته ٢٩٦ من القطع الوسط

عني باصدار هذا الكتاب مجلس التعليم الأميركي في الولايات المتحدة .
ومجلس التعليم هذا يضم جماعات التعليم الوطنية ، والكليات ، والجامعات المعترف بها ، والمعاهد الصناعية والفنية ، والمدارس الثانوية ، ومجالس التعليم لحكومات الولايات ، ومجالس التعليم للمدن . وفيه أيضاً كثيرون من زعماء التربية .

والكتاب يشتمل على سبعة فصول : (١) في النظام والادارة ، (٢) ورياض الأطفال ومدارس الحضانة ، (٣) والتعليم الأولي ، (٤) والتعليم الثانوي ، (٥) والتعليم العالي ، (٦) واعداد المعلمين ، (٧) والتعليم الريفي . كتب كل فصل منها عالم من علماء التربية وأشرف على تحريرها المربي الدكتور (كندل) الأستاذ بجامعة كولومبيا .

وقد عنيت مجلة التربية الحديثة بنقل هذا الكتاب الى اللغة العربية بالاشتراك مع مكتب الاستعلامات الاميركي بالقاهرة ، فعهدت في ترجمة كل فصل من فصوله الى أستاذ خاص ، فجاءت الترجمة على اختلاف أسلوبها ، واضحة بينة ، الا انها لم تخل في بعض نواحيها من الغموض والعجمة والالتباس .

وقد نبهنا الأستاذان (جون بادو) و (أمير بقطر) في التمهيد الذي صدرا به هذا الكتاب الى ان الوقوف على نظم التعليم في شتى البلدان من أحسن الوسائل لصيانة السلم ، وان كل بحث من هذا القبيل يلقي ضوءاً على أماني الأمم وتراثها ، ونتيجة اختباراتها ، ويقرب الشعوب بعضها من بعض .

ولهذا قلما يقارن المرء بين نظم التعليم في العالم العربي وبين نظام التربية في الولايات المتحدة تفطن لما في نظم التعليم عندنا من العيوب التي يجب اتقاؤها ، والمحاسن التي

يجب الاحتفاظ بها . فالتعليم في الولايات المتحدة متنوع الى أقصى حدود التنوع ، فلا يوجد بين النظم المحلية نظامان متماثلان تماماً ، بل ان لكل ولاية نظامها الخاص ، والشعب الأميركي يهيمن مباشرة على شؤون التعليم بحيث يشعر اولياء التلاميذ ووالدوهم ان معاهد التعليم ملك لهم ، والتربية عندهم مبنية على أساس اللامركزية . وهي مستقلة عن الدولة واذا حاول موظفو الحكومة التدخل في شؤونها قاومهم الشعب بكل عنف . والشعب الأميركي يؤمن بالتربية ويعتبرها سياسة قومية عامة ، ويريد ان تتاح فرص التعليم لجميع أفراد الشعب على اساس المساواة ، لأن الغرض الأول من الديموقراطية هو تنظيم المجتمع تنظيماً يكفل لكل عضو من أعضائه النهوض بشخصه عن طريق النشاط الذي يرمي الى الرفاهية العامة . لذلك كان لا بد للتربية من ان تعنى بالناحية الصحية والفكرية والخلقية معاً ، فتعد الطالب ليكون عضواً عاملاً في أسرته وتعلمه مهنة يكسب بها رزقه ، وتربيه تربية وطنية صحيحة ، وتعوده التمتع بأوقات الفراغ وتوفر له وسائل التسلية في المدرسة والبيئة .

ولا يتسع المجال هنا للاحاطة بكل ما تضمنه هذا الكتاب من المثل العليا والنظم والأهداف العامة والمبادئ والوسائل ، فان الاشارة الى كنوز الكتاب لا تغني عن مطالعته . وسيجد القارئ فيه ان الكمال في نظم التربية الأميركية لم يدرك بعد في أية ناحية من النواحي ، وان النظم لا تجري فيها على نمط واحد ، ولا تتشابه في مستواها في اية وحدة من وحدات التعليم كما هي الحال في بلادنا . ولهذا النظام عيوبه ومحاسنه . فعلى رجال التعليم ان يقتبسوا منه ما ينطبق على حاجاتنا القومية ، ويساعد على تعديل نظام المركزية الجامد الذي جرينا عليه حتى الآن . فاللامركزية الواسعة في التعليم لا تعني الفوضى ، كما ان المركزية الضيقة لا تدل دائماً على النظام .

ج . ص

الدكتور (كنوك) أو انتصار الطب

رواية تمثيلية هزلية ذات ثلاثة فصول • تأليف (جول رومان)
وتعريب الأستاذ ابراهيم كيلاني • طبعت بدمشق عام ١٩٤٥
عدد صفحاتها ١٠٩ من القطع الصغير •

يقول أحد الكتاب المعاصرين : « ان رواية الدكتور (كنوك) تصور لنا جنون الطب والأطباء والمرضى معاً » •

فالدكتور (كنوك) مجنون لأنه يظهر تارة بمظهر المغامر والدجال والتاجر ، وأخرى بمظهر المصلح المتفاني في خدمة الانسانية :

والمرضى مجانين لأنهم مثقلون بعبء الوساوس والأوهام محرومون من التمتع بلذة العيش تساورهم اشباح الامراض وتعشش جراثيمها في نفوسهم •

والطب نفسه جنون لأنه يقلب غايات الطبيعة فلا يقتصر على معالجة المرضى ، بل يرغم الأصحاء أنفسهم على التمسك بقواعد الصحة ، ويرهقهم بالتدابير الواقية التي تدخل الوهم الى قلوبهم وتنشر الذعر بينهم •

لقد ذكرتني قصة الدكتور (كنوك) هذه بقصة ذلك القاضي التركي الذي كان يدعو القرويين الى محكمته ، ويحكم لهم بحقوق لم ينقدوها وأموال لم يضيعوها ، ويعطيهم صكاً بذلك لقاء مبلغ من المال يدفعونه له • فكما شقّ على الدكتور (كنوك) ان يكون الناس أصحاء سالمين من المرض ، فكذلك شقّ على ذلك القاضي ان يكون الناس بعيدين عن الخصومة ، ليس عليهم دين يؤدونه او حق يطالبون به • وما اكثر المحامين والقضاة الذين يشبهون الدكتور (كنوك) • انهم لا يفتشون عن الحقيقة ، ولا يعملون على احقاق الحق ونشر العدل ، بل يريدون ان ينتصروا على زبائنهم كما انتصر الدكتور (كنوك) على سكان (سنت موريس) • فالطبيب الذي يوحي الى الناس انهم أصحاء يعمل على انكسار الطب • اما الطبيب الذي يقوم على وضع جميع الناس في أسرة المرض خبثاً بالتجربة والمشاهدة فيعمل على رفع منار مهنته •

في كتاب (غورجياس) لأفلاطون تحليل لآراء السفسطائيين الذين جعلوا همهم من الحياة الانتصار والتغلب ، فسلكوا في سبيل الوصول الى غاياتهم طريقة الخطابة ، وأعرضوا عن الفلسفة ، وفضلوا القوة على العدل ، والتمويه على الحقيقة ، واللذة على الفضيلة . وطريقتهم هذه لا تزال محببة الى كثيرين من الأطباء والمحامين ورجال القضاة والسياسة . فكأن الدكتور (كنوك) رمز مجرد او مثال عام ينطبق على كثيرين من سفسطائيي هذا العصر .

وطريقة (جول رومان) في رواية الدكتور (كنوك) شبيهة بطريقة (موليير) . وهي تقوم على المبالغة في وصف بعض العيوب ، وتدعو الناس من طرف خفي الى التفكير في تجنبها . ولكن (جول رومان) لا يصرح ابداً بهذه الغاية الخلقية . بل يترك للقارئ ملء الحرية في استخراج مايريده من النتائج . ولو سلك كتابنا المسرحيون هذه الطريقة لجاءت رواياتهم أوفى بالغرض . الا انهم يكثرون من الدعوة الى الفضيلة حتى تبح أصواتهم ، فيقلبون صور الفن الى فضائل خلقية جافة تمجها النفس ويعافها الذوق .

وبعد فهذه الرواية ، على صغر حجمها ، تشتمل على كثير من المزايا الفنية والادبية . وقد اجاد الأستاذ ابراهيم كيلاني في ترجمتها ، فجاءت حسنة الأسلوب ، واضحة المعاني ، وهذا وحده كفيل بأن يضمن لها رواجاً عظيماً .

ج . ص

العلويون من هم ؟ وأين هم ؟

للسيد منير الشريف . في ١٧٨ صفحة من القطع الصغير .
طبع في دمشق عام ١٩٤٦

ضمنه المؤلف نتيجة دراسة تاريخية وسياسية عن محافظة اللاذقية ، ووصف لنا طبيعتها الجغرافية ، وبحث حالتها الاقتصادية والاجتماعية . وعدد عشائر العلويين ووصف عاداتهم ومعتقداتهم . وقد عالج شؤون هذه المحافظة في ماضيها وحاضرها

ومستقبلها معالجة تنم على خبرة واسعة في شؤون هذه المنطقة ، ودعم بحثه بوثائق وأرقام استقاها المؤلف من هذه السنين العديدة التي عاشها في هذه المحافظة ومارس فيها وظائف رئيسية كثيرة كشفت له عن معلومات قيمة جمعها لنا في هذا الكتاب .

وقد أنصف المؤلف العلويين فيما كتبه عنهم ، واصاب كبد الحقيقة في تفهم روح هؤلاء الاخوان المنعزلين في جبالهم والمنقطعين عن جوارهم ، ينسج المضللون حولهم شتى الاقاويل واعجب الأساطير . وقد صوّر لنا امراضهم الاجتماعية واوضاعهم التقليدية ووصف لها العلاج الناجع . فاذا كان المؤلف قد كشف لنا عن بعض ما يؤخذ عليهم فانه لم يهمل ميزاتهم الطيبة وصفاتهم الحسنة التي يتحلون بها مما كان يجهلها عن احوالهم كثير منا . فبدد بذلك الأوهام التي كانت عالقة في اذهان غرستها فيها الدعايات الفاسدة والأغراض الباطلة . وبين لنا كيف ان العلوي لا يقل عن سواه وطنية وعروبة مستشهداً بحوادث ووقائع تاريخية كانت مجهولة ، ساهم فيها العلويون للدفاع عن حريتهم وسيادة وطنهم . ومن الخطأ ان نأخذ المجموع بجريرة افراد ضلوا السبيل وهم نفر لا تخلو منهم محافظة بل قيها من هم اضل سبيلاً . كما ضمن المؤلف كتابه منهاجاً عمرانياً للنهوض بهذه الطائفة التي اهملتها الظروف السياسية ولإعادة الاطمئنان الى نفوس ابنائها يجدر ان يقف عليها كل من يعمل في ادارة هذه المنطقة .

واننا لانشاطر المؤلف رأيه في جعل مقياس الوطنية على اساس وحدة العرق والجنس ، فقد أثبتت التجارب والنظريات الحديثة بأن وحدة اللغة والثقافة والمنفعة المتبادلة والكرامة المشتركة لا تقل ضمانة عن وحدة العرق في تكوين أمة ذات سيادة موحدة . ومثل الولايات المتحدة الاميركية واختلاف عناصر شعبها لهو اصدق برهان على هذا الزعم .

واننا نشكر للمؤلف عنايته وجهوده ونرجو ممن عانوا الشؤون الادارية من موظفي الدولة ان يقتدوا بزميلهم هذا فيعالجوا امثال هذه الأبحاث المفيدة خدمة لأنفسهم وبلادهم .

جعفر الحسني

كتاب اللغات في القرآن

مطبعة الرسالة بالقاهرة . بقطع متوسط . نحو مئة صفحة

عام — ١٣٦٥ — ١٩٤٦

يتابع الأستاذ صلاح الدين المنجد نشر جهوده العلمية من تأليف، وترجمة، وتحقيق مخطوطات قديمة . ومن آخر ما نشره « كتاب اللغات في القرآن » الذي رواه عبد الله بن الحسين بن حسنون المقرئ، المتوفى سنة (٣٨٦) بسنده الى ابن عباس الصحابي الجليل .

وهذا الكتاب من مخطوطات دار الكتب الظاهرية بدمشق، وجده الأستاذ المنجد بها فاستنسخه ثم صححه وحققه ونشره، بعد ان وضع له مقدمة حلل فيها هذا الكتاب ووصف المخطوطة، وحقق شأن المؤلف، وألحق في آخره ما تفرد بذكره السيوطي في الاتقان من ابحاث هذا الموضوع، واضاف اليه فهارس متقنة تسهل الرجوع لمسائله .

رتب المؤلف هذا الكتاب على السور فبدأ بسورة البقرة حتى انتهى الى آخر سور القرآن . وسرد ما قيل في كل سورة من الفاظ القبائل العربية والفاظ الأمم الأخرى من آرية كالفارسية والرومية، أو سامية كالسريانية والعبرية والحبشية والنبطية والقبطية، وهذا الكتاب هو الوحيد الذي طبع مما افرد بهذا الموضوع، ففيه الفاظ للقبائل غير موجودة في « الاتقان » للسيوطي .

ومما جاء في مقدمة الناشر : وهكذا نجد ان القرآن الكريم قد ضم الفاظا من معظم القبائل وهذا الأمر يومئ الى غاية سياسية ... هي توحيد العرب وجعل القرآن كتاباً تجد فيه كل قبيلة من الفاظها الخاصة بها، ثم ايجاد لغة واحدة تكون اللغة الرسمية للعرب جميعاً، هي تلك اللغة الكاملة التي نجدها في القرآن .

فنشكر للأستاذ المنجد جهوده القيمة وخدمته للآداب العربية آداب القرآن الكريم .

محمد أحمد دهمان

آراء وأنباء

تطور الألفاظ والتراكيب والمعاني [1]

أبقى لنا الثعالبي من أهل القرن الخامس في المضاف والمنسوب درساً مستوفى من التراكيب والاضافات التي كان بعضها شائعاً في الجاهلية والآخر حدث في الاسلام وقد خرجها في أحد وستين باباً ، فمنها ما أضيف الى اسم الله تعالى : أهل الله . بيت الله . رسول الله . كتاب الله . أرض الله . ستر الله . ناقة الله . رحمة الله . أمر الله . لعنة الله . صبغة الله . الخ . وكل شيء كما قال الجاحظ أضافه الله تعالى الى نفسه فقد عظّم شأنه وشدد أمره ، وقد فعل ذلك بالنار فقال نار الله الموقدة ومنها ما يضاف الى الأنبياء مثل سفينة نوح . عمر نوح . مقام ابراهيم ، نار ابراهيم . صحف ابراهيم . ناقة صالح . قميص يوسف ، عصا موسى . صبر أيوب . مزامير داود . خاتم سليمان . ومنها ما ينسب الى الملائكة والجن والشياطين مثل : سحر هاروت . ديك الجن . جند ابليس . قبح الشيطان . حبائل الشيطان . رؤوس الشياطين . ومنها ما يضاف الى القرون الأولى : ريح عاد . صرح هامان . كنوز قارون . سد الاسكندر . نوم اصحاب الكهف . ومنها ما يضاف الى الصحابة والتابعين مثل سيرة العمرين . درّة عمر . دهاء معاوية . فقه العبادلة . حلم الأحنف . ومنها ما يضاف الى رجالات العرب في الجاهلية والاسلام : حاتم طيء . زيد الخيل . سحبان وائل . عروة الصعاليك . سعد العشيرة . وضاح اليمن . مجنون بني عامر . أشج بني أمية . جبار بني العباس . ومنها ما ينسب الى القبائل : ايلاف قريش . تيه بني مخزوم . جود طي . أو الى

---

(1) ألقيت هذه الكلمة يوم افتتاح الدورة الثالثة عشرة لمجمع فؤاد الأول للغة العربية في القاهرة يوم ٤ كانون الثاني سنة ١٩٤٧ .

رجال مختلفين : حكمة لقان . بلاغة قسّ . عِيّ باقل . حديث خرافة . مواعيد عرقوب . وفاء السموأل . كذب مسيلمة . طمع أشعب . ومنها ما ينسب الى العرب : تيجان العرب . نخوة العرب . كسرى العرب . ومنها ما أضيف الى الاسلام : قبة الاسلام . بيضة الاسلام . دعوة الاسلام . ومنها الى القراء والعلماء : فقه أبي حنيفة . حاجة أبي الهذيل . أو الى ملوك الجاهلية والاسلام : سيرة أردشير . عدل أنوشروان . ايوان كسرى . شقائق النعمان . خلافة ابن المعتز . أو الى الكتاب والوزراء في الدولة الاموية والعباسية : بلاغة عبد الحميد . بلاغة جعفر . يتيمة ابن المقفع . تيه عمارة . أو الى البلدان : عزيز مصر . أو الى أهل الصناعات : كلب القصاب . تيه المغنّي . رُغفان المعلم . كذب الدلال . ومنها الى الآباء والأمهات والبنين والبنات مثل : أبو قلمون . أبو مثوى . أم الكتاب . أم القرى . أم المؤمنين . أم حبين . أم قشعم . ابن الليالي . ابن جلا . ابن آوى . ابن السبيل . بنو الأيام . بنو الدنيا . بنت الفكر . بنات الصدور . أو الى الأذواء والذوات كأذواء اليمن . ذو الأوتار . ذو القرنين . ذو النورين . ذو الرياستين . ذو الكفايتين . ومنها ما ينسب الى النساء مثل : ذات النطاقين . كيد النساء . مرآة الغريبة . حمالة الحطب . خضراء الدمن . ضرائر الحسناء . بكاء الثكلى . ومنها الى الأعضاء : سويداء القلب . حبل الوريد . ومنها الى الابل : حمر النّعم . صولة الجمل . خبط عشواء . ومنها الى الخيل والبغال : نواصي الخيل . فرسا رهان . ومنها الى الحمار : حمار العزير . صبر الحمار . ومنها الى البقر والغنم : بقرة بني اسرائيل . أذناب البقر . لحية التيس . ومنها ما يضاف الى الأسد : ليث عفرّين . ليث الغاب . جرأة الأسد . وثبة الأسد . ومنها الى الذئب والسباع والوحوش والسنور والفار والضب والظربان والقنفذ والسرطان والحية والعقرب والحشرات والهوام والطير والغراب والذباب والبعوض . ومنها الى الأرض والدور والأمكنة والأبنية والبلدان والأماكن ، ومنها الى الجبال والحجارة والمياه والنيران والشجر والنبات

واللباس والثياب والطعام والشراب وما يتصل بها والسلاح والحلي والليالي والأزمان والأوقات والآثار العلوية وغير ذلك .

هذا ما عُني الثعالبي بتدوينه وفيه صورة من صور المجتمع الجاهلي والاسلامي ومنه ما جاء كالمثل ومنه ما كان فيه اشارة الى وقعة تاريخية وتصوير لحالة نفسية مثل : عَرَق القربة ، عَرَق الموت . ومعنى الأولى الشدة والمشقة ، ويضرب الثاني مثلاً لأشد الشدة . وكان الحسين الخادم خادمَ المعتضد والمكتفي يتولى البريد بمصر ويلقب بعرق الموت . قيل ان المكتفي لقبه بذلك .

وكل ما نسب وأُضيف وأتانا به الثعالبي ما خرج عن تركيب عربي ولفظ عربي ، ولقد حدثت بعدُ تراكيب واضافات وألفاظ كان الواجب تدوينها ولعله كان ينتظم منها مجلد آخر . أما في العصور الحديثة عصر الطباعة والصحف والمجلات وانتشار الكتب وعهد اتساع العلوم المادية فقد يسقط الباحث على اضافات ونسب منها ما نُقل عن اللغات الغربية وتحس فيه أثر الترجمة وهُجنة العجمة .

وتطورت الألفاظ والتراكيب في عصر العلوم هذا وقضت الحال على النقلة ان يختاروا ألفاظاً لتراكيب جديدة ، فمنها ما جودوا فيه ومنها ما قصروا ، وكله دخل على اللغة وحفظه الناس وتناقلوه ، وتكثر هذه التراكيب والألفاظ في مصطلحات علوم السياسة والاجتماع والفلسفة والاقتصاد والمالية والتربية . كثرت لأن سند هذه العلوم انقطع عند العرب أو كانت علوماً جديدة لا يعرفها أجدادنا وكانت المادة من التعابير قليلة وكان المترجمون لأول النهضة ضعافاً في اللغة ولعل بعضهم لم يدرك ما تحويه الألفاظ الفرنجية من معان ، فترجموا كيفما اتفق ، لا كما يجب ان يكون . ومن التراكيب التي جاءتنا بها العصر الجديد اذا ألقيته على مسامع العربي الأصيل ، اضطر الى أن يفكر ساعة وربما ما خرج بعدها بشيء يصور له المعنى تصويراً حقيقياً ، لأنه لا يعرف جهة العلم الذي كانت هذه الألفاظ والتراكيب من ألفاظه وتراكيبه . وقد شاهد هذا المجمع من تلك الألفاظ مئات لما نظر في مفردات العلوم .

ولا أكتمكم يا سادتي أن سمعي لم يتألم قط أكثر من تألمه من لفظ أو اضافة جاءنا بها المشتغلون بعلم التربية ، فنسبوا الى التربية «التَرْبِيَوِي» وأتونا بعد ذلك بألفاظ وتراكيب لو حلفنا لأهل عصور زهو العربية بالطلاق والعتاق أنها عربية ماصدقوا ولا آمنوا ، جاءنا متفاصحو المترجمين بتركيب : النزعة الواقعية • القوة الوجدانية • الذاتي الموضوعي الاقليمي • الفكرة الأساسية • الفكرة الرئيسية • الطريقة الاعتباطية • السبب المباشر • وهكذا سرت الى الأقلام عشرات من التراكيب على اعتبار أنها وردت في كلام بعض العارفين فاحتذاها من قضت عليهم صناعتهم بالعجلة وعدم التريث ككتاب الصحافة ، وقد يعبرون عن المعاني التي يحتاجون الى أدائها من حاضر الوقت لا يطيلون التفكير فيها والمراجعة • نعم جاءوا بطائفة من التراكيب ما أنزل الله بها من سلطان ، ومن قولهم : تغلبت العناصر التقدمية على الرجعية • وطن معنوي مثالي • الوطن المرقوب المرغوب • من حيث الأساس • تَنْرض نفسها على اتجاهات السياسة • القَبْتاريخية أي قبل التاريخ • Préhistoriques الأحلام الطوبائية • Utopiques ولو قال أبو عذرة هذا التركيب : السياسة قبل عصر التاريخ بدل القبتاريخية والخيالات والأوهام بدل الأحلام الطوبائية لأدى المراد ونجا من هذه السماجة • جاءونا بفلان يضرب الرقم القياسي في الشيء الفلاني • النزعات السياسية السائدة • عمله على ضوء كذا • رفع رأس أمته عالياً • يحيطونها بهالة من الرهبة • استغل الموقف • جرى على خطته التقليدية • خلقت جواً من الشبهات • المفاوضات تجري في جو يسوده الود • الوضع الحاضر • الوعي القومي • سر المهنة • فقيد الواجب • التربية المثالية • المجال الحيوي • الشخصيات البارزة • السوق السوداء • الجهود الجبارة • الحل الحاسم • حقل الادب والعلم • الروح الوثابة • موضوع أخاذ • أتون الحرب • الرغبة الملحة • حملة داوية صارخة صخابة • وأخيراً تم الشيء الفلاني • بحسب الخطة المرسومة • رجل الساعة • الأهداف القومية • حركة خاطفة • الروح المعنوية

المتوثبة . في ظل النظام . ظهر على مسرح السياسة . يضحي على مذبح أغراضه . طلب يد فلانة . ذر الرماد في العيون . يشق طريقه الى الحياة . فشلت المناورة . انفرجت شفتاه عن عدة ابتسامات كان لها أثر طيب في تلطيف جو الاحتفال .

ومنها ما يكررونه في اليوم والليلة مرات حتى مجته الأذواق وبرمت به الآذان وهي ليست في شيء مما أجازه علماء البيان في التكرار أو عمد اليه الجاحظ في ترديد بعض ألفاظه الحلوة كفعل كان أو تركيب أما بعد ، وتكرار الجاحظ على كل حال لا يشبه ما أحصيته لأحد البلغاء في حديث له في المذياع كرر فيه لفظ (اللهم) مراراً ، وأذكر أني عددت له منها عشر مكررات ثم مللت ووجهت وجهي عن الاستماع ، والغالب أن صاحبي ، وكان شيخاً والمشيخة فيه أعلق به من شعرات قصه ، انقطع عن الصلاة أياماً وأحب أن يعوض عن لفظ اللهم التي فاتته فجمعها كلها في محاضرة واحدة . ولعله ظن أن المحاضرة صلاة ودعاء فتوسل الى الباري تعالى ما وسعه التوسل في حديثه مع أنه كان من سعة المادة اللغوية على جانب عظيم ، ولا يحتاج بيانه الى مثل هذه التكآت .

ومن التراكيب والاضافات الجديدة ما تغثي منه النفس وهذا تجده في كثير من الكتب المترجمة ممن يكون مترجمها وسطاً في اللغة التي نقل منها واللغة التي نقل اليها . ترجمنا وبذلنا الجهد فكان في ترجماتنا الرديء والجيد ، ولم يكن لنا بد من الدخول في هذا الدور - أما الآن وقد كثر عدد الفريق الذي تخرج بآداب لغته واللغات الغربية فالواجب ألا ننشر الا ما سلم كل السلامة من العوج ولم يسبق للسان العربي أن جرى به . فبالله ألا تصابون بالبُرَداء وقاكم الله شرها اذا سمعتم مترجماً يقول : وهذا الشعور ليس سلبياً بل ايجابياً . تربية فلان الايجابية العملية . المركز الاستثنائي . المبدأ الانقلابي . دلل بها على جوهر قومي مركز . التركيز في التقسيمات . حركة تحريرية تجديدية . نصوص مثلية . شريعة الوطنية تستمد وحيها من نواميس كذا .

ومن التراكيب أو الألفاظ ما استلزمته طبيعة العصر لأنه ينم عن معان لاسبيل الى التنفّص منها لأنها تدل على أمور ذات أثر في سياسة الدنيا اليوم؛ ومنها : الارهابيون ، الوصوليون ، النفعيون ، الانتهازيون ، المداورون ، العدميون ، الفوضويون ، الاشتراكيون ، الشيوعيون ، النازيون ، الفاشستيون ، الجمهوريون ، الملكيون ، الديمقراطيون ، الاستقراطيون ، الدكتاتوريون ، الرأسماليون ، المحافظون ، الحياديون ، الحزبيون .

ولا أطيل عليكم في ايراد الاضافات والصفات والأسماء الجديدة ، وعلى من يحب التوسع في تلقفها أن يتتبعها في الصحف والكتب الحديثة ، ولا سيما في المعرّبات . وتكثر التراكيب والألفاظ النابية عن مناحي البلغاء في كلام أهل القرن الماضي ولا نرى كل وَسَط في نقله وتصنيفه إلا معتذراً عن جهله بأنه يكتب الكتابة التي تروق جمهور الناس ، ويهزأ في باطنه ، وأحياناً يبدو هزؤه على سحنته ، ممن يكتب كتابة عربية في الجملة ويصمها بأنها كتابة جامعية أو مشايخية نسبة للجامعة أو لدار العلوم والأزهر .

* * *

قلت في بيان ألقيته في السنة الماضية في مثل هذا الحفل الكريم أن من الألفاظ ما يُعَمَّر قليلاً ثم يموت ويحيا غيره فينسي الآخرُ الأول وأن لكل عصر ألفاظه كما أن لكل عصر بيانه . وقد أتيح لي أن نشرت خمسة كتب للقدماء حوت من هذه المعاني أشياء كثيرة ، فكان في الأول طائفة كبيرة من ألفاظ القرنين الأولين للإسلام ، وفي الثاني ألفاظ لم يعرفها هذان القرنان ، ونسيت في الرابع والخامس ، وفي الكتاب الثالث ألفاظ وتراكيب عرفت كثيراً في الرابع والخامس ، وفي الكتاب الرابع ألفاظ علمية اشتهرت في الخامس والسادس ، وكان ابن القرون السابقة بمعزل عنها . وفي الكتاب الخامس ألفاظ وتراكيب عرفت في فارس وخراسان .

وأعني بالكتاب الأول « رسائل البلغاء » وفيه نصوص نادرة لعبد الله بن المقفع ، وعبد الحميد الكاتب وغيرهما من أئمة البيان . وبالكتاب الثاني «سيرة احمد بن طولون» للبلوي من أهل القرن الرابع ، وبالكتاب الثالث « المستجاد من فعلات الأجواد » للمحسّن التنوخي من أهل القرن الخامس ، وبالكتاب الرابع « كتاب البيزرة » لبازيار العزيز بالله الفاطمي من أهل القرن الخامس (تحت الطبع) وبالكتاب الخامس « تاريخ حكماء الاسلام » للبيهقي فيه من ألفاظ الفلسفة والحكمة التي كانت معروفة لأهل القرن السادس .

الكتاب الأول من محصول العراق وفارس في الجملة . والكتاب الثاني مما أخرجته مصر . والكتاب الثالث مما صدر عن الدور العباسي الأول والثاني . والكتاب الرابع مما ألف في مصر أيضاً وفيه ألفاظ مصر . والكتاب الخامس مما صنف في فارس وفيه ذَرْوٌ من مصطلحها .

والألفاظ التي حملها الكتاب الأول من سهل الألفاظ ، استعملت قروناً ثم بدأ الناس ينسونها فهجرت وصار ابن هذا العصر اذا سمع بعضها فكأنه يسمع ألفاظاً أعجمية واذا حاول الكشف عنها في المظان ملّ وكلّ ، ولا عجب فقد بلغ بنا الضعف في لغتنا أحياناً أن صرنا الى حالة اذا حاولنا قراءة شعر جاهلي فكأنما نقرأ لغة غير لغتنا ، ونقع فيه على ألفاظ نجد في بعض الألفاظ الفرنجية أنسة أكثر مما نجد في هذه الألفاظ العربية ، ولا أحيلكم للتدليل على دعواي إلا على بعض ما طبع من دواوين الجاهليين وبعض الاسلاميين أمثال زهير بن أبي سُلمى وجرير والفرزدق . وعوض الله شراح هذه الدواوين المعقدة خيراً عما بذلوه من أوقاتهم في سبيل حلها .

فمن ألفاظ الكتاب الأول : الاعتمال الاضطراب في العمل والحركة . زمين كسيخ . الزميت الوقور . قذعه منعه وكفه . أنق أحسن وأعجب . استعتب طلب الاعتاب واستقال من الذنب . مدخول في أموره فيها غش وعيب وفساد .

أرض تَهَمَة منصوبة الى البحر ومنه تِهامة . أرض جَلَس غليظة . الواهن الضعيف في العمل التارك له . الفالج الفائز . المناقلة المحادثة . الاستطراد نوع من المكيدة . الخبار ما لان من الأرض واسترخى . الجَدد الأرض المستوية الغليظة وما استرق من الرمل ، وفي المثل : من تجنب الخبار أمن العثار . وفيه : من سلك الجَدد أمن العثار . العُقدة العَقار ونحوه يقال : اعتقد فلان عقدة : اذا اشترى ضيعة أو اتخذ مالاً من عَقار وغيره ، وهي مستعملة عند عوام الشام . الكفاة الخدم الذين يقومون بالخدمة . الخانة جمع خائن والغدرة جمع غادر ولا نستعمل هذين الجمعين اليوم ، وكثير من الجموع أغفلناها مع الزمن كالجوَرة والحزَمة والخوَنة والكذبة . الإعتاب مصدر قولك اعتبني فلان اذا عاد الى مسرتك راجعاً عن الاساءة . الاستئمار المشاورة . أعذر الرجل بالغ في اظهار عذره . الطَرْق ضعف العقل ، وفلان به طَرْقة أي هوج . أجم الطعام كرهه وملّه . استجمام القلوب اراحتها . السوقة خلاف الملك نطلقه على أهل الأسواق وليس بصحيح . الاحتلاط (بالحاء) المبالغة في الحلف واليمين . البأو الفخر بالنفس ورفعها . اتلاد المال تنميته . فاش الرجل اذا افتخر ومنه التفيّش وهو الكبر والادلال . اتّزر ركب الوزر أي الاثم . حُقْرِيَّة الذلة . خبال الأمر اضطرابه واختلاطه . الشرج المثل والنوع . ينبيّغ يهيج . الاستجراح الفساد والعيب . استحسر أعيا وتعب . القَعَدة الكرسي أو الطنفسة . الظِهْرِي ما يجعله المرء عدة له عند مسيس الحاجة اليه . الشكيمة قوة القلب وشكه أثبته . أغمز في فلان اذا عابه واستضعفه وصغر من شأنه . استأكل الضعفاء اذا أخذ أموالهم . أوتغ دينَه بالاثم أفسده . ألحجه بغرض فلان أهتكه منه بشتمه . الانفهاق في الشيء التوسع فيه . اكتهف وتكهّف لزم الكهف والكهف المغارة والملجأ . أخطر جعله في خطر . رضخ له من ماله اذا أعطاه عطاء غير كثير . وضَنَ الشيء يضنه فهو موضون ووضين ثني بعضه على بعض وضاعفه ونضّده . العقوة ما حول الدار والمحلة . الكسى (بالضم) مؤخر

العجز في كل شيء والجمع أكساء وركب أكساءه سقط على قفاه • اجتالهم حوّلهم عن طريق قصدهم الخ ••

ومن ألفاظ الكتاب الثاني : البَزْيون ضرب من نسيج البز أو من رقيق الديباج • المطبق كمحسن سجن تحت الارض • العقابان خشبتان يشبح الرجل بينهما ليجلد • الفَيْج الحارس أو رسول السلطان أو حامل البريد • العظمطه حكاية صوت الجان اذا قالوا عِيط عِيط وذلك اذا غلبوا قوماً • الابليز وطين الابليز طين مصر وهو ما يعقبه النيل بعد ذهابه عن وجه الأرض (لغة مصرية) • تقبل العامل العمل تقبيلاً التزمه بعقد ومنه المتقبلون أي الملتزمون باصطلاحنا اليوم • هذا عَوْل الدولة أي المستعان به أو أحد خدامها • يعرّب عليه يرد عليه بالانكار • المجمل المستعمل على جملة أشياء كثيرة غير ملخصة جاءت هكذا • عرض الغلام عليه مجملاً بما يجري يوماً يوماً وليلةً ليلة • المطرح المفرش وزناً ومعنى • المسورة (بكسر الميم) مخدة مدورة • الخردادى ابريق من البلور الحجري ذو عنق ضيق وجسم يزداد اتساعاً من أعلى الى أسفل والخردادي الخمر والغالب ان هذا الاناء كان خاصاً بوضع الخمر الباطية وقال العلامة كرنكو أنها خرداذية (بالذال) في الثانية وهي كلة فارسية لنوع من أنواع الشراب كانوا يشربون فيه أيام الأعياد • القصرية كالإجانة اناء لوضع الزهور أو الطين • الرقاص أجير البناء وهاتان اللفظتان مصريتان • بعّض الشيء جزأه • وتبعض تجزأ أي يناوله بعض ما على المائدة من الطعام تحبباً • ورد : يزل معه ما يقدر على حمله • زلّ الطعام أخذه وتناوله والزلة اسم لما تحمله من مائدة صديقك أو قريبك • البذرقة الخفارة • في الكلام على هندسة جامع ابن طولون : « فأمر بأن تحضر له الجلود فأحضرت » فسرته بأنهم كانوا يرسمون مخطط البناء على الجلد • ثم اطلعت على كلام للجاحظ يقول فيه : وعلى الجلود يعتمد في حساب الدواوين وفي الصكاك والعهود وفي الشروط وصور العقارات وفيها تكون نموذجات النقوش ومنها تكون خرائط

البرد وهو أصلح للجُرُب ولمغاص الجرة وسداد القارورة . ورد : فتخرج الينا الكف الناعمة المخضوبة نقشاً أو تطاريف . وفي كتب اللغة : اختضبت المرأة تطاريف أي أطراف أصابعها ، وطرفت المرأة بنانها اذا خضبت أطراف أصابعها بالحناء . الزيرباج : قطع لحم صغير تجعل في القدر عليه غمرة ماء وقطع دار صيني وحمص مقشور ويسير ملح فاذا أغلي تأخذ رغوته ثم يطرح عليه رطل خل خمر وربع رطل سكر وأوقية لوز حلو مقشراً أو مدقوقاً أو ناعماً يداف بماء الورد وخل ثم يطرح على اللحم . البوارد : البقول المطبوخة الموضوعة في الخل وماء الحصرم والسماق وماء التفاح والريباس (وأرجو رصيفي الأستاذ ابو حديد أن يعذرني على ذكر ألفاظ الأكل فالدنيا كلها أكل وشرب) . السُفتجة كقرطقة أن تعطي مالاً لآخر وللآخر مال في بلد المعطى فيوفيه اياه ثَمَّ فتستفيد أمن الطريق ، وفعله السفتجة بالفتح والمال المسفتج الموصل الى بلد آخر سفاتج . الدَّرَب فساد المعدة .

ومن ألفاظ الكتاب الثالث : أبرد القوم دخلوا في آخر النهار . حبا الرجل مشى على يديه وبطنه . نظر اليه عن عُرْض وعُرُض من جانب . أربد وجهه وتربد احمر حمرة فيها سواد عند الغضب . يقال هو حِدث ملوك (بالكسر) صاحب حديثهم أو كثير الحديث حين السياقة لهم . المتلدد الحائر المتلفت يميناً وشمالاً . تذمم استنكف يقال لو لم أترك الكذب تأثماً لتركته تذمماً . أتانا بعد هُدء من الليل وهَدأة وهديء وهدوء ، أي بعد هزيع من الليل أي حين سكن الناس . يقال : ما يريم يفعل ذلك أي ما يبرح وما رمت أفعله وما رمت المكان وما رمت منه وريم بالمكان أقام فيه . احتشم منه وعنه وحشمه واحتشمه أخجله . فلان موطأ العَقِب صاحب سلطان يُتَّبع . رجل أثير مكين مكرم . أوجره الرمح أو الخنجر طعنه به في فيه . نَكَد زيد حاجة عمرو منعه اياها . غمزه بيد نخسه . الطائف العَسَس . والعُس القدح العظيم (ج) عِساس . القَصب

القدح الضخم • تطفيل الشمس غروبها ووجبت الشمس غربت • شِق الدار والخيمة ناحية منها • فلان ما يَليق درهماً من جوده ما يمسك • الصرم البيوت المجتمعة • يوم صائف حار • تقزُّ نفسه تنقبض • الخريطه وعاء من أَدَم (جلد) وغيره يُشرَج على ما فيه أي يشد • عاقه خاصمه • فلان ملزوم لازمه غرماؤه • البهلول كسرسور السيد الجامع لكل خير • حاردت السنة اذا قل ماؤها ومطرها • الاُشراف (بالشين) الحرص ومنه الحديث : (من أخذ الدنيا بأشراف لم يبارَك له فيها) • غُبَّر الشيء بقيته • زَهرَ السراج تلألأ • العوراء الكلمة أو الفعلة القبيحة • الشاكري الاجير أو المستخدم • ابن نَفِيّ كغني نفاه أبوه • رجل أخن وأمة خناء لم يختتنا • يقال أفعل ذلك وكرامة لك وكُرْمىً وكرمة لك وكرمالك وكرمة عين ونعيم عين ونعمة عين ونعامى عين • ويقال نعم وحبا وكرامة • دهر قطم صؤول • انقُطِع به ان كان ابن سبيل فانقطع به السفر دون طِيَّته وهو منقطَع به • يقال للرجل عند التوديع معاناً مصاحباً ومن قال معان مصاحب فمعناه أنت معان مصاحب • إذالة عرضة الاستخفاف به • صهرته الشمس أي صخرته آلمت دماغه • اقتاد القاتل بالقتيل قتله به • لببه جمع ثيابه عند نحره في الخصومة ثم جره • استشرف الشيء : رفع رأسه لينظر اليه • تطول عليهم امتن كطال عليهم وتطول تفضل • الباطية اناء عظيم والرطلية وعاء يجعل فيه الخمر وغيره • رَبَّ الأمر أصلحه • الرافعة الجماعة تذيع الى الناس بما يقال • تقول : أوطأتني عشوة أي جعلتني أطأ ما لا أراه أي أوقعتني في أمر ملتبس وغررتني حتى اغتررت • احتسب عليه أنكر ومنه المحتسب • تواعدوا واتعدوا أو الأولى في الخير والثانية في الشر • وثب به هجم عليه وتوثب في ضيعتي استولى عليها ظلماً • الرَّبعُ الدار بعينها حيث كانت (ج) رباع وربوع وأربع وأرباع • الفحل الرجل الكامل الرجولة • القَوْم السيد •

ومن ألفاظ الكتاب الرابع : السَّهَك قبح رائحة اللحم الخنز (المنتن) وريح السمك •

غَضَفُ الأذنين استرخاؤهما • البشتمازك هو الذي يكون في آخر الأضلاع من داخل الحَمَل ويسمى الكمازك وهذا تعريف المؤلف له ولم نجد له ذكراً في كتب اللغة • اسطارم الغالب أنه من أمراض الجوارح ولم نجده في المعاجم ، ومعلوم أن المعاجم لم تستوف جميع ألفاظ اللغة وقد وجد العلامة دوزي الهولندي مئات من هذه الألفاظ ملأ بها كتاباً له في مجلدين أسماه ملحق المعاجم العربية • الحوجلة القارورة • القدير اللحم المطبوخ في القدر • قمر فلان الرجل غلبه في القمار • الكندرة مجثم البازي يهيأ له من خشب أو مدر • الحُقُّ وعاء الطيب • تقرَّش الشيء أخذه أولاً فأولاً • خَرْبق المشارع جعل فيها الخربق والخربق نبت كالسم يغشى على آكله ولا يقتله والمشارع جمع مشرع معناها طريق الحوض • التبان كرمان سراويل صغير يستر العورة المغلظة Maillot • القالص الثوب الذي يتكمش بعد الغسل • قرنص فلان البازي اقتناه للصيد • أوكب الطائر تهيأ للطيران أو ضرب بجناحيه عَبَر الطير زجرها • رمج الطائر ألقى ذرقه (زبله) • سبَّق الطائر ألقى السباقين في رجليه والسباق القيد • الشهدانج ويقال له شهدانج حب القنب وفي اللغة الشامية القنبس • قبض الطائر وغيره أسرع في الطيران وهو قابض وقبيض بين القباضة والقبض منكمش سريع ومنه والطير صافات ويقبضن • الفانيذ نوع من الحلواء يصنع من السكر ودقيق الشعير والزنجبين •

ومن ألفاظ الكتاب الخامس : الأسطقسات أو العناصر ، الاكسير دواء اذا طبخ به الجسد المذاب جعله ذهباً أو فضة أو غيَّره الى البياض أو الى الصفرة • الطين ويعرف بالطين الأرمني وفي الشام يسمونه الترابة وهو الطين الذي يؤكل • وسئل عما كان يأكل ويشرب كل يوم فقال : المدققة والمرققة والملبقة والمزوقة (الملبق الملين بالسمن) البَرْبَطُ العود وأصلها بالفارسية بربت أي صدر البط ، لأن صورته تشبه صدر البط وعنقه • وأهل هذا الفن وغيرهم اعتمدوا على لفظة

العود • السكبينج نوع من العقاقير • الإجانجبين عقار من ورد وعسل • مثريديطوس ويقال مثرا اختصاراً ومعناه المنقذ من ضرر السم (والاصل في هذا الاسم اسم الطبيب مخترعه ومركبه) • التفسرة بول يستدل به على حال المريض وعلته • الاصطرلاب مقياس النجوم • القيفال عرق في اليد يفصد • الأثير المادة التي تملأ الفضاء • الدستور الوزير الكبير الذي يرجع في أحوال الناس الى مايرسمه • القولنج مرض معوي يعسر معه خروج الثفل والريح • وقد وقعت له عدة تعابير وتراكيب أنسيناها أو تناسيناها ومنها : تشوّر خجل • اجعلني من أدمة أهلك وارضَ عني • ويقال جعلت فلاناً أدمة أهلي أي أسوتهم وأدمه بأهله خلطه بهم وجعله كواحد منهم • ومنها الحافد أي المعوان ورجل محفود يخدمه أصحابه ويعظمونه ويسرعون في طاعته •

سيداتي • سادتي :

هذا ما أمكن اقتباسه من ألفاظ الأسفار الخمسة ، فكم في الكتب المطبوعة والمخطوطة من أمثالها أنسيناها ونحن لها محتاجون كما أنسينا من الحلويات اسم العصيدة والخبيصة لما جاءنا من الفرس الفالوذج واللوزينج ثم أنسيناها لما جاء الترك بروانى وكلاج ثم أنسيناها جميعاً لما أتانا الافرنج بتربوش وبودنج ، والله أعلم ما يدخر الغيب لنا من الألفاظ في المستقبل • وفي هذا دليل آخر على خصوبة هذه اللغة وقابليتها للتطور بحسب الزمن مع الاحتفاظ بأصولها وقواعدها وبالفصيح من مفرداتها وشواردها •

محمد كرد علي

سورية

عالج – منذ زمن طويل – كثير من المؤرخين واللغويين الغموض الذي يكتنف اسم سورية ، الى ان انكشفت في العصر الحاضر بعض الوثائق القديمة فكشفت لنا عما كان مجهولاً من قبل . وهو ما نستطيع ان نعرضه كحل مرض لهذا الغموض .

بعد أن خرب الماديون والبابليون المتحالفون مدينة « نينوا » في سنة ٦١٢ قبل المسيح اصبحت بلاد اشور بجملتها ، وهي شرقي دجلة ، جزءاً متمماً لدولة « مادي » . كذلك كان الأمر في الدولة الثانية – وهي دولة الفرس القديمة – اذ كان نهر دجلة من جبال ارمينيا حتى مصب (ديالة) يؤلف الحد الغربي لمملكة مادي .

وكان سبق للدولة الآشورية قبل خمس عشرة سنة ان امتدت حدودها الى الجزيرة حتى عاصمتها حرّان . ودعا الملك بختنصر حملته الظافرة على حرّان (حملة أشور) مع ان العاصمتين « نينوا » و « أشور » كانتا قد زالتا من الوجود .

وقد بقي هذا الاصطلاح مستمراً حتى بعد ان فتح « قوروش » العراق والجزيرة سنة ٥٣٩ قبل المسيح . ولم تستعمل التقاويم الرسمية لممتلكات امبراطورية الفرس اسم « أشورية » بل استعملت شمالي ما بين النهرين و « أثورا » ، اللفظ الذي حرفته اللهجة الارامية عن « أشور » . والآرامية كانت لغة العامة في ذلك العصر .

وفي القرن الثاني للمسيح اطلقت التقاويم الارمينية على ملوك العرب في حران والرها لقب ملك الأرمن والاسوريك أو أشور . وأريد بأثور منطقتي حران والرها لا أشور القديمة .

واسم أثورا في التقاويم الفارسية القديمة مرادف لكلمة « آرابيا Arabia » . وهي لفظة حرفتها اللهجة الارامية عن لفظة العرب (بابدال الالف بالعين وهو حرف غير موجود بالفارسية) .

ولما وصل (كزينوفون) مسير العشرة الآلاف يوناني في سنة ٤٠٠ قبل المسيح وصف «آرابيا» هذه بأنها واقعة شرقي الفرات بين مصب (بليخ) ومضيق (هيت) اول حدود العراق .

وقبل ذلك بمائة سنة سمى الجغرافي (هيكتيوس) بادية الشام بآرابيا . والاسم المركب اثورا ـ ارابيا هو الاسم الرسمي لسورية يوم كانت ولاية فارسية .

والرُقمُ البابلية تكتب أشور وآرابيا (والبابليون ايضاً ليس عندهم حرف عين) ، ولا يستثنى من ذلك إلا ما جاء في الرقيم الكبير المنسوب الى دارا[1] ... فقد استعاض عن الاسم المركب بعبرنار Ebirnari وهو عبرنهرا في الارامية أي ما وراء الفرات . وفي العهود البابلية الحديثة واليونانية اصبح هذا الاسم الذي أطلقه البابليون على سورية يستعمله أبناء البلاد انفسهم . وكان من نتيجة ذلك أن اصبحت هذه الولاية الفارسية تشمل عبرنار أو الشام وآرابيا أو البادية واثورا وهي الجزيرة بأمرها . واصبح كل اسم من هذه الأسماء الثلاثة يدل وحده على الولاية كلها . وفي التقاويم الرسمية ثلاثة أمثلة اخرى على الولايات الثنائية الاسماء أو الثلاثية الاسماء يستعمل احدها موضع الآخر . ولا شك ان التقسيمات الادارية السياسية المختلفة هي السبب في نقل اسم اشوريا القديم نحو الغرب .

ولقد وقع مثل ذلك في الأناضول ففي سنة ٦٠٠ قبل المسيح كان يطلق على المنطقة الواقعة على ساحل البحر الأسود ما بين سامسون وطرابزون اسم كاتباتوكا Katpatuka . وهو الاسم الذي اختير للأناضول الأوسط بأسره وامتدت حدود هذا الاسم من سنة ٤٠٠ حتى بلغت طوروس . وفي العهد الروماني زال هذا الاسم عن الجانب الشمالي واحتفظ به في الجانب الجنوبي في منطقة ما كانت في تاريخها جزءاً من كاتباتوكا القديمة .

وليس في النصوص الاشورية والبابلية والارامية اسم يوافق اسم سورية .

(١) هنا كلمة لم تترجم لأنه لم يفهم المراد منها تماماً .

واليونان دون غيرهم هم الذين استعملوا هذا الاسم منذ عهد (داريوس) في القرن السادس قبل المسيح . وقد دوّن (هيرودوس) ملاحظة قديمة في سجله عن جيش « Xerxès » سنة ٤٨٠ قبل التاريخ المسيحي قال فيها :

(اما اليونان فقد استعملوا اسم السوريين على حين استعمل العجم البرابرة اسم الاشوريين) . ويتكلم مؤرخو الاسكندر عن سوريي سورية الواقعة ما بين الجبال ، وعن سوريي سورية ما بين النهرين . وبذلك يكون اسم سورية قد أطلق معًا على الشام من جهة وعلى أثورا ، أي الجزيرة ، من جهة ثانية . والاسم اليوناني اذن هو استعارة يونانية من الصيغة الفارسية القديمة « أثورا » .

وقد كان من نتيجة تحول اللغة الفارسية القديمة الى الفهلوية (الفارسية المتوسطة) ، وذلك في نحو سنة ٤٠٠ قبل المسيح ، أن حذفت جميع الهمزات الخفيفة في اوائل الكلمات وقد وقع شيء من مثل ذلك حتى في الفارسية القديمة . ولا تزال الفهلوية تحتفظ احياناً بهذه الحروف كتابةً لا لفظًا . فتكتب مثلاً في الفهلوية (اسورستان) وتلفظها (سورستان) على ما كتبها فيما بعد حمزة الاصفهاني .

وبعد الفتح الروماني لم يبق في حوزة (الاشكانيان) وبني ساسان إلا جنوبي الجزيرة وحده . ثم اجتاحت شمالي الجزيرة قبائل عربية . واطلق في ذلك العصر على العراق اسم جديد هو (اسورستان) . ولا ريب في ان هذا الاسم أريد به مطمح سياسي . وهو ما حصل يوم اطلقوا لفظ (اذربيجان) على منطقة (باكوم) ولم تكن في يوم من الأيام منه .

وفي نحو سنة ٢٦٤ للميلاد وضع (سابور الأول) على (كعبة زرادشت) التي رفعها على مقربة من مدينة (برسيبوليس) كتابة ثلاثية اللغات للتفريق ما بين الولاية الفارسية (اسورستان) أي العراق والولاية الرومانية (اسوريا) اي الشام . وقد جاءت لفظ (اسوريا) بلا ألف . واستعمل النص الفارسي النسبة (سوليای) ، السوريين ، (كذا) ، على حين اطلق النص اليوناني على الجزيرة اسم (سوريا بين النهرين) كما ذكرها مؤرخو الاسكندر .

واقتصر النص الفهلوي على ميان روزان اي بين النهرين ويريد بذلك أيضاً الجزيرة [١] وهو اصطلاح جرى عليه في ذلك العصر جميع الكتاب من اليونان والرومان فقالوا : (سوريا) بدلاً من الشام و (اسوريا) بدلاً من العراق .

وأطلق (اديابيني Adiabene) وهي (خديب) القديمة على مقاطعة (إربل وكركوك) وهي أشور القديمة .

وبعد ان عُقد صلح (يونيانوس) بعد موت (يونيوس) المارق في سنة ٣٦٣ للميلاد لم تقف القبائل العربية في فتوحاتها عند حران والرها بل نزلت ايضاً المناطق ما بين نصيبين ودجلة ومنذ ذلك العهد صارت الجزيرة ديار بكر ومضر وربيعة .

ارنست هرتزفلد

ملاحظات على تاريخ حكماء الإسلام

١ — جاء في ص ٢٣ ذكرٌ لأبي الحسن البسطامي الطبيب الحكيم ، وعلقتم عليه بأنَّ في التاج ذكره بصورة « أبي الحسن البسطامي النهرواني علي بن احمد بن يوسف ... البسطامي توفي سنة ٤١٧ » . ولعمري لئن اتفقت الكنيتان ما بين الرجلين اتصال ، لأن الحكيم بسطام بلده ، ولأن النهرواني بسطام جده ، وليس له بالحكمة والطب علاقة ولا مع أصحابها صداقة ، ثم انه نهرواني محدث معروف بابن كردي ولكن ابا سعد السمعاني — رح — يتكثر في ذكر الرجال في غير مواضع انسابهم وكان حرياً ان يذكره في « الكردي » قال الخطيب البغدادي « ج ١١ ص ٣٣٠ » : « علي بن احمد بن هارون ... ابو الحسن المعروف بابن كردي المعدّل النهرواني ... » وذكر سماعه للحديث حسبُ وروايته له وسنة ولادته « ٣٣١ » وسنة وفاته ٤١٧ ، ونقل السمعاني أقوال الخطيب ثم نقل السيد مرتضى ما وجد في أنساب السمعاني .

وبيت كردي النهرواني معروف عند مؤرخي العراق منهم احمد بن علي بن الحسن

---

(١) هكذا نفهم ظاهر العبارة .

ابن محمد بن كردي القاضي المتوفى سنة ٦٠٥ ومحمد بن الحسن بن الحسين بن كردي القاضي المتوفى سنة ٥١٨ والحسن بن محمد بن احمد بن كردي الشاهد المعدّل ولم أعلم وفاته إلا أنه عُدّل سنة ٥١٧ هـ وعلي بن الحسن بن محمد بن احمد بن كردي والد احمد ابن علي المذكور قبل هذا ، توفي سنة ٥٦٠ وكان شاهداً معدلاً أيضاً ، فهم بين قضاة وشهود .

٣ — وذكرتم في حاشية ص ٣٦ « زيد بن رفاعة » أحد مؤلفي رسائل اخوان الصفا ولم تذكروا قول الخطيب البغدادي فيه قال « ج ٨ ص ٤٥٠ » « زيد بن رفاعة ابو الخير ، حدّث ببلاد الجبال وخراسان ... وكان كذاباً » وذكر أنه روى كتب الأدب عن ابن دريد وابن الأنباري وأنه كان معنياً بالفلسفة وادّعى الهاشمية ، والظاهر أن القوم ظلموه لاعتنائه بالفلسفة ، فان اخباره تدل على سلامة نفس وخلق .

وذكره الصفدي في الوافي بالوفيات بصورة « زيد بن عبد الله بن رفاعة ابو الخير الهاشمي احد الأدباء العلماء الفضلاء ، كان معاصراً للصاحب بن عباد . قال ياقوت : كان يعتقد رأي الفلاسفة ، ذكروا عنه أنه قال : متى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الكمال ... » . وذكر ابن الجوزي في المنتظم « ج ٩ ص ١٢٧ » أنّ ابن ودعان الموصلي سرق الأربعين حديثاً التي وضعها زيد بن رفاعة الهاشميّ وأعاد كلامه ابن الأثير ، وذكر زيد بن رفاعة هذا الذهبي في الميزان و « لسان الميزان ج ٢ ص ٥٠٦ ، ٥٠٨ » ونقل ما قاله ابو حيان فيه ، نقلاً عن كتاب الامتاع والمؤانسة . ومن مؤلفات زيد بن رفاعة « جوامع اصلاح المنطق » وقد طبع بالهند سنة ١٣٥٤ وعندي منه نسخة .

٣ — وجاء في ص ٤٤ س ١ « فهو من المستطرفين لا من أصحاب الصناعة » . والأولى بالمقام « المتطرفين » أي الذين اخذوا العلم من اطرافه لا من صميمه ، ومنه قول الجاحظ في رسالته مناقب الترك ص ٢٦ « ومتى شاء الخارجي أن يقرب منهم ليتطرّفهم او ليصيب الفترة منهم »

٤ — وورد في ص ٥١ « ابو العباس احمد ... كاتب فيلسوف ... من كتاب الأمير خلف بن احمد (الذي) دوّخ البلاد وتعلق ببدر بن حسنويه » . وعلقتم على «دوّخ» بأن الأولى بها «طوّف» وانا ارى انّ زيادتكم «الذي» غيرت المعنى فصار خلف بن احمد المدوخ وليس ذلك بمراد والصحيح ان ابا العباس هوالذي دوّخ البلاد اي اكثر وطأها على ما في مجاز اساس البلاغة ، وكثرة الوطء تدل على السياحة .

٥ — وجاء في ص ٥٢ س٤ «في أيام الأمير الحميد ملك المشرق نوح بن منصور» والذي اراه انه « العميد » لا الحميد لأنّ القدماء لم يصفوا انساناً بالحميد لكونه من الأسماء الحسنى فاذا زال الالتباس باسناد الحمد الى الخلق والدين قالوا « حميد السجايا وحميد الدين » ويؤيد قولي ما ورد في ص ١١٥ قال المؤلف فيها « فأصاب عميدُ خراسان محمد بن منصور قولنج » . فالعميد مستعمل لأمراء ذلك القطر .

٦ — وورد في حاشية ص ٥٣ « وكان الطوفي من اهل القرن الثامن جامعاً لأضداد المذاهب » . وقد ولد الطوفي سنة ٦٥٧ وتوفي سنة ٧١٦ « الدرر الكامنة ج ٢ ص ١٥٤ » فهو من أهل القرن السابع وادرك القرن الثامن اما إدخال ابن حجر له في اعيان القرن الثامن فهو وهم وكان احرى ان يسمي كتابه « الدرر الكامنة في متوفي او وفيات المائة الثامنة » .

٧ — وفي حاشية ص ٦١ انّ زبدة النصرة للاصفهاني والصحيح انها للفتح بن علي البنداري . ونصرة الفترة وعصرة الفترة للعماد .

٨ — وورد في ص ٦٢ « وكان علاء الدين سأل الشيخ المصير اليه » وجاء في ص ٦٣ « علاء الدولة » وهو الصواب .

٩ — وورد في ص ٦٣ تصحيح ابي جعفرا بن كاكويه (ابن كاكويه) اعتماداً على الوفيات والكامل ، وفي المكتبة الظاهرية كتاب جسيم عظيم كان يمكنكم الاعتماد عليه وهو «معجم الالقاب» لكمال الدين ابن الفوطي الذي هو أول نوعه في

قال ابن الفوطي : « علاء الدولة ابو جعفر بن دشمنزيار بن كاكويه الديلمي صاحب

اصبهان ... » ومرد أخباره الى ان قال ان اسمه محمد . ومن المعلوم انّ الكتاب بخط ابن الفوطي مؤرخ العراق الكبير فالاعتماد على الخط من البراهين المعتمدة في مثل هذا الباب .

١٠ — وجاء في ص٦٧س ٥ اسم « ابي سهل الحمدوني صاحب الري » ولم تعلقوا عليه بكلمة ، قال ابن الفوطي في مجمع الألقاب ايضاً : « العميد ابوسهل احمد بن الحسن الحمدوئي العارض ، ذكره ابو منصور عبد الملك بن سعد الثعالبي النيسابوري في كتاب تتمة اليتيمة [١] ، وقال : هو سليل الرياسة وغذيّ السياسة وبدر الأرض وشمس الفضل وعمدة الملك . وأنشد له من شعره : ... »

فهو « الحمدوئي » نسبة الى حمدويه » لا الحمدوني المنسوب الى حمدون .

١١ — وورد في ص٦٨ « حارب فيها علاء الدولة الأمير حسام الدولة اباالعباس تاش فراش على باب الكرخ » . وجاء في الفهرس ايضاً « الكرخ » محالاً به على هذه الصفحة ، ولم يكن لهذين حرب قط على باب الكرخ والصواب « الكرَج » بالجيم لا بالخاء وهي من مواضع بلاد العجم بالقرب من همذان من نواحي الجبال بين همذان ونهاوند وهي كرَج ابي دلف العجلي القائد العربي المشهور .

١٢ — وجاء في ص ٧٣ أن اسم ابي الريحان البيروني في التاج هو« احمدبن محمد » قلت وفي معجم الأدباء « ج ٦ ص ٣٠٨ » محمد بن احمد ابو الريحان البيروني الخوارزمي » وفي روضات الجنات للخونساري « ج ١ ص ٦٨ » انه احمد بن محمد ابن احمد الهروي البيروني الخوارزمي » ثم ترجمه في باب المحمدين « ج ٢ ص ١٧٩ » وقال « الحكيم العظيم الشأن ابو ريحان محمد بن احمد البيروني صاحب الآثار الباقية عن القرون الخالية ... »

١٣ — وورد في ص٧٣ س ٣ «وله مُناظرات مع ابن علي» .والصواب «ابي علي» اي ابن سينا؛ يؤيد قولي ما ورد في ص ١٠٢ » ولما اجاب ابوعلي عن اسئلة ابي الريحان

---

(١) ج ٢ ص ٦٢ ، ٨٦ .

اعترض على تلك الأجوبة ابو الريحان وتفوه بكلمات متضمنة سوء ادب ...»

١٤ — وعلقتم في ص ٨٤ على وفاة البوزجاني وانتقاله الى العراق من مختصر الدول ، والأولى مراجعة مصدره أعني تاريخ الحكماء لابن القفطي «ص ١٨٨» من طبعة الخانجي فقد ذكر أنّ وفاته ببغداد كانت في ثالث رجب سنة ٣٨٨ .

١٥ — وورد في ص ٤٣ ذكر «ابي الحسن كوشيار بن ليان بن باسهري (؟) الجيلي» . قلت : ورد في تاريخ الخطيب البغدادي «كوشيان بن ليالروز بن الحسين ابن عيسى بن مهدي ابو علي الجيلي» ج ١٢ ص ٤٩٢ . وأحال طابعه على الانساب وانه فيه «كوشيار بالراء ابن ليالون» ، وفي وفيات الأعيان «ج ٢ ص ٣٢٠ من طبعة العجم» : قال كوشيار بن لبان بن باشهري الجيلي صاحب كتاب الزيج في رسالته ...» .

وفي ص ٧ من باب الحروف من المجلد الرابع من فهرست المكتبة البلدية بالاسكندرية «كتاب في اصل صناعة الأحكام الفلكية، تأليف العلامة ابي الحسن كوشيار بن لبان بن باشهري الجيلي من علماء اواخر القرن الرابع الهجري ...» . وفي ص ٥ من المجلد الخامس منه في باب الرياضيات «الزيج الجامع تأليف الامام السعيد كوشيار بن لبان بن باشهري الجيلي ، من علماء اواخر القرن الرابع الهجري ...» وفي الحاشية أن مؤلف كشف الظنون سماه «كوشيار بن كنان» وخطأه المفهرس . فهو جيلي لا غير ذلك وابن باشهري .

١٦ — وورد في ص ١٠٧ «ونقصان الفعل على القول». ولعل الأصل «عن لتول» .

١٧ — وجاء في ص ١١٧ أن فرامرز بن علي هو ملك الري وأن الأصل «ملك يزد» فأصلحتموه ، ولم أدر السبب فراجعوا معجم الألقاب في باب «علاء الدولة فرامرز» وأخيه كرشاسف فانهما يزديان وكانا ملكي يزد لا الري .

١٨ — وجاء في ص ١٣١ «ثم ارتبطه علاء الدين بن قماج يبلغ» والصواب «علاء الدين قماج» قال ابن الفوطي في معجم الألقاب «علاء الدين قماج بن

عبد الله البلخي الأمير ، كان عالي الهمة وكان السيد الايلاقي مقيماً بباخرز وكان عالماً بالحكمة العلمية والعملية وارتبطه علاء الدين قماج ببلخ وقتل في بعض الحروب » .
والظاهر أنّ مصدره تاريخ حكماء الاسلام للبيهقي أيضاً إلا أنه طوى ذكره .

هذا أهم ما استوقف نظري في أثناء المطالعة ، أما في المقدمة فقد ورد في ص ٤ « تتمة دمية القصر » والأحسن « تتمة دمية القصر المعروف بالوشاح أي وشاح الدمية » .

مصطفى جواد

استدراك

على ترجمة الأمير شكيب أرسلان المدرجة في الصفحة الـ ٨٦ من الجزء الاول والثاني من المجلد الـ ٢٢ .

الكلمة التي قالها الأستاذ الرافعي في الأمير شكيب ـ رحمها الله ـ ونوهت بها في مقالي السابق ، هذه هي :

« الأمير شكيب ارسلان اذا غاب عن أرض ، فالعلم به في كل ارض ؛ وهو امام في كل فنونه : من الأدب واللغة والترسل والشعر والتاريخ والسياسة ، مقدّم في جميعها ، منظور اليه نظرة أهل المسجد لإمام المسجد ، ولو أوجزت في شرح حقيقته العظيمة لقلت : انه رجل بعثرته القدرة الالهية في اقطار الدنيا ، لتخرج منه هذا المجموع الذي لا يجمعه فرد ، ثم ليخرج من هذا المجموع قوة ، ثم لتعمل هذه القوة عملها في نهضة العالم العربي ، فروحه للثورة ، وقلبه للايمان ، وعقله للسياسة ، ولسانه للبيان ، وهو في جملته جملة متميّزة تعارض عليها الأفراد ، ولا يعارض هو بفرد .

ولا عيب في شعر الأمير شكيب الا انه شعر الأمير شكيب ، فالشاعر هنا تامّ بكل أسبابه ، ولكنه مصروف عن الشعر برسالة عظيمة يؤديها في غير مملكة الخيال ، فهو في الميادين لا في الرياض ، وفي الخنادق لا في القصور ،

وفي الحقائق لا في الأخيلة ، ومع الأسود لا مع الظبيات ، وهو لتأليف أمة لا لتأليف ديوان » .

ومن الكتب التي لم تحضرني أسماؤها مما وضعه أو أخرجه الأمير رحمه الله : الدرة اليتيمة لابن المقفع .

وجاء في المقال السابق ص ٨٩ (والقائم مقامية) ولعل قائم المقامية هنا أفضل . وفيها المبعوثات وصوابها المبعوثان .

وجاء في ص ٩٠ (الناسيون آداب الأمة العربية) وصوابها : (الناسيون آراب الأمة العربية) .

وفي الصفحة ٩٥ (فعفى عنهم) وصوابها (فعفا عنهم) .

عارف النكدي

مؤلف محاسن المساعي [1]

وقع في يدي كتاب « محاسن المساعي في مناقب الإمام ابي عمرو الاوزاعي » الذي نشره العلامة الأمير شكيب أرسلان سنة (١٣٥٢) فاستفدت مما فيه وخاصة التعليقات . وقد لفت نظري ما كتبه ص (٣) وما علق عليه في ص (١٦٠) من قوله : الذي يظهر لنا ان جامع هذا الكتاب الذي اعطاه هذا الاسم « محاسن المساعي في مناقب ابي عمرو الأوزاعي » هو من اهالي القرن التاسع لما تقدم من رواية احاديث حضر مجالسها بنفسه سنة (٨٢٢) وان زين الدين بن تقي الدين ابن عبد الرحمن الخطيب انما هو ناسخ هذا المخطوط وذلك في سنة (١٠٤٨) اهـ .

رجعت الى مذكراتي فرأيت انه ورد ذكره في الضوء اللامع للسخاوي واذا بي أتعرف الى مؤلف هذا الكتاب المترجم في الضوء فقد جاء في (٧١/٢ و ٧٢ منه) ما ملخصه وبه يعرف مؤلف « محاسن المساعي » وهو :

(١) كتبت هذه المقالة قبل وفاة الفقيد المرحوم الأمير شكيب بشهر وتأخر نشرها الى الآن ولدينا كلمة في هذا الموضوع للأستاذ محمد راغب الطباخ سننشرها في الجزءين القادمين .

احمد بن محمد بن احمد بن ابي بكر بن زيد الشهاب ابو العباس بن الشمس الموصلي الدمشقي ويعرف بابن زيد . لازم العلامة ابن زكنون حتى قرأ عليه الكتب الستة ومسند امامها . وحدث ودرس وافتى ونظم يسيراً وجمع في أشهر العام ديوان خطب واختصره . وكذا اختصر السيرة لابن هشام وعمل منسكا على مذهبه [1] سماه ايضاح المسالك في اداء المناسك . وافرد مناقب كل من تميم والأوزاعي في جزء سمى الأول تحفة الساري الى زيارة تميم الداري ، والثاني «محاسن المساعي في مناقب ابي عمرو الأوزاعي» ... الى ان قال : مات في يوم الاثنين تاسع عشري صفر سنة سبعين (اي وثمانمائة) ودفن بمقبرة الحميرين ظاهر دمشق . اهـ

ولما كان كثيراً ما تتوارد خواطر المؤلفين على اسماء الكتب فتسمى عدة مؤلفات باسم واحد كان من الجائز ان يؤلف مؤلفان في مناقب الأوزاعي يسمي كل منهما كتابه «بمحاسن المساعي» فطفقت أنشد في الكتاب دليلاً آخر على ان مؤلفه هو «ابن زيد» فاذا في ص (١٤٧) من محاسن المساعي يقول المؤلف : ولنذكر حديثاً آخر من طريق الامام الحافظ ابي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري رحمه الله تعالى . اخبرنا بجميع صحيحه ـ بقراءتي عليه وهو يسمع بجامع دمشق في مجالس آخرها يوم الجمعة سادس جمادى الآخرة سنة اثنين وعشرين وثمانمائة ـ للشيخ الامام العالم العامل الزاهد بقية السلف الصالح ابي الحسن [2] علاء الدين علي بن الحسين بن عروة المشرقي ثم الدمشقي .

وبالرجوع الى ترجمة المذكور في الضوء اللامع (٥/٢١٤) اذا بالسخاوي يقول عنه: علي بن حسين بن عروة العلاء ابو الحسن المشرقي ثم الدمشقي الحنبلي ويعرف بابن زكنون . ومن هذا يتضح ان العلاء بن زكنون شيخ المؤلف ـ الذي

(١) كان حنبلي المذهب بدليل قول السخاوي : قرأ على ابن زكنون الكتب الستة ومسند امامها يريد بذلك مسند الامام احمد وجاء في ترجمة ابن زكنون أنه حنبلي المذهب. (٢) هكذا في الأصل المطبوع والصواب فيه : الشيخ للامام ... ابو الحسن الخ لأنه فاعل أخبرنا .

قرأ عليه الكتب الستة ـ هو ابو الحسن علاء الدين علي بن الحسين بن عروة المشرقي الدمشقي نفسه الذي روى عنه صحيح الامام مسلم بجامع دمشق سنة (٨٢٣) .

وبعد هذا كله يكون من المحقق ان مؤلف كتاب « محاسن المساعي » الذي نشره وحققه الامير شكيب ارسلان هو « الشهاب ابو العباس احمد بن محمد بن احمد بن ابي بكر الشهير بابن زبد الموصلي الدمشقي الحنبلي المتوفى بدمشق سنة (٨٧٠)

محمد احمد دهمان

كنت أشرتُ في كلمتي المنشورة في الصفحة ٥٧١ من المجلد ٢٠ من مجلة المجمع بعنوان حَبْرون لا جَيْرون الى الخطأ الذي وقع في نَسخ القاموس المحيط أو طبعه والآن أذكر في هذه الكلمة والتي تليها :

ـ ٢ ـ
مَشَارِف لا مَشَارِق

جاء في مادة مُوْتة موضع بمشارقِ الشام قُتل فيه جعفر بن أبي طالب وفيه كان تعمل السيوف .

ورد هذا في طبعة القاموس المطبوع بالميمنية بمصر عن نسخة المؤلف الصلاحية الرسولية التي قوبلت نسخة الشيخ محمد الشنقيطي عليها وهي التي اعتمدت حين الطبع وكذلك جاء في نسختي المخطوطة القديمة .

ورجعتُ الى معجم البلدان لياقوت الحموي لأستأنس به عن مُوْتة فاذا فيه ما يأتي :

وفي مغازي ابن اسحاق في حديث مؤته : ثم مضى الناس حتى اذا كانوا بتخوم البلقاء لقيتهم جموع هرقل من الروم والعرب بقرية من قرى البلقاء يقال لها مشارف .

فهذا قد جعلها بعينها قرية بعد أن قال انها تنسب اليها السيوف المشرفية .

— ٣ —

اللُّبّن لا ألْبان

وورد في القاموس في مادة ل · ب · ن : أَلْبَانُ موضع بين القدس ونابلس ·

قلتُ ولم يذكره ياقوت الحموي في معجم البلدان الا ان بين القدس ونابلس قرية تسمى اللُّبّن كما ان بالقرب من هذه القرية عين ماء يستقي منها أهلها ولا تزال هذه القرية مأهولة وعدد سكانها (٤٧٥) نسمة · وكان في القديم خانٌ على رأس تلك العين ظلّ الى أوائل القرن الحالي الا انه أُهمل بسبب استعمال آلات السفر البخارية التي تطوي الأرض كطيّ السجل وتقرّب الأبعاد ·

وقد ذكر عبد الغني النابلسي المتوفى سنة ١١٤٣ هـ ١٧٣٠ م في رحلته المسماة الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية خان اللُّبّن فقال :

ولم نزل سائرين والى جهة بيت المقدس متوجهين حتى وصلنا الى عقبة اللُّبّن وهناك خان وبركة فنزلنا ساعة وأبدلنا الحركة بالسكون ثم أكلنا ما تيسر من الزاد وشكرنا ربّ العباد وشربنا من ذلك الماء اللطيف الذي يطفي حرارة الأكباد ثم ركبنا وصعدنا تلك العقبة الكؤود وبذلنا في قطعها المجهود الى آخر ما هنالك ·

عبد الله مخلص

الجائزة

التي وضعتها جامعة الدول العربية للمؤلفين

قررت الأمانة العامة لجامعة الدول العربية وضع جائزتين للتأليف تحقيقاً لمشاريعها الثقافية في تشجيع التأليف والكتابة في البلاد العربية ·

١ — الموضوعان المقترحان لنيل جائزة الجامعة العربية هما :

(أ) تاريخ الأندلس من الفتح الاسلامي الى خروج العرب منها وما يتصل بذلك من الحوادث في بلاد المغرب ·

(ب) تاريخ الأمة العربية (العراق — الشام — مصر والسودان — بلاد المغرب

جزيرة العرب) من سقوط بغداد الى اول القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) .

٢ — يكتب الكتاب بلغة عربية صحيحة كتابة علمية لا عاطفية انشائية في مستوى الجمهور المثقف .

٣ — في عرض الموضوع تذكر مصادر البحث في حواشي الصفحات مع ذكر ارقامها وتذكر النصوص اذا دعت الحاجة .

٤ — يعنى في الكتاب بتاريخ الأمة والشعب والحضارة ولا يقتصر على تاريخ الأشخاص والحروب .

٥ — على المؤلف ان يطلع على المصادر الهامة المكتوبة في الموضوع بلغة اجنبية ويشير اليها .

٦ — لا يجوز تقديم كتاب في أحد الموضوعين سبق نشره .

٧ — لا تقل صفحات الكتاب عن (٥٠٠) صفحة من القطع المتوسط .

٨ — يزود الكتاب بالخرائط التي يحتاج اليها .

٩ — يقبل الكتاب الذي اشترك في تأليفه اكثر من مؤلفه .

١٠ — الجائزتان كل منهما (٥٠٠) جنيه .

١١ — يحق لكل عربي ان يشترك في المسابقة اياً كان قطره .

١٢ — اذا قبلت لجنة التحكيم كتابين متقاربين في الجودة في احد الموضوعين وزعت الجائزة بينهما — ولا يجوز ان تقبل اكثر من كتابين .

١٣ — يكون الكتاب ملكاً للمؤلف بشرط ان يطبعه وينشره في ظرف سنة من قبول لجنة التحكيم فاذا لم يطبعه في هذه المدة كان للجامعة أن تطبعه .

١٤ — آخر موعد لتقديم الكتاب اول مايو (ايار) سنة ١٩٤٨

مدير ادارة الشئون الثقافية

احمد امين

فهرس الجزء الثالث والرابع من المجلد الثاني والعشرين

الجزء الخامس والسادس المجلد الثاني والعشرون

مجلة المجمع العلمي العربي

أيار وحزيران سنة ١٩٤٧ جمادى الآخرة وشهر رجب سنة ١٣٦٦

كنوز الأجداد

— ٣ —

عبد القاهر الجرجاني

٤٧١ — ٤٧٤

(ابو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن وقيل ابن عبد الواحد)

خلاصة ما قال فيه مترجموه انه اخذ العربية عن ابي الحسين الفارسي النحوي ابن اخت ابي علي الفارسي وانه قرأ على القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني واغترف من بحره وكان اذا ذكره في كتبه تبخبخ به وشمخ بأنفه بالانتماء اليه وكان يرحل اليه من الآفاق ولقب بالنحوي وعدّ من كبار أئمة العربية وقال صاحب الطراز انه علم المحققين وأول من أسس قواعد علم البلاغة ذلك قيد الغرائب بالتقييد وفتح أزهاره من أكامها وفتق ازراره بعد استغلاقها واستبهامها . وقالوا انه كان شافعي المذهب متكئاً على طريقة الأشعري مع تدين وورع ولم يخرج من بلده . وقالوا انه كتب كتباً في النحو منها شرح الايضاح في ثلاثين

مجلداً وله غيره . وأهم كتبه المطبوعة « دلائل الاعجاز » و « أسرار البلاغة » وبهما خلد اسمه في عالم الأدب . ودلائل الاعجاز صحيفة من الأدب العالي لم يكتب البيان ولا النحو ولا الفقه بمثل هذا اللسان العذب . ولا نجازف اذا قلنا ان جودة كلام عبد القاهر في تقرير القواعد والدساتير قل ان يدانيه فيه أحد من المصنفين ونعني بالمصنفين ارباب التواليف في قرون ازدهار اللغة والكتابة . تظن نفسك وأنت تتلو فصلاً من دلائل الاعجاز انك في كتاب ادب كتب بسلاسة وعذوبة لا في كتاب علم جاف يقرر حقائق ويأتي بمسائل فيحلها ، ويناقش مخالفيه ويغضب منهم ويغضبهم ، ويورد من الأمثلة ما يؤيد دعواه . وربما لا نعدو الحق اذا قلنا ان عبد القاهر كاتب القرن الخامس وهو اكتب من صديقه جار الله الزمخشري لجار الله انما اشتغل بمتن اللغة كثيراً وهذا انصرف الى البيان والتبيين وجمع بين صحة المباني وجودة المعاني . وخصلة أخرى وهي انك اذا قرأت صفحة من دلائل الاعجاز تعتقد لساعتك ان المؤلف من الرعيل الذين هضموا ما تعلموا وعرفوا كيف يحملونه الى من يحاولون تعليمهم وانه مارس علمه اي ممارسة وتدارسه أي مدارسة .

كان الجرجاني ينظم الشعر في بعض ما تتأثر به نفسه وعرفنا بالقليل الذي رووه عنه انه كان حانقاً على الأيام متبرماً بأهل زمانه فما عزوه اليه وهو مشهور قوله :

كبّر على العلم يا خليلي ومِلْ الى الجهل ميل هائم
وعش بليداً تعش سعيداً فالسعد في طالع البهائم

وله في شكاية من أبناء الزمان واستيلاء نقصهم على فضله :

هذا زمان ليس فيـ ـه سوى النذالة والجهاله
لم يرقَ فيه صاعد الا وسُلَّمه النذاله

وله أيضاً :

لا يوحشنك انهم ما ارتاحوا مما جلاه عليهم المدّاح

فهم كقوم علقت بازائهم بيض المرائي والوجوه قباح

ومن شعره :

لا تأمن النتفة من شاعر ما دام حياً سالماً ناطقا

فان من يمدحكم كاذباً يحسن ان يهجوكم صادقا

ذكروا له شعره ولم يذكروا كتابته وكتابته في موضع السمو فيه ذلك لأنه لم يتول من أعمال السلطان ما تكتب له به شهرة وجرت عادة اصحاب التراجم ان يهتموا أبداً بتلقط شعر المترجم لهم اكثر من اهتمامهم بالتقاط نثر الناثرين وكتابة المنشئين .

ومن كلامه يصف كساد سوق الفضل في عصره : « ثم إنا وان كنا في زمان هو على ما هو عليه من احالة الأمور عن جهاتها وتحويل الأشياء عن حالاتها ونقل النفوس عن طباعها وقلب الحقائق المحمودة الى اضدادها ، ودهر ليس للفضل واهله لديه الا الشر صرفاً ، والغيظ بحتاً ، والا ما يدهش عقولهم ، ويسلبهم معقولهم ، حتى صار أعجز الناس رأياً عند الجميع من كانت له همة في ان يستفيد علماً او يزداد فهماً او يكتسب فضلاً او يجعل له ذلك بحال شغلاً .

الازدواج في كلام عبد القاهر اكثر من السجع واذا سجع فسجعه ينطوي على معنى آخر قد لا تجده في السجعة الأولى ، ورصف الألفاظ ومتانة التراكيب هو محل العجب في كلامه . ونرى ان عدم التكلف في ارسال جمله هو الذي سلس به بيانه . انظر اليه يقول في وصف اعجاز القرآن لا يخرج عما يقوله في درس او يحاور به شخصاً : فاذا كنت لا تشك في ان لا معنى لبقاء المعجزة بالقرآن الا ان الوصف الذي له كان معجزاً قائم فيه ابداً وان الطريق الى العلم به موجود والوصول اليه ممكن فانظر اي رجل تكون اذا انت زهدت في ان تعرف حجة الله تعالى ، وآثرت الجهل فيه على العلم ، وعدم الاستبانة على وجودها ، وكان التقليد فيها احب اليك ، والتعويل على علم غيره آثر لديك ،

ونحِ الهوى عنك ، وراجع عقلك ، واصدق نفسك ، يبن لك فحش الغلط فيما رأيت ، وقبح الخطإ الذي توهمت . وهل رأيت رأياً اعجز ، واختياراً اقبح ، ممن كره ان تعرف حجة الله تعالى ، من الجهة التي اذا عرفت منها كانت انور وأبهر ، وانوى واقهر ، وآثر ان لا يقوى سلطانها على الشرك كل القوة ولا تعلو على الكفر كل العلو .

ونختم الكلام في هذا العظيم ، ونحن معترفون بالعجز عن توفيته بعض حقه ، بقوله في خلط بعض المفسرين في عدم التفريق بين الحقيقة والمجاز في الالفاظ قال : ومن عادة قوم ممن يتعاطى التفسير بغير علم ان توهموا ابداً في الالفاظ الموضوعة على المجاز والتمثيل انها على ظواهرها فيفسدوا المعنى بذلك ويبطلوا الغرض ويمنعوا انفسهم والسامع منهم العلم بموضع البلاغة وبمكان الشرف وناهيك بهم اذا هم اخذوا في ذكر الوجوه وجعلوا يكثرون في غير طائل . هناك ترى ماشئت من باب جهل قد فتحوه ، وزند ضلالة قد قدحوا به .

القاضي علي بن عبد العزيز

أبو علي

لم نعرف شيئاً عن حياة أبي الحسن علي بن عبد العزيز في طفولته وشبابه ، وغاية ما ترجموا له أنه ولد في جرجان ، وأخذ العلم عن بعض علماء نيسابور ، وطوّف في العراق والشام وصار علماً في أنواع العلوم والآداب ، وأنه تولى القضاء ، وآخر منصب تولاه قاضي قضاة الري واتصل بالصاحب بن عبّاد الوزير الأديب فكان لا يفارقه مقيماً وظاعناً ويقول إنه من أفراد الدهر في كل قسم من أقسام الأدب والعلم ، وقالوا إنه كان حسن السيرة صدوقاً في قضائه ، يقضي ويفتي على مذهب الشافعي وهو كصاحبه الصاحب معتزلي الرأي والمذهب . وكان أكثر أهل بلده جرجان في عصره حنفية والباقون شفعوية ، وللشيعة فيها جلبة وتقع فيها عصبيات على المذاهب .

وقالوا إن القاضي علي بن عبد العزيز كان يجمع خطّ ابن مُقلة الى نثر الجاحظ ونظم البُحتُري ، فهو إمام في الصناعتين ، وإمام في الفقه عظيم ، ومؤرخ حجة ثبت ، وقد ألف في الفقه والتاريخ كما ألف في الأدب والشعر ، فهو غزير الفضل صحيح الحجة وديع النفس ، تامّ المروءة جمّ الوفاء ، سلمت يده من الرشا ، ونفسه من الدنايا ، وعرف كيف يقيم العدل ، ويذهب بعموم الفضل .

لا نعلم أي الملكتين كانت أقوى في القاضي ابن عبد العزيز الشعر أم النثر ؟ ولا أي الفضيلتين أرسخ في قلبه العلم أم العدل . وشعره سلس قرضه قصائد ومقطّعات ولا سيما في الغزل ، ونثره السهل الممتنع . وما تُنوقل شعره القرن بعد القرن إلا لما فيه من حكم شائقة تتذوقها النفوس ، وقل أن يظفر بمثلها في كثير من دواوين الشعراء . وما كان لشعره طابعه الخاص إلا لأنه صورة من أخلاقه ، ومنتزع من منازعه في الحياة ، ومما قال في وصف الشعر :

وما الشعر إلا ما استقر ممدحًا وأطرب مشتاقاً وأرضى مغاضبا
أطاع فلم توجد قوافيه نُفَّراً ولم تأته الألفاظ حسرى لواغبا

ومن شعره ما جرى مجرى الأمثال لأنه حوى إبداعًا ليس لغيره مثله ، ومنه قصيدته المشهورة التي يجب على كل من اتخذ العلم صناعة أن يجعلها دستوراً يسير عليه في حياته وهي :

يقولون لي فيك انقباض وإنما رأوا رجلاً عن موقف الذّل أحجما
أرى الناس من داناهم هان عندهم ومن أكرمته عزة النفس أكرما
ولم أقض حق العلم إن كان كلما بدا طمع صيرته لي سُلَّما
وما زلت منحازاً بعرضي جانبًا من الذل أعتدّ الصيانة مغنما
إذا قيل هذا منهل قلت قد أرى ولكن نفس الحر تحتمل الظما
أنزهها عن بعض ما لا يَشينها مخافة أقوال العدا فيمَ أولمَا
فأصبح عن عيب اللئيم مُسَلَّما وقد رحت في نفس الكريم معظما

وإني إذا ما فاتني الأمر لم أبت ... أقلّب فكري إثره متندما
ولكنه إن جاء عفواً قبلته ... وإن مال لم أتبعه هلاّ وليتما
وأقبض خطوي عن حظوظ كثيرة ... إذا لم أنلها وافر العرض مكرما
وأكرم نفسي أن أضاحك عابساً ... وأن أتلقى بالمديح مذمما
وكم طالب رقي بنعماه لم يصل ... إليه وإن كان الرئيس المعظما
وكم نعمة كانت على الحر نقمة ... وكم مغنم يعتده الحر مغرما
ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي ... لأخدم من لاقيت لكن لأخدما
أأشقى به غرساً وأجنيه ذلة ... إذاً فاتباع الجهل قد كان أحزما
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ... ولو عظموه في النفوس لعظما
ولكن اهانوه فهان ودنسوا ... محياه بالأطماع حتى تجهما
وما كل برق لاح لي يستفزني ... ولا كل من في الأرض أرضاه منعما
ولكن إذا ما اضطرني الضر لم أبت ... أقلب فكري منجداً ثم متهما
الى أن أرى ما لا أغص بذكره ... إذا قلت قد أسدى الي وأنعما

ومن مقطعاته :

ما تطعمت لذة العيش حتى ... صرت للبيت والكتاب جليسا
ليس شيء أعز عندي من العـ ... ـلم فلا تبتغي سواه جليسا
إنما الذل في مخالطة النا ... س فدعهم وعش عزيزاً رئيسا

وقال :

وقالوا اضطرب في الأرض فالرزق واسع ... فقلت ولكن مطلب الرزق ضيق
إذا لم يكن في الأرض حر يعينني ... ولم يك لي كسب فمن أين أرزق

وقال من آخر :

وقالوا توصل بالخضوع الى الغنى ... وما علموا أن الخضوع هو الفقر
وبيني وبين المال بابان حرما ... علي الغنى نفسي الأبية والدهر

وهذا من الشعر الذي يشعر بعظم نفس صاحبه ، ولم يتناقل شعره في الغزل والمديح على رقته تناقل شعر المجيدين مثله ، ولكن هذه المعاني وهذه الحكم عزت في شعر الشعراء فأصبحت لحكم المتنبي من خير ما حمله ديوانه .

أما نثره فهو مرسل على الأغلب ، تقرأ صفحات بارعة منه في كتابه الوساطة بين المتنبي وخصومه في شعره . ومثله جدير بأن يدافع عن شعر شاعر عظيم وهو شاعر يعرف من أين تؤكل الكتف ، يعرف بعلمه وتوسعه في صناعة الكتابة ، كيف يورد حججه ويصدرها بهذا البيان المرقص المطرب . والسبب في دفاع القاضي ابي الحسن عن المتنبي أن الصاحب بن عباد لما عمل رسالته في إظهار مساوى المتنبي عمل هو كتاب الوساطة ، ولم تمنعه صلته بالصاحب عن رده عليه رأيه ، وما حالت الصداقة دون تزييف رأيه ، والحق أولى بالصداقة من كل صديق .

وفي هذا الكتاب كما قال الثعالبي «أحسن وأبدع وأطال وأطاب ، وأصاب شاكلة الصواب ، واستولى على الأمد في فصل الخطاب ، وأعرب عن تبحره في الأدب ، وعلم العرب ، وتمكنه من جودة الحفظ وقوة النقد» . وكتاب الوساطة من أجمل كتب النقد الأدبي لا نعرف له مثيلاً قبله ، وكأنه تنبأ بطرق الغربيين في نقدهم في العصور المتأخرة ، وأوضح لهم المنهاج فساروا عليه وتوسعوا فيه . رد في كتابه أجمل رد على من تحاملوا على المتنبي ، وأسقطوه بغير حق . وعرض فيه لجمال هذا الشعر وإبداعه وحكمه وبدائعه ، وما تأخر عن إيراد ما يرذل من شعره . ومما قال فيه : «وقد تجد كثيراً من أصحابك ينتحل تفضيل ابن الرومي ويغلو في تقديمه ، ونحن نستقري القصيدة في شعره ، وهي تناهز المائة أو تربي أو تضعف ، فلا نعثر فيها إلا بالبيت الذي يروق أو البيتين ثم قد تنسخ قصائد منه وهي واقفة تحت ظلها جارية على رسلها ، لا يحصل السامع منها إلا على عدد القوافي وانتظار الفراغ ، وانت لا تجد لأبي الطيب قصيدة تخلو من

أبيات تختار ومعان تستفاد ، والفاظ تروق وتعذب ، وإبداع يدل على الفطنة والذكاء ، وتصرف لا يصدر إلا عن غزارة واقتدار . ولو تأملت شعر أبي نواس حق التأمل ، ثم وازنت بين انحطاطه وارتفاعه ، وعددت منفيه ومختاره ، لعظمت من قدر صاحبنا ما صغرت ، ولأكبرت من شأنه ما استحقرت ، وعلمت أنك لا ترى لقديم ولا محدث شعراً أعم اختلالاً ، وأقبح تفاوتاً وأبين اضطراباً ، وأكثر سفسفة ، وأشد سقوطاً من شعره ، هذا وهو الشيخ المقدم ، والامام المفضل ، الذي شهد له خلف وأبو عبيدة والأصمعي ، ونشر ديوانه الكميت ، فهل طمست معايبُه محاسنَه ، وهل نقص رديئه من قدر جيده ؟

وتلطف واحتاط قائلاً إنه لم يدعُ الإحاطة بشعر الأوائل والأواخر ، بل لم يزعم انه نصفه سماعًا وقراءة . قال وإنما اجسر في الوقت بعد الوقت فأقدم على هذا الحكم انقياداً للظن ، واستنامة إلى ما يغلب على النفس ، فأما اليقين الثقة والعلم والإحاطة فمعاذ الله أن أدعيه ، ولو ادعيته لوجب أن لا تتبله مع علمك بكثرة الشعراء ، واختلاف الخطوط وخمول أكثر ما قيل ، وضياع جلّ ما نقل ، وأظنك قد سمعت وانتهى الى علمك أن البحتري أسقط خمسمائة شاعر في عصره فما يؤمنني من وقوع بعض أشعارهم الى غيري وما يدريني ما فيها » .

هذا ما عرف من حال القاضي العظيم ، والمجال لا يتسع لإيراد شواهد من كلامه ، وفي كتاب الوساطة نموذج مهم منه يرجع اليه من شاء .

الزمخشري

(ابو القاسم محمود بن عمر)

ولد ابو القاسم الزمخشري سنة ٤٦٧ في قرية كبيرة من قرى زمخشر من بلاد خوارزم وأخذ العلم في بخارى وورد بغداد غير مرة وأخذ الأدب عن ابي الحسن علي ابن المظفر النيسابوري وتخرج بأبي نصر محمود بن جرير الضبي الاصفهاني . وكان

هذا وحيد دهره في علم اللغة والنحو والطب وهذا رجل عظيم اشتهرت به بلده وأنشأ لها فضله اسمًا باقيًا بقاء كتبه ، أقام بخوارزم مدة وتخرج به جماعة من الأكابر منهم الزمخشري ، وهو الذي ادخل الى خوارزم مذهب المعتزلة ونشره بها ، فاجتمع عليه الخلق لجلالته وتذهبوا بمذهبه ، ومنهم الزمخشري وكان حنفيًا . فأخذ بمذهب اهل العدل والتوحيد وجاهر به .

أخذ ابو القاسم عن كثير من الشيوخ في خوارزم والعراق وجاور في مكة فتلقب بجار الله وفخر خوارزم . وما منعه من التنقل في البلاد ما كان من عاهة في رجله وكان أصابه في شبابه خراج فيها فقطعها ووضع عوضها رجلاً من خشب . وكان مقبولاً من القلوب كثير الأصحاب والتلامذة وعلل هو اشادة العلماء والشعراء بذكره بما رأوا من حسن النصح للمسلمين وبلوغ الشفقة على المستفيدين ، وقطع المطامع ، وعزة النفس ، والاقبال على خويصته . فهذه الصفات أورثته مكانة زادت في الاقبال عليه وحببت الأخذ عنه والانتفاع بكتبه .

كان جار الله إمامًا في التفسير ، وتفسيره الكشاف من خير التفاسير ، وهو المعتمد عند أكثر طلاب هذا العلم في عصرنا هذا وقبله ، وكتابه « أساس البلاغة » وفيه فرق بين الحقيقة والمجاز آية في التحقيق . واشتهر له بالطبع كتب أخرى وهذان الكتابان أجلها . ومن كتبه « الفائق في غريب الحديث » لم يقتصر فيه على احاديث الرسول بل تعرض لشرح احاديث الصحابة والتابعين وتابعيهم فهو كتاب في بليغ القول جيد كأساس البلاغة على حروف المعجم وشرحه ومن كتبه مقدمة الأدب ومقاماته واطباق الذهب في المواعظ والخطب وإعجب العجب شرح لامية العرب وكتاب الجبال والأمكنة والمياه والكلم النوابغ أو نوابغ الكلم والمفصل في صناعة الاعراب وكلها مفيدة لا تخرج عن اللغة والاعراب والمفصل أمتنها وأفيدها لما حمل من شواهد تدعم القواعد ، أما طريقته في الانشاء فطريقة اهل القرن الخامس والسادس إلا انها تنم عن تمكنه

في اللغة تمكيناً عظيماً . ونعني بهذه الطريقة اعتماده على التسجيع في كلامه حتى كاد يأتي على محاسن كلامه ويذهب برونق بلاغته ، ولا نحيل القارئ إلا على مقدمتي الكشاف والأساس وهما كتاباه الخالدان ولو عريا من السجع لاستجمعتا أسباب الكمال كله ، وكذلك مقاماته وأطواقه ونوابغ كلمه . أما اضطلاعه باللغة فهو اضطلاع اللغوي الذي تمثل ما نقل وبوبه ونسقه وأبرزه في قالب اخرجه من جفاف اللغة بعض الشيء .

ان من يطالع كتب الزمخشري يستفيد لغةً والفاظا وتراكيب فصيحة أما البلاغة وهي في السبك فأمر ثان ذلك لأن عصره متأخر . وهو يقصد في الكشاف والمفصل ومقدمة الأدب امداد من يريد اتقان العربية بالمادة الأولى اللازمة أولاً ثم هو وان درس الزمخشري دراسة عظيمة قلّ ان يتيسر مثلها لغير أبناء العربية لا يخرج عن كونه أعجمياً وبيئته غالبة عليه على كثرة مقامه في بلاد العرب ، قالوا وكان لا ينطق بلغته الأصلية الا اذا اراد ان يشرح شيئاً لمن يأخذون عنه والا فهو يتكلم العربية وقد فاخر في مقدمة المفصل بنفسه فقال : الله احمد على ان جعلني من علماء العربية . وجبلني على الغضب للعرب والعصبية . وحمده على ان لم ينضو الى لفيف الشعوبية قال : ولعل الذين يغضون من العربية ويضعون من مقدارها ويريدون أن يخفضوا ما رفع الله من منارها حيث لم يجعل خيرة رسله وخير كتبه في عَجَم خلقه ولكن في عربه ، لا يبعدون عن الشعوبية منابذة للحق الأبلج ، وزيغاً عن سواء المنهج ، والذي يقضي منه العجب حال هؤلاء في قلة انصافهم وفرط جورهم واعتسافهم وذلك انهم لا يجدون علماً من العلوم الاسلامية فقهها وكلامها وعلمي تفسيرها واخبارها الا وافتقاره الى العربية بيّن لا يزيغ .

ان الرجل الذي ضرب به المثل في علم الأدب وكان الغاية في ادب النفس والعزوف عن الدنيا لم يخل من حساد أيضاً ومن كلامه يخاطبهم :

اذا سألوا عن مذهبي لم أبح به | واكتمه كتمانه لي أسلم
فان حنفياً قلت قالوا بأنني | ابيح الطلا وهو الشراب المحرم
وان مالكياً قلت قالوا بأنني | أبيح لهم اكل الكلاب وهم هم
وان شافعياً قلت قالوا بأنني | أبيح نكاح البنت والبنت تحرم
وان حنبلياً قلت قالوا بأنني | ثقيل حلولي بغيض مجسم
وان قلت من اهل الحديث وحزبه | يقولون تيس ليس يدري ويفهم
تعجبت من هذا الزمان وأهله | فما احد من ألسن الناس يسلم
وأخرني دهري وقدم معشراً | على انهم لا يعلمون وأعلم
وقد أفلح الجهال ايقنت انني | انا الميم والأيام افلح اعلم

وقال :

زمان كل حب فيه ضب | وطعم الخل خل لو يذاق
لهم سوق بضاعته نفاق | فنافق فالنفاق له نفاق

ان ما خلفه الزمخشري من مصنفاته لا غنية لطالب لغة العرب عن تدارسه كلما عرض له مشكل من مشاكلها لأنها كلها منسوجة اجمل نسج مرتبة خير ترتيب واضحة كل الايضاح ليست بالمطولة حتى يملها الطالب ولا بالمختصر حتى ينقطع دون بغيته ومن حفظ الكشاف والأساس والفائق والمفصل جاء منه عالم لا يحتاج الى أشياء كثيرة أخرى .

توفي الزمخشري بجرجانية خوارزم سنة ٥٣٨ .

محمد كرد علي

اللغة العربية

في البلاد الاسلامية غير العربية [1]

— ٣ —

اللغة العربية في الهند

(١)

لما امتد الفتح بالعرب شطر المشرق حتى جاوزوا افغانستان ، هبطوا إقليم الملتان من الهند ولكنهم لم يستقروا فيه ·

ثم حاولوا فتح الهند من جهة الساحل حيث يصب نهر السند في البحر المحيط فغزوا غزوات هناك · فلما كان زمان الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك سيّر الحجاج بن يوسف الثقفي جيشاً لفتح الهند وجعل إمرته لابن أخيه محمد ابن القاسم ففتح العرب اقليم السند حتى الملتان ولم يتوغلوا في الهند · ودام لهم سلطان فيما فتحوه زهاء مائتي سنة وبنوا هناك المدائن وعمروا الأرض ·

وفي القرن الرابع الهجري اتخذ المسلمون لفتح الهند طريقاً آخر وتولى الفتح السلطان محمود الغزنوي احد ملوك الدولة الغزنوية (٣٥١ — ٥٧٩ هـ) وقد أعدّ العُدّة وحشد الجيوش واحتفل للغزو وهبط سهول الهند بجيوشه أكثر من خمس عشرة مرة ما بين سنة ٣٩١ وسنة ٤١٧ فدانت له بنجاب وكشمير وكجرات · واستقر سلطان الغزنويين في بنجاب ·

ولما غُلبوا على غزنة دار ملكهم — غلبتهم عليها الدولة الغورية — اتخذوا لاهور حاضرة الملك سنة ٥٤٣ هـ · فكانت لاهور اول حاضرة في الهند لدولة اسلامية ·

---

(١) تتمة المقال المنشور في الصفحة ٣٠ من الجزء الأول والثاني من المجلد الثاني والعشرين ·

ومهد فتح الغزنويين طريقَ الدول الاسلامية الى الهند ، وهيأ البلاد لنشوء دول اسلامية فيها ، ففتح الغوريون طرفاً من البلاد ، ونشأت في داخلها دول كثيرة منها دول سلاطين دهلى التي سيطرت على دهلى وما يتصل بها من سنة ٦٠٣ الى سنة ٩٣٢ .

وقد فتحت الدولُ الاسلامية شماليَّ الهند حتى خليج بنغالة وبسطت سلطان الاسلام وحضارته هنالك .

وفي القرن العاشر الهجري توجّه الى الهند داهية عبقري لا تنشئ الأجيال مثله الا قليلاً ، فأقام فيها أعظم الدول الاسلامية الهندية .

ذلكم محمد ظهير الدين بابر من حَفَدة الفاتح الجبار تيمورلنك .

ورث هذا الأمير من أبيه إمارة فَرغانة وسمرقند سنة ٨٩٩ وهو في سن الثانية عشرة وتقلبت به غِيَر ، وتداولته خطوب حتى غُلب على إمارته الموروثة بعد سبع سنوات . ولكن هذا الشاب العبقري كان أجرأ وأصبر من أن يستكين للحادثات فبقي ثلاث سنين شريداً ليس في يده من الملك شيء ، ولكن كان في ضمان عزمه وهمته أن يكون ملكاً في بلاد أوسع من فرغانة وسمرقند . فتوجه تلقاء كابل ففتحها سنة ٩١٠ هـ .

وتمكن ملكه في كابل واتجه طماحه وهمه الى الأرض الواسعة الغنية ، عزم على فتح الهند .

فأخذ يغير على اطرافها منذ سنة ٩٢٥ حتى مكنته شجاعته وهمته ودهاؤه أن يهزم السلطان ابراهيم اللودي سنة ٩٣٢ في موقعة بانيبات التي سقط فيها السلطان بين خمسين ألفاً من جنده .

وبعد هذه الموقعة بستة أيام خُطب لظهير الدين بابر في دهلى يوم الجمعة الرابع عشر من رجب سنة ٩٣٢ هـ .

ولم يثبت له جيش بعد ذلك حتى الجيوش التي حشدها أمراء الهند وحشروا

فيها من الجند والفيلة جموعًا يقودها مائة وعشرون قائداً على رأسهم سانجا زعيم أمراء رَجْبوت . فلقي بابر بعد سنتين من موقعة پانيپات ظفراً أعظم من ظفرها في موقعة كندها .

لم يثبت أحد من بعد لسطوة بابر ، فأقام دولة في الهند دام سلطانها ثلاثة قرون ونصف على اختلاف الغير وتبدل الحالات .

توالى على عرش الهند ملوك عظام مدوا سلطانهم على أرجاء الهند ، وأقروا فيها القانون ، والعدل ، وأشاعوا فيها الحضارة والثقافة ، ولا سيما الستة الأولون من ملوك هذه الدولة من بابر الى أورنك زيب ، فقد تداولوا السلطان مائتي عام ، وبلغت الدولة في سلطانهم أوجها .

وقد شرعوا شرائع عادلة ، وسنّوا سننًا حسنة ، وجمعوا حولهم العلماء والفلاسفة والأطباء والأدباء والصناع من أقطار الأرض ، وشادوا من الأبنية ما لا يزال يحدث بقوتهم وحضارتهم .

وقد بقيت هذه الدولة الى سنة ١٢٧٤ هـ حين أزالها الانكليز بعد أن نقصوا أطرافها وزلزلوا أركانها .

(٢)

هذه الدول الاسلامية التي توالت على الهند منذ الفتح العربي الأول عملت في نشر الحضارة الاسلامية واللغة العربية .

نشر العرب لغتهم هناك ، واتخذ مسلمو الهند ، كسائر مسلمي العالم ، اللغة العربية لغة علم وأدب على مرّ العصور .

وكان دخول العربية الى الهند على طريقتين :

الأولى : في ثنايا اللغة والآداب الفارسية . فالفارسية قد أخذت من العربية على النحو الذي بيّنت من قبل ، ثم صارت لغة الدولة ولغة التدوين في الهند منذ عهد الغزنويين . لا سيما في عهد الدولة المغولية التي ذكرتها آنفًا .

وقد عدّ الشيخ شبلي النعماني في كتابه (شعر العجم) واحداً وخمسين شاعراً فارسياً جاءوا الى الهند في عهد السلطان جلال الدين اكبر (٩٦٣ ـ ١٠١٤ هـ) وعد البداوني اكثر من هؤلاء ومعظمهم فارسي الأصل ، منهم من نشأ في الهند ، ومنهم من طرأ عليها . كما عدّ من العلماء والفلاسفة والأطباء الذين عاشوا في كنف هذه الدولة أكثر من مائة وخمسين .

ثم نشأت اللغة الأردية في كنف اللغة العربية والفارسية ، فكان أثر العربية فيها كأثر العربية في الفارسية :

شرع أدباء الهند يدخلون في الأدب الفاظاً وجملاً من الهندية في القرن السابع الهجري اذ استعمل الشاعر الكبير الأمير خسرو الدهلوي (٦٥٣ـ٧٢٥هـ) كثيراً من هذه الالفاظ ، ونظم شعراً ملمعاً من الفارسية والهندية .

ثم كتب بعض الصوفية في القرن التاسع الهجري بالهندية ليقربوا الى العامة آراءهم ومواعظهم ، ولم يكن لهم بدّ من استعمال كثير من الألفاظ العربية والفارسية ، اذ كانتا لغتي العلم والأدب حينئذ .

وكتبوا هذه الهندية المشوبة بالعربية والفارسية بالخط العربي فنشأت اللغة التي عرفت من بعد باسم الاردية .

ولم ينبغ شعراء الاردية العظام الا منذ القرن الثاني عشر الهجري .

فهذا دخول العربية الى الهند في ثنايا الفارسية والعربية .

وأما استعمال العربية لغة مستقلة فقد عرف في عصور الهند كلها منذ الفتح العربي الأول ، ولا سيما بعد أن توغل المسلمون في أرجاء الهند ونشروا لغة القرآن ، فكتب فيها مؤلفون على مرّ الزمان .

ومن المؤلفين بالعربية فيضي المتوفى سنة ١٠٠٤ هـ وهو صاحب التفسير المسمى «سواطع الالهام» ، وقد التزم أن يخلي تفسيره من الحروف المعجمة كلها . وهذا ، على قلة جدواه ، لا يتاح الا لمتمكن في العربية ، واسع العلم بها .

ومن كبار المؤلفين عبد الحليم السيالكوتي المتوفى سنة ١٠٦٧ هـ ، ومؤلفاته في علم الكلام معروفة .

ومن الفقهاء محب الله البهاري ، له مؤلفات في الفقه والمنطق . ومنهم الشيخ نظام الذي أشرف على جمع الفتاوى الهندية في عصر السلطان اورنك زيب (١٠٦٩ - ١١١٨ هـ) .

وفي مقدمة هذه الفتاوى ما يدل على التأنق في العربية والادلال بمعرفة غريبها ، جاء فيها :

« وبعد فان الفقه حاجز بين الهداية والضلال ، وقسطاس مستقيم لمعرفة مقادير الأعمال ، وعيالمه الزاخرة لا يوجد لها قرار ، وأطوادها الشامخة لا يدرك قنونها بالأبصار ... فمن الله عليهم باستنارة صديع سلطنة الملك الصلهام ، وانفلاق صبح دولة السلطان الخميسع القمقام ، القرم المقرم ، والقذم الفلهذم ، وزرم آجام الوغى ، وقنفل غياض المزدحم المطيع على العدل والشجاعة والندى ، والمفطور بتنه من الزهد والورع والتقوى أمير المؤمنين ورئيس المسلمين ، إمام الغزاة ، ورأس المجاهدين أبو المظفر أورنك محي الدين محمد زيب بهادر عالم كير بادشاه غازي أيد الله تعالى سلطانه وعمم على البرية كافة احسانه » .

ومن المؤلفين بالعربية الشيخ ولي الله الدهلوي مؤلف « حجة الله البالغة » ، وكتب أخرى .

ولا يزال علماء المسلمين وأدباؤهم في الهند يؤلفون بالعربية وينشرون القيم من كتبها ، ويشرحونه أحياناً ، ولا تزال الهند موطناً من مواطن لغة القرآن .

ومن المؤلفين بالعربية في عصرنا الشيخ شبلي النعماني وأصحابه من رجال ندوة العلماء والسيد صديق حسن خان مؤلف كتاب حقوق النسوة وكتب أخرى قيمة . وكرامت حسين مؤلف فقه اللسان في اللغة ، والشيخ عبد العزيز الميمني ،

له كتب قيمة في الأدب منها كتابه عن أبي العلاء و «زيادات شعر المتنبي» وقد نشر في القاهرة كتاب سمط اللآلي في شرح الأمالي للزبيدي .

ومنهم زاهد علي ناشر ديوان ابن هانئ ، وكثيرون غير هؤلاء . وقد نشروا من كتب العربية القيمة كتباً كثيرة منها الجمهرة لابن دريد ولزوميات المعري .

وقل أن لقيت في مصر من مسلمي الهند عالماً أو متعلماً الا يعرف العربية ويتكلم بها على حداثة عهده ، بالبلاد العربية ، ولولا عنايتهم بتعلمها والتكلم بها في ديارهم ما تيسر لهم كتابتها والتحدث بها في بلاد العرب بعد اقامة قصيرة .

وكثيراً ما أتلقى رسائل عربية من علماء في الهند لم يقيموا بالبلاد العربية ، وهي تشهد بتمكنهم من العربية ، ومسايرتهم تطورها في هذا العصر .

عبد الوهاب عزام

مكتبة المجلس النيابي

في طهران

تحتوي مكتبة «مجلس شواري ملي» ـ وهو الاسم الذي يطلق على المجلس النيابي الايراني ـ على بعض ذخائر قيمة من الكتب العربية والفارسية . وقد أتيح لي خلال السنة التي قضيتها في طهران ان اتردد الى هذه الخزانة وأنقب بين مخطوطاتها العربية ، وقد هيأت لنفسي دفتراً أحصيت فيه بعض كتبها لأرجع اليه وقت الحاجة ، ثم رأيت ان انشره لمن يهتمون بالكتب ودورها فلعل بعضهم يجد فيه فائدة ، وخصوصاً حينا رأيت انصراف بعض أدبائنا الى هذا العلم القيم ـ اعني علم الكتب والمكاتب ـ بعد ان رأوا عناية المستشرقين الشديدة به لخطره وكثرة فائدته بكشفه النقاب عن كثير من تراثنا العقلي . ثم ان لبحثي هذا هدفاً آخر هو أن أبين للناس بعض ما في زوايا ايران من نفائس الأعلاق العلمية والفنية ، وان ايران الحديثة وفارس القديمة لحرية بأن يعنى بها عناية كبرى تليق بتاريخها المجيد الحافل سواء في الفن او العلم .

وقد نبغت اليوم في ايران ناشئة طيبة اخذت على عاتقها ان تبين للناس ، من مشارقة ومغاربة ، وجه ايران العلمي الحقيقي وفي مقدمة هؤلاء السادة الأجلاء المؤرخ العالم محمد قزويني ، والجغرافي المؤرخ عباس اقبال اشتياني ، والعارف الفقيه ضياء الدين حدائق المشهور بابن يوسف الشيرازي ، والشاعر المبدع بهار المعروف بملك الشعراء وزير المعارف السابق وغيرهم من اولي الفضل والعرفان الذين أخذوا ينشرون البحوث والتأليفات القيمة ، كما أخذوا يبعثون بعض المخطوطات القديمة من خزائنها ، مصححة مضبوطة احسن تصحيح واجود ضبط ، وأرجو ان يوفقوا في مشروعاتهم العلمية الكثيرة التي حدثوني بها .

لمحة عن تأسيس هذه المكتبة

أثناء الحرب العالمية الأولى ، كان المجلس النيابي في عطلة ، فرأى بعض أهل الفضل من رجال ايران الحديثة تأسيس خزانة للمجلس تضم بعض الكتب المخطوطة والمطبوعة في قصر بهارستان حيث يقع المجلس ، وقد لقي هؤلاء الفضلاء معاونة تشكر من المرحوم أرباب كيخسرو شاه روخ ، الفاضل الزردشتي الذي قضى نحواً من ثلاثين سنة وهو امين على هذا القصر ، وكان أول ما عملوه أن اشتروا نحواً من مائتي مجلدة من الوصي على ورثة العالم الفاضل الحكيم المشهور ميرزا ابي الحسن جلوه ، باشارة السيد التقوى نصر رئيس محكمة التمييز سابقاً . وكان كثير من هذه الكتب المائتين قيماً ونفيساً لأن الميرزا ابا الحسن كان من رجالات ايران فضلاً وعلماً اضطلاعاً بالعلوم الفلسفية خاصة . ثم زادت كتب الدار الف كتاب آخر اشار السيد مهد يقلي هدايت المشهور بمخبر الدولة بشرائها من خزانة المرحوم الفاضل السيد غلامير احتشام السلطنة وكثير من الكتب خطي حسن الخط لما عرف عن السيد احتشام من عناية بجمع المخطوطات الحسنة .

وفي سنة ١٣٠٢ هجرية شمسية (= ١٩٢٣ ميلادية) عاد المجلس النيابي الايراني الى مزاولة أعماله ، فاعتنى القائمون بأمر المكتبة عناية كبرى ، وافتتحت المكتبة افتتاحاً رسمياً بحضور رجالات الدولة ، ومنذ ذلك التاريخ أضحت مكتبة تفتح أبوابها للمطالعين وجعل لها في موازنة المجلس اعتماد خاص لشراء الكتب ، والانفاق على الموظفين والعاملين فيها . وقد زادت كتبها منذ ذلك التاريخ الى سنة ١٣١٦ هـ . ش (= ١٩٣٧ م) فبلغت (١٨٠٠٠) كتاباً ما بين مخطوط ومطبوع بالعربية او الفارسية او غيرهما من اللغات الحية . وما تزال كتب الدار في ازدياد مستمر منذ سنة ١٩٣٧ حتى هذه الأيام فقد بلغ عددها في سنة ١٣٢٥ هـ . ش (= ١٩٤٦ م) نحواً من (٢٥٠٠٠) كتاب .

ولم يكن لهذه الدار يوم تأسيسها فهارس منظمة ، ولا سجلات دقيقة وانما

كان لها دفتر سردت فيه اسماء الكتب سرداً بجانب اسماء مؤلفيها وعدد اجزاء كل كتاب دون تمييز كتب كل علم عن الآخر · ولكن في سنة ١٣٠٥ هـ · ش (= ١٩٢٦ م) طبع أول فهرست منظم وكانت كتبها في ذلك الحين لا تتجاوز (٣٥٠٠) كتاباً مطبوعاً و (٢١٦) مخطوطة · وكان هذا الفهرس بعناية المرحوم السيد يوسف آشتياني الملقب باعتصام الملك والذي كان أميناً على الدار · وينبغي ان يلاحظ أن هذا الفهرست خال من التدقيق العلمي الحديث ·

ثم تولى امانة هذه الدار السيد ابراهيم شريفي فعني بها عناية فائقة طبق علم المكتبات الحديث فنظم لها الجذاذات على النظم الفنية الدقيقة وقد بلغت كتبها في عهده نحواً من (٢٤٠٠٠) كتاب منها (٣٢٠٠) مخطوطة عربية او فارسية و (٦٠٠٠) مطبوعة عربية او فارسية و (٧٣٠٠) كتاب افرنسي و (٥٥٠٠) كتاب انكليزي و (٢٥٠٠) كتاب روسي وتركي والماني · وقد هيأ لهذه الكتب اكثر من (٦٠٠٠٠) جذاذة لتسهيل المراجعة والبحث لدى طلاب العلم ·

وقد كان من أعمال السيد شريفي المهمة شروعه بتهيئة فهرس للمخطوطات التي لم تكن قد فهرست في عهد المرحوم اعتصام الملك، وقد اعانه في تنظيم هذا الفهرست العالم الفاضل الاختصاصي في علم المكتبات السيد ابن يوسف شيرازي ضياء الدين حدائق · ويعتبر المجلد الذي نشره السيد اعتصامي أول فهرست علمي منظم لهذه المكتبة وقد اشتمل على وصف (٧٨٨) مخطوطة وصفاً علمياً دقيقاً، صنفها بحسب موضوعاتها هكذا : المصاحف من رقم (١) الى (٩)، فالأدعية والأذكار من رقم (١٠) الى (٢١) فالأحاديث والأخبار من (٢٢) الى (٣٦) فالفقه من (٣٧) الى (٥٣) فعلم التفسير من (٥٣) الى (٨٠) فعلم الكلام من (٨٠) الى (١٠٣) فعلم الحكمة والفلسفة من (١٠٤) الى (١٤٦) فعلم الرياضي والنجوم والهندسة من (١٤٧) الى (٢١٤) فعلم التاريخ من (٢١٥) الى (٢٧٦) فعلم الأدبيات من (٢٧٧) الى (٣٠٩) فكتب العربية والبلاغة من (٣١٠) الى الى (٣٢٠) فالدواوين والمجموعات الشعرية من (٣٢١) الى (٤٥٩) فكتب اللغة

من (٤٦٠) الى (٤٩٠) فكتب الطب من (٤٩١) الى (٥٣٠) فكتب السير والمناقب من (٥٣١) الى (٥٦٤) فكتب الأخلاق والنصائح والمواعظ من (٥٦٥) الى (٥٩١) فكتب الجاميع من (٥٩٢) الى (٦٤٤) فكتب التصوف من (٦٤٥) الى (٦٧٥) فكتب القصص من (٦٧٦) الى (٦٨٤) فكتب الجغرافية من (٦٨٥) الى (٦٩١) فكتب الرحلات من (٦٩٢) الى (٧٠٣) فكتب معرفة الأحجار والحيوان من (٧٠٤) الى (٧١١) فكتب الردود من (٧١٢) الى (٧١٥) فكتب علوم الصناعات من (٧١٦) الى (٧٣٨) فكتب مختلفة الموضوعات من (٧٣٩) الى (٧٨٨) .

والنسخ من هذا الجزء قليلة جداً فقد حدثني القائم بأمر الدار اليوم انهم لم يطبعوا منه حين طبعه الا عدداً قليلاً جداً لا يكاد يتجاوز المئة .

وفي سنة (١٣١٨ — ١٣٢١) ه . ش طبع المجلد الثالث من فهرست كتب هذه الدار بعناية السيد ابن يوسف الشيرازي وهو مجلد في (٨١٥) صحيفة فهرس فيه المؤلف لـ (٤١٧) مخطوطة عربية او فارسية وقد صدر هذا الجزء ببحث لطيف بالفارسية عن تاريخ هذه الدار والأدوار التي مرت بها ، وبالمراجع العديدة التي رجع اليها في تنظيم هذا الجزء وقد ابتدأ فيه بكتب التفسير وعلوم القرآن ، ثم بكتب الأدعية والأذكار ، ثم بالأحاديث والأخبار ، ثم بالفقه ، ثم باللغة ، ثم بالعربية والبلاغة ، ثم بالشعر . وقد ختم كتابه هذا بأربع فهارس قيمة لمحتويات هذا الجزء .

ولا شك في انه قد بذل جهداً عظيماً دل على علمه الواسع وفضله في الثقافة الاسلامية ولكن لا بد لي ههنا من ابداء ملاحظة رقيقة على ما تجلى لي من تعصبه للتشيع وحمله على بعض رجالات الاسلام من غير الشيعة ، وقد كان ينبغي عليه وهو العالم المحقق ان يتجرد من ذلك التعصب ، وخصوصاً ونحن المسلمين في فترة يجب علينا فيها ان نتجرد عن تلك الجهالات التي خلقتها السياسة للتفريق بين المسلمين من شيعي وسني . ولا اريد ان اسرد شواهد على ما تجلى لي في

هذا الكتاب وانما أكتفي بأن اشير الى حملته الشديدة التي حملها على امام المحدثين وشيخهم على الاطلاق وهو الامام البخاري ·

وصف بعض المخطوطات النفيسة في هذه الدار

انتقيت المخطوطات القيمة في هذه الدار ووصفتها بما فيه الكفاية وقد صنفتها الى أقسام: الأول في القرآن وعلومه، والثاني في الكلام والحكمة وما اليهما، والثالث في التاريخ، والرابع في العربية وعلومها، والخامس في الشعر والأدب، والسادس في علوم شتى ·

١ — القرآن وعلومه

١ : نسخة من القرآن المجيد كتبها الخطاط الايراني الأشهر في القرن الثاني عشر للهجرة وهو السيد الميرزا احمد التبريزي، وفي صدر هذه النسخة لوحتان بارعتان في تذهيبها وتلوينها، وقد تخللت سطور الصفحات تذهيبات جد جميلة، كما جعل في اول كل سورة اطار تفنن في تزويقه وتنميقه، ولهذه النسخة جلد حسن الصنع والنقوش صنعه الميرزا عبد الوهاب مذهب باشي سنة ١٢٩٢ ·

وقد أتم الناسخ كتابة هذه النسخة سنة ١١٣٨ للهجرة وهو في ٤٩٦ ورقة في كل ورقة ١٢ سطراً، وطول الصفحة ٢٣ ١/٢ سنت في ١٤ ١/٢ سنت · ورقم النسخة ٣٩٤٣ ·

٢ : نسخة أخرى من الكتاب المجيد كتبها الخطاط الايراني حسن الخانيساري وفي صدرها لوحتان مذهبتان ومنقوشتان نقشاً جميلاً، وهي مكتوبة بقلم النستعليق وفي آخر النسخة ما نصه بقلم الثلث الجيد «قد تشرف وتعزز وتكرم بكتابة هذا المصحف العزيز الشريف الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد من أوله الى آخره مع ترجمته بالحمرة وقرء وصحح بالروايتين ابي حفص وبكر على عمدة القراء والمجودين مولانا وجيه الدين عبد الله القاري وعلى زبدة الأذكياء والمنزوين مولانا نعما الدين نعمت الله القاري ادام

الله بركاتها وضاعف اجرهما · المرجي عفو ربه الباري حسن بن حسين بن محمد ابن علي الخانيساري) ·

والنسخة مكتوبة سنة سبع وسبعين وتسعمائة للهجرة ، وقد وضع خلال سطورها ترجمتها الى الفارسية ، وهي في ٤٣٩ ورقة (٢٤ × ١٦ سنت) ورقمها ١٦٧١ ·

٣ : مفاتيح الأسرار ومصابيح الأبرار :

لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني المولود في شهرستان من اعمال خراسان سنة ٤٦٩ هـ (١٠٧١م) والمتوفى في شعبان سنة ٥٤٨ هـ (تشرين الثاني ١١٥٣م)[١] ·

وللشهرستاني هذا كتب قيمة اشهرها « الملل والنحل » المطبوع المشهور ويظن ان في مكتبة الاسكوريال في اسبانية نسخة منه بخطه كما ذكر ذلك بروكلمان في ذيل كتابه لتاريخ الأدب العربي (١/٧٦٣) ، وكتاب تاريخ الحكماء (الفلاسفة) ولا يعرف له أثر ، وكتاب نهاية الاقدام في علم الكلام ، وقد طبعه المستشرق آ · غليوم في اكسفورد سنة ١٩٣١ ، وكتاب مصارعات الفلاسفة او المصارعة والمضارعة او المصارع الفلسفية وكتاب مفاتيح الأسرار ولا تعرف منه الا هذه القطعة وهي عبارة عن المجلد الأول من تفسير القرآن ذكر انه في اثني عشر مجلداً ، ولا تحتوي هذه القطعة الا على تفسير الفاتحة وسورة البقرة وقد ذكر في المقدمة ما نصه « فنقلت القراءة والنحو واللغة والتفسير والمعاني من اصحابها على ما اوردوه في الكتب نقلاً صريحاً صحيحاً من غير تصرف فيها بزيادة ونقصان سوى تفصيل مجمل او تقصير مطول وعقبت كل آية بما سمعت فيها من الأسرار وتوسمته من اشارات الأبرار » ·

والنسخة جيدة جداً كتبها محمد بن محمد الزانجي للشيخ الفاضل ابرهيم بن محمد ابن المؤيد ابي الجامع الحموي الجويني سنة سبع وستين وستمائة بقلم نسخي جيد مضبوط · وعدد أوراقها ٤٣٣ (٢٤ × ١٣½ سنت · ورقمها ٨٠٨٦) ·

(١) انظر أخباره في طبقات الشافعية للسبكي ٤ : ٧٨ والتتمة للبيهقي : ١٣٧ ، و لوفيات لابن خلكان : ٥٨٣ ، ومعجم الأدباء لياقوت ٣ : ٣٤٣

٤ : مفاتيح الغيب

للمير صدر الدين محمد بن المير غياث الدين منصور الحسيني الشيرازي المولود في شيراز سنة ٨٢٨ هـ (١٤٢٥ م) والمتوفى سنة ٩٠٣ (١٤٩٧ م) [1].

وقد ألف كتباً ورسائل في علم الكلام والتفسير من اشهرها «رسالة في اثبات الباري تعالى وصفاته الحسنى» و «رسالة في مسألة خلق العمل» و «رسالة في تحقيق التصور والتصديق» و «حواشي على تجريد العقائد للنصير الطوسي» [2]، و «مفاتيح الغيب» هذا نسخة في ٢١٢ ورقة أولها «الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ...» وهي في علوم القرآن وغرائب ابحاث التأويل والاسرار والرموز الالهية ولا نعرف من هذا الكتاب نسخة غير هذه، ولم يشر اليها بروكلمان في تاريخ الأدب، وهي مكتوبة سنة (١٢٤٦هـ) بقلم نستعليق حسن رقمها ١٣٢ .

٥ : تفسير فاتحة الكتاب وسورة البقرة :

للامام صدر الدين الشيرازي محمد بن ابراهيم القوامي المشهور بالملا صدرا المتوفى سنة ١٠٥٠ (= ١٦٤٠ م) .

والنسخة قطعة من كتاب كبير في التفسير سلك فيه مسلك اصحاب المكاشفات الفلسفية والتفسيرات الصوفية واوله «سورة الفاتحة المسماة بأم القرآن لاحتوائها على مجامع المعاني التي في القرآن، وسورة الكنز، والعافية، وسورة الحمد والمثاني ...» وهو في (٣٥٠) ورقة (٣٠ × ٢١ سنتيم) وهو بقلم نسخي رقمه (٩٠٦١)

٢ — الكلام والحكمة

٦ : الشفاء

لامام الحكماء ابي علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن سينا الفيلسوف الاسلامي الأشهر ومؤلف «النجاة» و «الاشارات» و «القانون» والرسائل الاخرى المشهورة في الطب والفلسفة والحكمة .

(١) انظر روضات الجنات ٥٣٠، والكشف لحاجي خليفة ٢ : ٣٦٣ و GAL. لبروكلمان ٢ : ٢٠٤ وذيله ٢ : ٢٧٩

(٢) انظر بروكلمان ١ : ٩٢٦

وقد اختلف في مولده فقيل انه ولد سنة ٣٧٠ هـ (= ٩٨٠ م) كما في ابن خلكان وابن القفطي ، وقال آخرون انه ولد سنة ٣٧٣ هـ ، وزعم ادوار فانديك انها سنة ٣٧٥ هـ ، كما اختلفوا في وفاته فقال بعضهم انها سنة ٤٢٨ هـ (= ١٠٣٧ م) وقال آخرون انها سنة ٤٢٧ هـ [١] .

والنسخة نفيسة جداً مكتوبة على ورق الحرير وفي صدرها لوحات مذهبة ومرصعة احسن التذهيب والترصيع على ارض من اللازورد ، وقد كتبت بقلم نستعليق وفي آخرها ما نصه «تم كتاب الشفاء بعون الله تعالى وحسن توفيقه في اوائل شهر شعبان سنة احدى وسبعين وثمانمائة الهجرية على يد العبد الضعيف الراجي الى رحمة الله تعالى علي بن فتح الله الهمداني الاصفهاني المشتهر بالصابري أحسن الله احواله ....» والنسخة في ٤٧١ ورقة (٣٣ ½ × ٢١ سنتيم) ورقمها (٢٠٢) .

٧ : الأسفار الأربعة في الحكمة

لقدوة المتألهين صدر الدين محمد بن ابراهيم الشيرازي القوامي المشهور بالملا صدرا [٢] المتوفى سنة (١٠٥٠ هـ) (= ١٦٤٠ م) [٣] وهو صاحب كتاب شرح حكمة الاشراق للسهروردي شهاب الدين ومنه نسخة في هذه الدار رقمها ٥٠٩٥ واخرى رقمها ٢٣٨٢ ، والحكمة القرشية ، وشرح اصول الكافي ومنه نسخ في هذه المكتبة رقمها (١٣٣) ١٦٤/٨٩ . وتفسير الفاتحة المذكور في رقم (٥) ومفاتيح الغيب في علوم القرآن ومنه نسخة في هذه المكتبة رقمها (١٣٢) وشواهد الربوبية في علم الكلام ورقمه في هذه المكتبة (١٦٩) والمشاعر في اصول حقائق الايمان والحكمة والكلام وكتاب الواردات القلبية في الكلام والحكمة وسيأتي الكلام عليها ، واكسير العارفين ومنه نسخة في المجموعة الموجودة في هذه المكتبة تحت رقم (٧٩) .

---

(١) انظر اخباره في ابن القفطي وابن ابي أصيبعة وابن خلكان ، ودائرة المعارف الاسلامية ، وتاريخ آداب اللغة العربية لزيدان ، وسركيس في معجم المطبوعات ، وبروكلمان في تاريخه ١ : ٤٥٢ والذيل ١ : ٨١٢ (٢) هو غير صدر الدين الشيرازي السابق المذكور في رقم [٦]

(٣) انظر بروكلمان تاريخ آداب العربية ٢ : ٤١٣

وتسمى هذه الأسفار الأربعة أيضاً «الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية» واولها «الحمد لله فاعل كل محسوس ومعقول وغاية كل مطلوب ومسئول .... واعلم ان للسلاك من العرفاء والأولياء اسفاراً اربعة احدها السفر من الخلق الى الحق، وثانيها السفر بالحق في الحق والسفر الثالث يقابل الأول لأنه من الحق الى الخلق بالحق والرابع يقابل الثاني من وجه لأنه بالحق في الخلق فرتبت كتابي هذا طبق حركاتهم في الأنوار والآثار على اربعة أسفار» .

والنسخة حسنة الخط عليها كثير من التعليقات بخط الشيخ الحكيم المرحوم ميرزا ابي الحسن جلوه ، وهي مكتوبة بقلم نستعليق جيد سنة ١٢٧٠ (٢٧ × ١٧ سنت) وعدد اوراقها (٣٣٢) ورقمها (٧٨) .

وفي المكتبة قطعة أخرى من هذا الكتاب تحتوي على السفر الأول من الأسفار الأربعة أولها «نفسية مفهوم الوجود الى افراده ..» وهي مكتوبة بقلم نستعليق ايضاً في (٢٦٧) ورقة (٢٢ ١/٢ × ١٣ سنت) ورقمها (٩٧) .

٨ : شواهد الربوبية في المناهج السلوكية

لصدر الدين السابق

وهو كتاب في علم الكلام والأبحاث الالهية اوله «الحمد لله الذي تجلى لقلوب العارفين بأسرار المبدأ والمعاد ....» والنسخة مكتوبة سنة (١١٦٠) بقلم نسخي في (٥ ٢) ورقة (١٩ × ١١ ١/٢ سنت) ورقمها (١٦٩) .

٩ : المشاعر

لصدر الدين السابق

وهو في اصول حقائق الايمان والحكمة وهو مؤلف من ثلاث مناهج وثمانية مشاعر وأوله «نحمد الله ونستعين بقوته التي اقام بها ملكوت الارض والسماء ...» وهي بخط جيد كتبت سنة (١٢٥٣) في ٣٩ ورقة (١٦×١٠ سنت) ورقمها (٨٣) .

١٠ : الوردات القلبية في معرفة الربوبية

لصدر الدين السابق

وهو رسالة لطيفة في الحكمة وعلم الكلام اولها « بعد الحمد لمبدع النفس والعقل ... »

وهي في ٤٥ ورقة (١٩ × ١٠ سنت) ورقمها (٩٠١٩) .

١١ : التحصيل او التحصيلات

لأبي الحسن بهمنيار بن مرزبان الآذربايجاني المتوفى في سنة ٤٥٨ وهو من خواص تلاميذ ابن سينا ذكره ظهر الدين ابو الحسن البيهقي في ذيله لعوان الحكمة فقال « وكان بهمنيار يبحث عن غوامض المشكلات ... ومن تصانيفه كتاب التحصيل ، وكتاب الزتبة في المنطق وكتاب في الموسيقى ورسائل كثيرة ... » ولم يبق من آثاره الا رسالة في مراتب الموجودات ورسالة في موضوع علم ما بعد الطبيعة وقد طبعت بمصر في مطبعة كردستان سنة ١٣٢٩ ، وقطعة من كتابه في اثبات العقول الفعالة والدلالة على عددها واثبات النفوس السماوية[1] وكتاب التحصيل هذا في ثلاثة اقسام والموجود منه هو قطعة تشتمل على القسم الأول في علم المنطق ، وبعض القسم الثاني في علم ما بعد الطبيعة ، والنسخة جيدة أولها « ... وبعد فاني محصل في هذه الرسالة للخال الرئيس الأجل ابي منصور بهرام بن خورشيد بن يزديار ادام الله تمكينه لباب الحكمة التي هذبها الشيخ الرئيس ابو علي الحسين بن عبد الله بن سينا رحمه الله مقتدياً في الترتيب بالحكمة العلائية وفي استيعاب المعاني بعامة تصنيفاته وبما جرى بيني وبينه محاورة ومضيف اليه ما حصلته بنظري ... »

وهي مكتوبة بقلم نسخي حسن في ١٥٤ ورقة (١٥×$\frac{1}{2}$٨ سنت) ورقمها(١٦٥).

---

(١) انظر البيهقي في تتمة صوان الحكمة ٩١ الطبعة الأولى و ٩٣ طبعة كرد علي وچهار مقاله ٢٥٢ وبروكلمان ١ : ٤٥٨ والذيل ١ : ٨٢٨ .

١٢ : مدينة الحكماء

لشمس الدين محمد بن محمود الشهرزوري الاشراقي احد رجال القرن السابع [١]

وهو كتاب قيم في ترجمة المتقدمين والمتأخرين من الفلاسفة، وقيل ان اسمه نزهة الأرواح وروضة الأفراح» أو «روضة الأفراح ونزهة الأرواح» وقيل بل هما كتابان مختلفان كما حقق ذلك المرحوم اعتصامي ناشر الجزء الأول من فهرست كتب المكتبة ص ٣٢٧ فقد ذكر ان الكتابين مختلفان وان كانت ديباجتاهما واحدة فان محتوياتهما وعدة الأشخاص تختلف في واحد عن الآخر كما تختلف تقديماً وتأخيراً واسهاباً واقتصاراً . والنسخة حسنة أولها «الحمد لله القديم الأزلي الدائم السرمدي المتعالي بجلال احديته عن جمال احداث النواظر المتفرد بكمال صمديته . . .»

والنسخة قيمة جداً لا يعرف لها ضريب وهي في ٩٦ ورقة (٣٢ × ٢١ سنت) مكتوبة سنة ١٣٢١ بخط حسن ورقمها (٩١٩٤) .

١٣ : المباحث الشرقية أو المشرقية

للامام فخر الدين ابي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن (الحسين) بن الخطيب الرازي التيمي البكري الطبرستاني الملقب بملك المناظرين وامام الدنيا في العلوم العقلية والشرعية ولد سنة ٥٤٣ هـ (= ١١٤٩) ومات سنة ٦٠٦ هـ (= ١٢٠٩) [١] .

والكتاب قد طبع في حيدر آباد سنة ١٣٤٣ ولكن النسخة جيدة جداً كتبت سنة ١٠٩٨ بخط نستعليق في ٣١٣ ورقة (٢١ × ١١ سنت) ورقمها : (١٢٤) .

١٤ : ميامر ارسطو

الميامر كلمة سريانية معناها المحاضرات، وقد ترجم هذا الكتاب للمرة الأولى عبد المسيح بن عبد الله بن الناعمة الحمصي المترجم المشهور الذي كان في ايام الخليفة المعتصم بالله العباسي (٢١٨ – ٢٢٧ هـ) . ثم ترجمه للمرة الثانية فيلسوف

(١) انظر طبقات الشافعية للسبكي ٥ : ٣٣ وابن القفطي : ٢٩١ وابن الساعي في عنوان التواريخ ٣٠٧ واليافعي في مرآة الجنان وابن العماد في الشذرات ٥ : ٢١ وابن أبي أصيبعة ٢ : ٢٣ وحبيب السير ٣ : ٦٠ وبروكلمان ١ : ٥٠٦ والذيل ١ : ٩٢٠

العرب ابو يوسف يعقوب بن اسحق الكندي ، وقد زاد عليه واصلحه للخليفة العباسي المستعين بالله .

والنسخة جيدة اولها « بسملة الميمر الأول من كتاب ارسطاطاليس الفيلسوف المسمى باليونانية اثولوجيا وهو القول على الربوبية تفسير فريفورس الصوري ....»
وهي في ٤٧ ورقة (٣٣ × ٢١ سنت) مكتوبة بسنة ١٣٣١ ورقمها (٩١٩٠)
وفي المكتبة نسخة أخرى منها رقمها (٤١٣٩) كتبت سنة ١٣٤٠ [١] .

١٥ : شرح المقالات الأربع في القضايا بين النجوم لبطليموس الحكيم

لأبي الحسن علي بن رضوان بن علي بن جعفر المصري الخيري المتوفى سنة ٤٦٠ هـ (= ١٠٦٧)

وهو في علم الفلك واحكام النجوم واوله « قال ابو الحسن علي بن رضوان ابن علي بن جعفر المطبب قصدنا ان نشرح اقاويل الحكيم بطليموس في صناعة القضاء بالنجوم على الحوادث ....»

والنسخة جيدة مكتوبة بقلم نسخي سنة ١٢٨٤ وعدد اوراقها ١٢٤ في (٢٩ × ١٦ سنت) ورقمها ٥٠٩٢ [٢]

١٦ : شرح جوامع ارسطو

لأبي الوليد محمد بن احمد بن حافظ بن رشد الأندلسي الفيلسوف الأشهر المولود سنة ٥٢٠ هـ (= ١١٢٦) والمتوفى ٥٩٥ هـ (= ١١٩٨) [٣]

نسخة حسنة اولها « — أما بعد حمد الله بجميع محامده والصلاة على المنبعث بالصدق والهدى فان قصدنا في هذا القول ان نعمد الى كتب ارسطو فنجرد منها الأقاويل العلمية التي يقتضي مذهبه اعني أوثقها ....» والكتاب مؤلف من ستة كتب (الاول) كتاب السماع الطبيعي وهو مشتمل على ثمانية مقالات اوله « لما كان العلم اليقيني والمعرفة التامة ... و (الثاني) كتاب السماء والعالم

(١) انظر بروكلمان ١ : ٣٠٣ والذيل ١ : ٣٦٥ (٢) انظر بروكلمان الذيل ١ : ٨٨٦
(٣) انظر أخباره في ابن ابي أصيبعة ٢ : ٧٥ وبروكلمن ١ : ٤٦١ والذيل ١ : ٨٣٣

واوله « غرضه في هذا الكتاب المترجم بكتاب السماء والعالم التكلم في الأجسام البسيطة الأولى و (الثالث) كتاب الكون والفساد واوله « وغرضه في هذا الكتاب التكلم في التغاير الثلاثة و (الرابع) كتاب الآثار العلوية واوله « ولما تم له هذا النظر شرع في هذا الكتاب ليفحص عن الأشياء التي توجد في الاسطقسات ... » و (الخامس) كتاب النفس وأوله « الغرض هيهنا ان نثبت من اقاويل المفسرين في علم النفس ما نرى انه اشد مطابقة .... » و (السادس) كتاب ما بعد الطبيعة واوله « قصدنا من هذا القول ان نلتقط الأقاويل العلمية ... »

والنسخة مكتوبة بقلم نستعليق جيد في (١٧٣) ورقة (٢٠ × ٨ سنت) ورقمها (٨٠) .

١٧ : التلويحات في المنطق والطبيعيات والالهيات

لأبي الفتوح يحيى بن حبش بن اميرك المشهور بشهاب الدين السهروردي المقتول في حلب أيام الملك الظاهر بن صلاح الدين سنة ٥٨٧ هـ (= ١١٩١) وله آثار في التصوف والحكمة اشهرها هذا الكتاب [1] .

والنسخة جد قيمة كتبت في ملاطيه سنة سبع وستمائة اي بعد وفاة الشيخ بعشرين سنة واولها « السبحات لجلالك يا قيوم ، اقض من عظائم بركاتك ، ويسر لنا العروج الى عروش قدسياتك » وآخرها « لا تبذلن العلم وأسراره الا لأهله واتق شر من أحسنت اليه من اللئام فلقد اصابني منهم شدائد واذكرنا في صالح دعائك وفقنا الله واياك ورحمنا وآوانا انه سيدنا ومولانا ولواهب العقل حمد غير متناه » .

وهي في (١٠٥) ورقة (١٤ × ٩ سنت) ورقمها (٦٩٣٣) . وفي المكتبة نسخة أخرى منه كتبت سنة ١٣٢١ ورقمها (٩١٩١) .

يتبع : (طهران) اسعد طلس

(١) انظر أخباره في ابن أبي أصيبعة ٢ : ١٦٧ وبروكلمان ١ : ٤٣٧ والذيل ١ : ٧٨١ وابن خلكان : ٧٨٦ وابن العماد في الشذرات ٤ : ٢٩٠ وياقوت في الارشاد ٧ : ٢٦٩ واليافعي في مرآة الجنان ٣ : ٤٨٧

آل بكتكين ـ مظفر الدين كوكبري

أو

امارة اربل في عهدهم

(٥٢٢ هـ ـ ٦٣٠ هـ)

— ٥ —

من ورد اربل من العلماء المشاهير

لا يحصى العلماء الذين وردوا اربل وان ابن المستوفي خص تاريخه بمن ورد اليها من أرباب المواهب وسماه (نباهة البلد الخامل بمن ورده من الأماثل . وانما نذكر من اشتهر بوروده اكثر وعرف بالوصول اليها ، والاتصال بعلمائها وأدبائها . ولو كان عندنا تاريخ ابن المستوفي لوقفنا على الكثيرين من هؤلاء النوابغ . والظاهر أنه استقصى أهل المعرفة والكمال .

وهنا نذكر بعض المعروفين فنقول :

١ — أبو الخطاب عمر بن دحية الكلبي ، وهذا بسطت ترجمته في مجلة المجمع الغراء [1] .

٢ — ابن الدهان . ذكره ابن خلكان وهو من أهل بغداد . عدّه ابن المستوفي في زمرة الواردين الى اربل . وهو مؤرخ . وله أوضاع في الجداول وغيرها من الفرائض وصنف غريب الحديث في ١٦ مجلداً لطافاً [2] .

٣ — البوازيجي الشاعر :

هو الشرف عبد الرحمن بن ابي الحسن بن عيسى بن علي بن يعرب البوازيجي الشاعر . كان قد وصل الى اربل في سنة ٦٢٨ هـ . وكان ابن المستوفي وزيراً .

(١) ج ١٩ ص ٢٢١ (٢) ابن خلكان ج ٢ ص ٣٥

فسيَّر له مثلوماً على يد الكمال بن الشعار الموصلي صاحب التاريخ . فقال له الصاحب يسلّم عليك ويقول لك اتفق الساعة هذا حتى يجهز لك شيئاً يصلح لك . فتوهم ذلك الشاعر ان يكون الكمال قد قرض القطعة من الدينار ، وان شرف الدين ما سيّره الا كاملاً وقصد استعلام الخال من جهة شرف الدين فكتب اليه :

يا أيها المولى الوزير ومن به   في الجود حقاً تضرب الأمثال
أرسلت بدر التمّ عند كماله   بهجاً فوافى العبد وهو هلال
ما ناله النقصان الا انه   بلغ الكمال كذلك الآمال

فأعجب شرف الدين بهذا المعنى وحسن الاتفاق وأجاز الشاعر وأحسن اليه [1] .

٤ — ياقوت الرومي :

هو صاحب معجم البلدان ، وردت في مادة (اربل) مشاهداته للبلد ، وذكر ابن المستوفي وأثنى عليه ، ورجحه على غيره بل عدّه الوحيد في كل فضله ... ولعله لم يجعل للآخرين قيمة لأنه لم يعتبرهم في عياره من الفضل والمكانة العلمية والأدبية . والا فقد جاء البوازيجي الى اربل فكان فيها ابن المستوفي ، والكمال ابن الشعار ...

٥ — القرضي البغدادي :

محمد بن محمد بن ابي حنيفة القرضي البغدادي ، أستاذ ابن المستوفي ، أقام باربل مدة . مات بالقاهرة سنة ٦٠٢ هـ [2] .

٦ — الكمال ابن الشعار :

هو الكمال ابن الشعار من الأدباء الأفاضل ، والمؤرخين المعروفين . كان في خدمة ابن المستوفي . ورد ذكره هناك في ترجمته [3] . وهو صاحب عقود الجمان في شعراء الزمان في عشر مجلدات كبار رأيت منها ثماني مجلدات باستانبول .

(١) ابن خلكان ج ١ ص ٦٣٣ (٢) الوافي بالوفيات ج ١ ص ١٢١ نسخة خطية .
(٣) ابن خلكان ج ١ ص ٦٣٢

ويعدّ من الواردين اربل ، والمقيمين بها ، ويترجم كثيرين من الاربليين وليس في الوسع الآن النقل منه . كان ينقل من تاريخ ابن المستوفي . وربما نقل جميع ما هنالك من أهل الأدب وزاد . ورد ذكره في ابن خلكان في ترجمة ابن المستوفي . وبيّن انه من أصحابه ، وذكر كتابه عقود الجمان ونقل منه بعض الأشعار[1] .

ويعدّ من رجال اربل ، أو مؤرخيهم للصلة المشهورة . ولم يتعين لنا تاريخ وروده ، ومقدار خدمته في اربل . وكل ما علمناه انه توفي سنة ٦٥٤ هـ ، وذكر في ترجمة البوازيجي .

٦ – نوشروان البغدادي :

ويعرف بـ (شيطان العراق) . كان ضريراً اشتهر شعره فيها سالكاً طريق الهزل . راكباً سنن الفكاهة ، مورداً ألفاظ البغداديين والاكراد ، ثم أقلع عن ذلك ورجع عنه ، ومدح اربل .

قال ياقوت في معجم البلدان :

« وانا أورد مختار كلمته هاهنا قصداً لترويح الأرواح ، والاحماض بنوع ظريف من المزاح ... » اهـ[2]

وأورد مختارات ما جاء في القصيدتين . وكلتنا في ذلك تدل على أمر آخر وهو أن الأقوام كانت مختلطة فيها ، واللغات متداخلة فصح ماقال ، وعدوله لا يغير الموضوع إلا ان العلم والأدب غيّر الوجهة ، فبرز أكابر في العلم والأدب . وذكر من رجال المدينة (الرئيس مجد الدين داود بن محمد) واعتذر له من هجائه لاربل ...

٧ — ابو المعالي اسعد بن علي الحظيري :

عمل لمجاهد الدين ابي منصور قايماز أيام نيابته باربل (كتاب الاعجاز في حلّ الأحاجي والألغاز) ، حمله اليه وكتبه برسمه ، وأقام عنده مدة ، فاشتاق الى أهله بالحظيرة فقال :

---

(١) كذا : ابن خلكان ج ٢ ص ٥٠٢ (٢) معجم البلدان ج ١ ص ٢٧٤ طبعة مصر

الا من لصب قليل العزاء غريب يحن الى المنزل
ينادي باربل أحبابه وانى الحظيرة من اربل [1]

الحالة الاجتماعية في اربل

تعين وضع اربل الجغرافي في مختلف العصور كتب البلدان ، وكتب التاريخ ، وقد جاءت بيانات مهمة موضحة عنها ، مرّ بعض النقل عن معجم البلدان ، وتصادف أيامه آخر أيام مظفر الدين كوكبري . أما ما قبل ذلك فمن أهم ما جاء عنها عن ابن سعيد انها مدينة محدثة ، وهي قاعدة بلاد شهرزور . وقال في المشترك : مدينة بين الزابين ومنها الى الموصل يومان خفيفان . قال في تقويم البلدان وعن بعض أهلها اربل مدينة كبيرة وقد خرب غالبها ... ولم يزد سباهي زاده على ما نقل . وما ذكره ابو الفداء كان بعد انقراض امارتها بنحو مائة سنة .

ولا يهمنا نقل النصوص الخاصة بالبلدة ، وانما العبرة باللواء ، وما يمد هذه الامارة ، فاربل مصغرة العراق تحوي المنطقة بين الزابين ويقال لها « صوران » ، ووردت في بعض الآثار « صهران » ، وفيها الجبال المنبتة ، والأراضي الزراعية ، يحيط بها الزابان الأعلى والأدنى ودجلة والجبال ، وتعتبر كالسور لها ، بل سداً منيفاً ، وحارساً مكيناً ، وقراها لا تحصى كثرة .

ولا يكفي أن نقول انها كاملة في مناعتها ، فالقوة الفائقة لا تقاوم ، ولكنها تدافع لأمد ، حتى لقد تمكنت أن تقف في وجه كثيرين . وقد سهل ذلك قلة مياهها ، وبعد الزابات عنها ، فتعد حصناً طبيعياً آخر اذا طال حصارها يضاف الى ذلك ما فيها من سور وقلعة .

جعلها الوضع الجغرافي في وسط اللواء لأسباب اقتصادية ، فهي جامعة الخيرات ، وان وجودها في المكان الذي هي فيه يسهل الحصول على منتوجاتها ، والقرب من مرافقها ، سهلها عظيم في زراعته ، تزرع جميع مواطنها حتى وهادها ، ففي

---

(١) ابن خلكان ج ١ ص ٦٠٨

أوقات الزرع لا يشاهد سوى الأراضي المزروعة ، مياههـا متدفقة ، وأمطارها غزيرة ، ونعمها وافرة . تأتيها الأثمار والفواكه من الجبال المجاورة . جمعت ما لم يجمع في غيرها وقامت بادارة امارة مدة في خلالها بذل العلم لكل طالب ، حتى صارت تضارع المدن الكبيرة في ثروتها وفي رجالها وفي حسن ادارتها . وجندها من خير الجنود قوة وشجاعة ، أعجزت الفاتحين الكثيرين ، وقهرت العتاة الجبارين

أهلها ذوو طاعة واذعان ، لا يتخلفون عن أمر ، ولم يعصوا في حياتهم لما كانت بينهم وبين الامارة من الفة ، وهم أصحاب اخلاق عالية فلم يروا ارهاقاً أو اجحافاً أيضاً ، استخدمت الامارة رؤساء العشائر الذين ضبطوا الادارة ، فلم يروا ما يعبث بالعزة والكرامة ، ولم يجد الأفراد الا رأفة وعدلاً . فكان التفاهم والعدل ورعاية الرؤساء على أتم حال . ومن ملك جيشاً كهؤلاء أمن الغوائل ، ومن تمكن من حسن الادارة اكتسب الخير والنفع والعميم . أو ملك بهم ما ملكه الأتابكة .

ويعزى سبب الخلل في الادارة الى ضعف هذه القوة وعدم المبالاة في سيرها بالحق ، ودعا التحكم ان تنفصل عن الأتابكة ، وان يقوى سلطان الدولة الأيوبية بالاتفاق معهم والاتصال بهم ، والتعويل عليهم في تهديد الأتابكة ، فاستخدموا للصالح العام بل لولا هذه الامارة لما أذعنت الأتابكة لآل أيوب .

ويفسر ظهور هذه الامارة (امارة آل بكتكين) بحسن ادارة هذه البلدة وما يتصل بها من عشائر وقرى والقبض على قيادها حتى أذعنت بالطاعة ، وانما كانت قد دبرت مواهبهم الحالة التي كان عليها الأمراء ، وأحسنت الادارة ، فلم يداخلها سوء ، ولم تعرف بمكروه ، بل اشتهرت بالسمعة المقبولة ، وعرفت بالأخلاق الفاضلة . ولذا خذلت الامارات قبلها وبعدها . واذا كانت البلدة قديمة ، فانها لم تبلغ من الشهرة ما بلغتها أيام هذه الامارة ، فلم تشبه من سبقها .

وحالة اربل بعد انقراض هذه الامارة تعين مكانتها في تلك الأيام ، فالعمل لا ينفك عن المدينة أو اللواء .

وعدها صاحب صبح الأعشى قاعدة بلاد شهرزور ولا شك ان السياسة الرشيدة والادارة القوية من أعظم العناصر الفعالة التي اكسبتها شهرة سابقاً وخملت في هذه الأيام بل أصابتها الضربة القاسية في أيام المغول ، فدمرت غالبها ، ولم يحدث فيها تجدد من تاريخ انقراض آل بكتكين .

لم يتبدل وضعها كثيراً ، يؤيد ذلك الحال المشاهد منها ، فقد تطورت بها الحالات ، ولا تزال على ما حكاه الجغرافيون في مختلف الأزمان .

وما كانت عظمة المدينة في شاهق قصورها أو أبنيتها الضخمة ، فهذه ظواهر ، وانما تتجلى العظمة في بقعتها الصالحة ، والأنهر الوافرة ، والحالة الزراعية الملائمة ، والجبال الشاهقة ، والأراضي المنبتة وهكذا ففي هذه حياة المدينة ، وعليها قامت اربل .

كانت شهرزور في أيام آل بكتكين من مضافاتها ، وكذا كرخينا (كركوك) .

قال ياقوت : وهي قلعة حصينة ، ومدينة كبيرة ، في فضاء من الأرض واسع بسيط ، ولقلعتها خندق ، وهي في طرف من المدينة ، وسور المدينة ينقطع في نصفها وهي على تل عال من التراب عظيم واسع الرأس . وفي هذه القلعة أسواق ومنازل للرعية وجامع للصلاة . وهي شبيهة بقلعة حلب إلا انها اكبر وأوسع رقعة . وهي بين الزابين . تعد من أعمال الموصل ، وبينهما مسيرة يومين .

ولا تزال على وضعها هذا الا أنها لم تكن في ايام ياقوت من أعمال الموصل . وانما تابع الجغرافيين قبله . والا فانها انقطعت من الأتابكة .

* * *

ربض القلعة

وهذه اكتسبت سعة أيام مظفر الدين كوكبري ، ونالها ما نالها من عمار قال ياقوت : « وفي ربض هذه القلعة في عصرنا هذا مدينة كبيرة عريضة طويلة ، قام بعمارتها ، وبناء سورها ، وعمارة أسواقها ، وقيسارياتها الأمير مظفر الدين

كوكبري بن زين الدين كوجك علي ، فأقام بها ، وقامت بمقامه بها لها سوق ، وصار له هيبة ، وقاوم الملوك ونابذهم بشهامته وكثرة تجربته حتى هابوه ، فانحفظ بذلك أطرافه ، وقصدها الغرباء ، وقطنها كثير منهم حتى صارت مصراً كبيراً من الأمصار ، وطباع هذا الامير مختلفة متضادة ، فانه كثير الظلم ، عسوف بالرعية ، راغب في أخذ الأموال من غير وجهها . وهو مع ذلك مفضل على الفقراء ، كثير الصدقات على الغرباء ، يسيّر الأموال الجمة الوافرة يستفك بها الأسارى من أيدي الكفار ... ومع سعة هذه المدينة فبنيانها وطباعها بالقرى أشبه منها بالمدن . واكثر أهلها أكراد قد استعربوا ، وجميع رساتيقها وفلاحيها وما ينضاف اليها أكراد . وينضم الى ولايتها عدة قلاع . وبينها وبين بغداد مسيرة سبعة أيام للقوافل . وليس حولها بستان ، ولا فيها نهر جار على وجه الأرض . واكثر زروعها على القني المستنبطة تحت الأرض . وشربهم من آبارهم العذبة الطيبة المريئة التي لا فرق بين مائها وماء دجلة في العذوبة والخفة . وفواكهها تجلب من جبال تجاورها » اهـ [1] .

مشاهدات صاحب معجم البلدان هذه قيمة ومهمة جداً في بيان وصفها ، الا ان قوله لم يجد فيها من أهل الفضل سوى ابن المستوفي يدلّ على ضعف في التحقيق . وان ياقوت لم يبصر دقائق الأمور أو ما يحتاج الى خبرة واناة في ادارة أميرها ، فبعد أن نسب اليه أعمالاً جليلة لم يلتفت الى أنه لا يشبه غيره ، وان ما ألصق به من ظلم لعله كان قد نقله من اعداء كوكبري ... والظاهر أنهم التجار وأرباب الأموال ، فيعدون القيام بأمثال هذه مما يضرّ بهم ، فحاولوا التشنيع عليه ، وانه ثقل عليهم . والرجل دوّن ما سمع ، واعتقد بصحة ما قيل .

ومن المهمّ قوله اكثر أهلها اكراد استعربوا . فهذا كان بسبب الثقافة العربية الاسلامية بلا ريب ، وكان من أهمّ ما تعرّض له ياقوت اللغة المختلطة ،

(١) معجم البلدان ج ١ ص ١٧٣

وما أدت اليه ، وهي اللغة العامية الجارية بين الأهلين والقصائد المنقولة عن (شيطان العراق) تدل على ما قامت به المدارس من خدمة .

ومثلها ما هو شائع في هذه الأيام ، يعد كتمييز بين الكرد والعرب ولا غرض فيه الا تصوير الحالة ، وبيان درجة الاختلاط في اللغة . ومن الصواب الا نلتفت الى جهة التميز بل إلى ازالة النقص ببث روح العلم . وما كتبه ياقوت عن اربل الجديدة (ربض القلعة) كان عن أيامها الأخيرة ، ونسب العمل الى مظفر الدين كوكبري . فعدها مدينة محدثة باعتبار ما بنى بصورة موسعة جداً وإلا فهي موجودة قبل ذلك بمدة . فكأنها مدينة محدثة ، وان الأصل قد أهمل أو لم يبق منه ما يعد قديماً . وبعد وفاة كوكبري أصابتها ضربات عظيمة ، وحدثت فيها وقائع فلت من غربها ، وكادت تندثر لولا ان الحالة تقتضي التوسع دائماً فيعمر ما خرب ويعاد ما درس عند عودة النظام واستقرار الحالة .

مر بنا ذكر بعض الحوادث الى انتهاء الدولة العباسية . أما ما جرى بعد ذلك وفي العهد العثماني فقد تقلبت بها الأحوال فصارت تابعة للسليمانية مرة ، ولشهرزور اخرى او لكركوك وهكذا عدت أحياناً من مضافات الموصل مما زاد أو نقص في نطاق نفوذها حسب ما كانت تقتضيه السياسة وادارة المملكة .

وفي مواطن عديدة من هذا اللواء يسكن بعض القبائل العربية ، وفي اربل والتون كوبري (القنطرة) يسكن بعض الترك ، وفي بعض القرى ايضاً . وغالب أسماء بعض المواطن تركية والظاهر ان الزيادة جاءتهم أيام المغول من أذربيجان والاتصال قريب . ومن قبائلها التركية المعروفة (صارم لو) . وقرى عديدة .

ومن عشائر الكرد المعروفة :

١ — خوشناو .

٢ — ديزه يى .

٣ — گردي ·
٤ — بلباس ·
٥ — بيشدر ·
٦ — آكو ·
٧ — بالكي ·
٨ — سيان ·
٩ — زراري ·
١٠ — بالك ·
١١ — ساله يي ·

هذا · وقد تكلمنا في (كتاب عشائر الكرد) في العراق بصورة موسعة ، ومن بين هذه القبائل ما يطول القول فيه · فاكتفي بالإشارة ·

خاتمة القول

وهنا ننهي كلامنا بأن هذه الامارة من أقطاع أتابكة الموصل سنة ٥٢٣ هـ ، فرأت منهم جفاء ، فمالت الى آل أيوب سنة ٥٨٠ هـ ، ودامت على ولاء هؤلاء حتى سنة ٦٢٧ هـ ، وفي أول المحرم سنة ٦٢٨ هـ انقادت للخلافة العباسية حتى انقرضت سنة ٦٣٠ هـ ، فكانت في سياستها الخارجية ، وادارتها الداخلية وحمايتها للثقافة ، وقيامها بأعمال البر قدوة · انجبت جملة صالحة من جملة العلم وأرباب القلم ، فخلدت أجل الذكريات ، والوثائق التاريخية في مطالبها كثيرة لا محل لاستقصائها وكل ما ظهرت النصوص اكثر تجلت عظمتها · والأمل أن تتكامل المطالب ·

(بغداد) عباس العزاوي

مدارس دمشق وحماماتها

دخل حديثاً في حوزة دار الكتب الظاهرية مجموع خطي يحوي ثلاث رسائل عن مدينة دمشق وهو في ستين ومئة ورقة . في كل صفحة ثلاثة عشر سطراً بخط واضح جلي . أبعاد الصفحة (٢٠ × ١٥) احيطت كتابة كل الصفحات من جميع أطرافها بخطين احمرين على هيئة اطار بأبعاد (١٠ × ١٦,٥) وذلك عدا الصفحتين من مفتتح الرسالة الأولى والثانية فقد جدول حول اسطر صحائفها بثلاث خطوط دقيقة سوداء عليها خط عريض من الذهب .

هذا المجموع خلو من تاريخ يدل على زمن كتابته ، وورقه من الورق المستعمل بعد القرن العاشر الهجري وكتابته تشبه خطوط الموصل .

فالرسالة الأولى : تبتدئ من الورقة الأولى وتنتهي في الورقة الحادية والسبعين . وقد جاء في أولها : « وبعد فاني قد اتيت في هذه الأوراق بذكر تاريخ بناء مدينة دمشق ومعرفة من بناها ، وطرف من أخبارها مما اخذته من تاريخ مدينة دمشق للشيخ الامام الحافظ ابي القاسم علي بن هبة الله بن عساكر الدمشقي رضي الله عنه حسب ما توخيته من الاختصار ، وحذف الأسانيد من الأخبار المتعلقة بها ، وتلخيص المعنى من اللفظ الذي أورده المصنف » .

على ان المؤلف في آخرها نقل عن الذهبي والنووي وابن الأثير .

وجاء في آخر هذه الرسالة ما يلي : هذا ما وجد بخط الامام شيخ الاسلام تقي الدين ابن قاضي شهبة الشافعي تغمده الله برحمته والحمد لله وحده .

ومن هذا يظهر موضوع الرسالة الأولى واسم مؤلفها . وقيمة هذه الرسالة في الرجوع الى نصوصها لمقابلتها بما ورد منها في الجزء الأول من تاريخ ابن عساكر المطبوع والمخطوط بالظاهرية بدمشق لكثرة التصحيف فيهما .

مؤلف هذه الرسالة : هو تقي الدين ابو بكر بن احمد بن محمد بن عبد الوهاب الاسدي الشهبي الدمشقي · فقيه ومؤرخ ، له تاريخ كبير ابتدأ فيه من سنة مئتين الى سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة ، وله تاريخ آخر جعله ذيلاً على تواريخ : الذهبي ، والبرزالي ، وابن رافع ، وابن كثير ، ابتدأه من سنة احدى واربعين وسبعمائة وانتهى به في سنة نيف وعشرين وثمانمائة · وهو في ثمان مجلدات · اختصره في مجلدين ، ثم اختصره في مجلد واحد وكتب حوادث زمانه الى يوم وفاته — اكثر من النقل عنه النعيمي في تنبيه الطالب تارة بقوله : قال ابن قاضي شهبة ، وأخرى بقوله : قال الأسدي · فهما لقبان لشخص واحد — ومن مؤلفاته طبقات الشافعية ، وأخرى للحنفية ، والمنتقى من نخبة الدهر في عجائب البر والبحر والمنتقى من تاريخ ابن عساكر — ولعله هذه الرسالة ، او ان له انتقاء آخر منه — والمنتقى من تاريخ الاسكندرية للنويري ، والمنتقى من الأنساب للسمعاني توفي سنة (٨٥١)[1] ·

* * *

الرسالة الثانية : تبتدئ من الورقة (٧٣) وتنتهي في نصف الوجه الأول ، من الورقة (١٤٥) ويفصل بينها وبين الرسالة الأولى ورقة بيضاء · وقد جاء في أول صفحة منها :

« كتاب فيه جزء من فضائل الشام ودمشق[2] * وذكر ما فيها من الأمارات والبقاع الشريفة تأليف * ابي الحسن علي بن محمد بن شجاع الربعي المالكي رواية ابي الحسن * علي بن احمد بن زهير التميمي المالكي رواية ابي الفضائل * ناصر بن محمود القرشي رواية سديد الدين ابي محمد * هبة الله بن الخضر بن طاوس عنه سماع * عبد الله بن عبد الغني المقدسي * وابنه ابي محمد الحسن بن عبد الله بن * عبد الغني رحمة الله تعالى * عليهم اجمعين * بمحمد * وآله * آمين ·

(١) الضوء اللامع ، وشذرات الذهب ·

(٢) جاءت في الأصل على شكل مثلث ولذلك جعلنا النجمة علامة لكل سطر منه ·

وفي الورقة الثانية منها : حدثنا الشيخ ابو الحسن علي بن محمد بن شجاع الربعي المالكي بدمشق حرسها الله في المسجد الجامع سنة خمس وثلاثين واربع مئة .

وقيمة هذا الكتاب غير قليلة باعتباره مصدراً من مصادر تاريخ ابن عساكر رغم انه يحتوي كالرسالة الأولى على قسم كبير من الأحاديث المنحولة .

مؤلف هذه الرسالة : ترجمه ابن عساكر في ج (١٢) ورقة (٢٥٧) وجه (٢) من تاريخه مخطوطة الظاهرية وقال عنه : علي بن محمد بن صافي بن شجاع ابن محمد بن هارون ابو الحسن الربعي المعروف بابن ابي الهول . ونقل انه كان يزوّر سماعات يلصقها على الكتب لأجل ان يحدث بها فهو كذاب أو كأنه ، توفي سنة (٤٤٤) او (٤٤٣) .

* * *

الرسالة الثالثة : تبتدئ من نصف الوجه الأول من الورقة (١٤٥) وتنتهي في آخر الوجه الأول من الورقة (١٦٠) وقد جاء في أول صفحة منها :

جزء يشتمل من محاسن دمشق على عدد * مدارسها وربطها ودور الحديث * النبوي بها وعدد جوامعها ودور * القرآن وعدد حماماتها جمعه * لنفسه الحسن بن احمد بن زفر الاربلي * الشافعي المتطبب عفا الله عنه .

وهذه الرسالة هي خير ما في هذا المجموع ، فقد تضمنت تدنيناً جميلاً لمدارس دمشق ، صنفت فيها الى ستة فصول :

« **فصل اول** » في عدد مدارس دمشق ، وحصرها المؤلف في احدى وتسعين مدرسة . ثم قسمها الى : مدارس الشافعية ، مدارس الحنفية ، مدارس الحنابلة ، مدارس المالكية ، مدارس الطب .

« **فصل ثان** » في دور الحديث النبوي .

« **فصل ثالث** » في دور القرآن .

« **فصل رابع** » في عدد الخوانك ، وضمنه بحثاً عن الربط ، وعرف الربط بانها الخوانك التي تختص بالنساء .

« **فصل خامس** » في عدد جوامع دمشق وحواضرها وما اتصل بحواضرها .

« **فصل سادس** » في عدد حمامات دمشق ، ما هو من داخلها ، وفي حواضرها ، ومتصل بحواضرها .

وكل هـذه التصنيفات مقسمة الى قسمين : ما هو داخل سور دمشق ، وما هو خارج عنها .

واول من صنف في الكلام على مدارس دمشق فيما نعلم هو عز الدين ابن شداد فقد ضمن كتابه « الاعلاق الخطيرة » فصلاً قيماً عن مدارس دمشق وتصنيف انواعها كان أساساً ودستوراً لمن ألف في هذا الموضوع من بعده ، كما ضمنه أيضاً فصلاً لمساجدها ، وآخر لحماماتها وزياراتها وغير ذلك من مصانعها وأبنيتهـا ، وقد فعل مثل ذلك ببقية المدن الشامية كحمص وحماة وحلب وبعض بلدان الجزيرة الفراتية .

على ان اشهر كتاب في هذا الموضوع هو « تنبيه الطالب » للنعيمي فقد تداولته أيدي الناس واختصر عدة اختصارات تداولتها الأيدي أيضاً . وقد جعل دستوره في هذا الموضوع ما كتبه ابن شداد في الأعلاق الخطيرة فزاد عليها تراجم المنشئين لها والمدرسين فيها واستدرك على ابن شداد من المدارس ما بني بعد عصره .

ورسالتنا هذه التي صنفها الاربلي المتوفى سنة (٧٢٦) هي حلقة وسطى بين ما كتبه ابن شداد المتوفى سنة (٦٨٤) وما كتبه النعيمي المتوفى سنة (٩٢٧) فهي ترشدنا الى ان فكرة التأليف في مدارس دمشق كانت موطدة الأركان

قبل النعيمي صاحب تنبيه الطالب ، وقبل احمد بن حجي[1] صاحب كتاب « الدارس من أخبار المدارس » . كما انها ترشدنا الى ان هذه المصانع لم تكن مهملة الشأن بل كانت مسجلة في سجلات رسمية كما نقل الاربلي ص (٢٤٥) احصاء الخوانك والربط من جريدة الشيخ عبد الله غلام شيخ الشيوخ صدر الدين ابن حمويه .

ومشيخة الشيوخ : وظيفة موضوعها التحدث على جميع الخوانك والفقراء التي تكون في بلدة شيخ الشيوخ والعادة في دمشق ان يتولاها من يكون شيخ الخانقاه السميساطية[2] . ولا شك بأنه كان لدى صاحب هذه الوظيفة سجلات وجرائد تحوي اسماءها واسماء النازلين بها ومبلغ المال المنفق على كل خانكاه كل يوم وما الى ذلك .

وبمقابل ذلك فقد يجب ان يكون للمدارس على اختلاف انواعها سجلات عند قاضي القضاة وناظر الأوقاف وشادها . ومن الجائز ان يكون الاربلي مؤلف هذه الرسالة لجأ الى هذه السجلات في المدارس كما لجأ اليها في الخوانك والربط .

ونزيد في قيمة هذه الرسالة الاعتبارات التي اعتبرها المؤلف فالعيمي والعلموي ، يعتبران المدرسة العمرية مثلاً في مدارس الفقه الحنبلي ، ولكن الاربلي يعتبرها مثلها ص (٢٤٣) ويعتبرها أيضاً دار قرآن ص (٢٤٥) . ويؤيد ما ذهب اليه الاربلي شهادة ابن بطوطة فهو يقول في رحلته عن الصالحية : وبها مدرسة تعرف بمدرسة ابي عمر ، موقوفة على من اراد ان يتعلم القرآن الكريم من الشيوخ والكهول ، وتجري لهم ولمن يعلمهم كفايتهم من المآكل والملابس[3] .

وقد يكرر الاربلي ذكر المدرسة مرتين كالعزية البرانية ، ذكرها مرة مع المدارس الحنفية ومرة ثانية في دور الحديث . وهو في ذلك يرشد الى ان هذه المدرسة كان لها فرعان : فرع للفقه الحنفي ، وفرع للحديث .

(١) توفي سنة (٨١٦) راجع ترجمته في الضوء اللامع ، وشذرات الذهب .

(٢) راجع صبح الأعشى ٤/١٩٣   (٣) مهذب رحلة ابن بطوطة ١/٨٠

وقد يسمي المدرسة باسم يختلف عن تسمية النعيمي كالمدرسة الكردية ص (٢٤٣) التي سماها النعيمي المجاهدية نسبة الى مجاهد الدين بزان بن مامين الكردي .

كما انه يثبت مدارس لم يمر علينا اسمها كمدرسة ابن سنى الدولة ص (٢٤٢) الى غير ذلك من الفوائد الدقيقة التي توجد فيها .

ولا أعرف أحداً نقل عن هذه الرسالة الا ابن عبد الهادي في كتابه «عدة الملمات في تعداد الحمامات» فقد نقل عنها ولقب مؤلفها بأبي علي الاربلي .

وان ماتقدم من ميزاتها حدا بي الى نشرها ، فجعلت لجميع ماأحصاه أرقاماً ليتضح احصاؤها على الصحة لأن بعض ما أثبته المؤلف من الأسماء يختلف عما أحصاه عدداً ، وعلقت على الحمامات بما اطلعت عليه من النصوص المتعلقة بها ، وتركت التعليق على المدارس والخوانق والجوامع - الا مالا بد منه - لوجود المصادر التي توسعت في الكلام عليها كتنبيه الطالب للنعيمي المخطوط ، وكخطط الشام ، ومختصر تنبيه الطالب للعلموي المطبوعين . وقد تصرفت تصرفاً قليلاً في بعض الكلمات فأثبتها في النص بما رأيته صواباً ونبهت في التعليقات على نص الأصل .

وهناك أشياء أخر اكتفي بالتنبيه اليها هنا وهي الأعداد فانها في الأصل غير مطابقة للقواعد العربية مثل :

ثلاثة مدارس ، وخمسة وثلاثون مدرسة

وعشرة « ، وثلاثة وأربعون « ، وأمثالها

فمشينا مع القاعدة فأثبتناها ثلاث مدارس وخمس وعشر مدارس خلافاً للأصل .

* * *

مؤلف هذه الرسالة : لم يحوجنا كثيراً الى التنقيب عنه . فهو قد عرض علينا شخصيته في أول رسالته ، فقال : يقول الحسن بن احمد بن زفر الاربلي الشافعي المتطبب اني حين وردت دمشق المحروسة وطال مقامي بها شاهدت بلداً

كثير المحاسن الخ . فأفادنا اسمه واسم أبيه وبلدته ومذهبه وصناعته ، وعرفنا العصر الذي عاش فيه فقال عن دار الحديث السكرية : وهي سكن الشيخ تقي الدين ابن تيمية ، اعاد الله علينا من بركاته ، وعن الرباط القلانسي : تم بناؤه والفراغ منه في آخر سنة عشرين وسبعمائة ، وعن جامع الصاحب بالقماطلة : انه تم بناؤه سنة ثمان عشرة وسبعمائة ، وعن جامع تنكز : أن بناءه تم في مثل هذا التاريخ ، وعن جامع كريم الدين : تم بناؤه سنة احدى وعشرين وسبعمائة ، وعن حمام درب الحجر : جدد سنة احدى وعشرين وسبعمائه ، وعن حمام تنكز : مثل هذا التاريخ ، وعن حمام انشأه الأمير ايلجي بغا سنة عشرين وسبعمائه ، وعن حمام الامير ابن صبح : تم سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة وهذا يدلنا على العصر الذي كان فيه لأنه لم يؤرخ لشيء من المدارس والجوامع والحمامات على كثرة ماعدّده الا ما كان معاصراً لزمنه . كما يدل انه شاهد في دمشق نهضة عمرانية أثرت في نفسه .

نشأته : لا نعلم عن نشأته الا ما حدث الحافظ الذهبي انه سمعه يقول : خلف لي ابي مالاً فانفقته في الشهوات حتى أتلفته ، فنبشت ورقة فوجدتها وثيقة على فلاح بغرارة شعير ، فأخذت له هدية بشيء يسير وتوجهت فأعطيتها لامرأته ، فقالت لي هو في الحرث ، فتمشيت اليه فكلمته ، واذا في رأس السكة في الحراث شيء مدور وقع ، فأخذته فأجدها برنية [1] صغيرة ثقيلة ملفوفة ، فقلت له انا اسبقك الى البيت ، ثم ابعدت ففتحتها فاذا فيها سبعون ديناراً ، فبت عنده وحاللته وسرت الى المدينة ومشى الحال بعد ذلك [2]

ويقول ابن العماد : انه سافر وتغرب ودخل الى بلاد العجم واشتغل بالطب [3] .

(١) اناء من خزف . قاموس (٢) الدرر الكامنة (٢ : ١١)

(٣) شذرات الذهب (٦ : ٧٢)

الاربلي في دمشق : يظهر مما جاء في مقدمة رسالته من قوله : اني حين وردت دمشق المحروسة ، وطال مقامي بها ، شاهدت بلداً كثير المحاسن ، كامل الأوصاف ، قريباً من الاعتدال الخ انه أقام في دمشق مدة طويلة وأنه أحبها وألف هذه الرسالة شاهداً على شدة حبه لها ، وقال عن جامع الصاحب بالقماطلة انه تم بناؤه سنة (٧١٨) ، واذ ثبت ان المؤلف توفي في دمشق سنة (٧٢٦) نجزم انه اقام في دمشق مدة لا تقل عن ثمان سنين كان فيها مشتغلاً بالعلم يستفيد ويفيد ، فالذهبي يقول عنه ، سمع معنا الكثير وحصل أثبات سماعاته ، وألف كتباً وتاريخاً وسيرة نبوية [1] ، ولكن كيف كانت حياته في دمشق ؟

إن ما يفيده كلام المؤرخين أنه كان يعيش عيشة زهد وتقشف يسكن منزلاً من منازل الصوفية هو دويرة حمد [2] . وهي خانكاه من خوانكهم ذكرها المؤلف في هذه الرسالة ص (٢٤٦) ويذكر الدكتور احمد عيسى انه كان مقيماً بدويرة حمد صوفياً بها وهو مرتب في مدرسة الطب وأذن له في المعالجة فلم يفعل [3] ومن هذا يظهر زهده وقناعته ، فهو قانع بمرتب طالب يتقاضاه من ناحيتين

---

(١) الدرر الكامنة (٢ : ١١) .

(٢) البداية والنهاية ١٤ : ١٢٥ الدرر الكامنة ٢ : ١١ شذرات الذهب ٦ : ١٢ معجم الاطباء ١٦٠ ويذكر النعيمي ان هذه الخانكاه كانت في درب السلسلة بباب البريد ، واذا كان درب السلسلة هو الدرب الذي يؤدي الى قبر السلطان صلاح الدين الأيوبي حيث يوجد في آخر هذا الدرب حمام لا يزال يدعى بحمام السلسلة نرجح لدينا أن يكون محل هذه الدويرة في الطريق الآخذ الى المدرسة العادلية والظاهرية من جهة باب البريد . وتعد هذه الدويرة أقدم مدارس دمشق وخوانكها فمنشئها توفي سنة ٤٠١ هـ فتكون أقدم من السميساطية المتوفى منشئها سنة ٤٥٣ هـ ومن الصادرية المنشأة سنة ٤٩١ هـ . وقد ترجم النعيمي لعدة علماء ممن تولوا مشيختها أو نزلوا فيها ومن جملتهم مؤلف هذه الرسالة الحسن الاربلي نقل ترجمته عن ابن كثير .

(٣) معجم الأطباء ص ١٦٠ نقل ذلك عن ابن كثير وشذرات الذهب وليست هذه العبارة موجودة في النسخ المطبوعة منها ولا في تتمة الطالب الذي نقل نص ابن كثير ولعل الدكتور نقل هذا النص من نسخة خطية من تاريخ ابن كثير فيها هذه الزيادة .

من دويرة حمد صوفياً ، ومن مدرسة طب طالباً ، وانه لم يتعاط هذه المهنة مع ما كانت تدر من المال الجزيل ورغماً عن زهده هذا وعن ثناء العلماء عليه وتوثيقه فانه لم يسلم من لسان الذهبي الذي كان حانقاً على الفلسفة والفلاسفة فيعد ان يقول عنه : سمع معنا الكثير وكان صادقاً ــ يقول ــ ولكن كان مظلما في دينه ونحلته متفلسفاً ، وغالب تاريخه تراجم شعراء ومعها تراجم غريبة تدل على فضله [1] .

ومن شعره [2] :

واذا المسافر آب مثلي [3] مفلساً صفر اليدين من الذي رجاه
وخلا عن الشيء الذي يهديه لـ لاخوان عند لقائهم اياه
لم يفرحوا بقدومه وتثقلوا بوروده وتكرهوا لقياه
واذا أتاهم قادماً بهدية كان السرور بقدر ما أهداه

توفي المترجم بالمارستان الصغير [4] سنة (٧٢٦) ودفن بباب الصغير عن ثلاث وستين [5] سنة .

١٣ جمادى الأولى سنة ١٣٦٦ محمد أحمد دهمان
٣ نيسان » ١٩٤٧

وهذا مطلع الرسالة :

(١) الدرر الكامنة (٢) شذرات الذهب (٣) أورده الدكتور أحمد عيسى هكذا :
واذا المسافر آب مقلي مفلسا
(٤) ويسمى المارستان الدقاقي وهو كان قبلي بيوت الطهارة التي على باب الجامع الاموي الغربي .
(٥) هكذا في تاريخ ابن كثير المطبوع وتتمة الطالب نقلاً عن ابن كثير أيضاً . وفي معجم الأطباء نقلاً عن ابن كثير : عن ثلاث وسبعين ، وهو مخالف لما في تاريخ ابن كثير .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، وخاتم النبيين ، محمد وآله الطاهرين ، وصحبه المنتخبين .

يقول الحسن بن احمد بن زفر الاربلي الشافعي المتطبب : اني حين وردت دمشق المحروسة ، وطال مقامي بها ، شاهدت بلداً كثير المحاسن ، كامل الأوصاف ، قريباً من الاعتدال ، يجد الانسان كل ما يحتاج اليه في انتظام مصالحه ، لسهولة موجوده ثم رأيت لدمشق خصائص كثيرة : منها حسن تقسيم المياه حتى يدخل بنفسه الى دورهم وحماماتهم وسقاياتهم ، ومنها دوام سائر الفواكه الطيبة ، واستمرارها طول السنة ، وكذلك مشموما ومحمضاتها كالنارنج والاترنج والليمون والكباد ، وهو نوع من الاترنج ، لا ينقطع وجودها من دمشق صيفاً ولا شتاء .

ورأيت من محاسنها حسن عمائرها ، وبساتينها وكثرة مدارسها وحماماتها ، فاستخرت الله تعالى ، وجمعت جزءاً يشتمل على مدارسها ، وعلى دور الحديث النبوي بها ، وعلى خوانكها ، وربطها ، وجوامعها ، وعدد حماماتها .

واعرضت عما سوى ذلك ، فاني لو جمعته كان يستدعي مجلداً كبيراً أو مجلدات وهذا القدر الذي اريد ان اذكره في هذا الجزء من محاسن دمشق كاف في المقصود ، لأن به يستدل على باقي محاسنها ، وبه يعرف كمال شرفها ، وهذا حين الابتداء بالمقصود .

فصل اول

في ذكر عدد مدارس دمشق وعدتها احدى وتسعون[1] مدرسة .

(١) في الأصل : تسعين

تفصيلها

(١) مدرسة العادلية الكبيرة (٢) العادلية الصغيرة (٣) الظاهرية (٤) البادرائية [١] (٥) القيمرية (٦) الامينية [٢] (٧) الناصرية (٨) المسرورية (٩) الاقبالية (١٠) الجاروخية (١١) التقوية (١٢) العزيزية (١٣) المجاهدية (١٤) الرواحية [٣] (١٥) الفلكية (١٦) الركنية (١٧) العذراوية (١٨) العصرونية (١٩) الشامية الجوانية (٢٠) الاكزية (٢١) الطيبة (٢٢) الصلاحية (٢٣) الكردية [٤] (٢٤) الطبرية (٢٥) السامرية [٥] (٢٦) العادية (٢٧) الدماغية (٢٨) النجيبية (٢٩) القليجية (٣٠) الفتحية (٣١) الرواحية ٠

وفي الجامع الأموي ثلاث مدارس وهي : (٣٢) المدرسة الغزالية (٣٣) والقوصية (٣٤) والكلاسة ٠

فهذه جملة عدد مدارس الشافعية التي هي داخل مدينة دمشق وهي خمس وثلاثون مدرسة ٠

ولهم خارج دمشق ثمان مدارس وهي : (٣٥) المدرسة الأتابكية (٣٦) الشامية البرانية (٣٧) الظاهرية (٣٨) الفرخشاهية (٣٩) الاسدية (٤٠) البهنسية (٤١) مدرسة ابن سناء الدولة (٤٢) مدرسة السبع مجانين ٠

آخر عدد مدارس الشافعية ، ومبلغها ثلاث وأربعون مدرسة ٠

* * *

ذكر عدد مدارس الطائفة الحنفية

وجملتها احدى وثلاثون ٠ داخل دمشق منها احدى وعشرون مدرسة وهي :
(١) مدرسة الظاهرية (٢) والنورية (٣) والصادرية (٤) والبلخية (٥) و القليجية

(١) في الأصل : الباذرابية والصواب ما أثبتناه لأن منشئها نجم الدين البادرائي منسوب الى بادرايا قرية من عمل واسط ٠
(٢) في الأصل : الأمينية ٠
(٣) في الأصل : الدواحية ٠
(٤) المراد بالكردية : المجاهدية ٠
(٥) في الأصل : الصامرية ٠

(٦) والخاتونية (٧) والريحانية (٨) والجوهرية (٩) والقيمازية (١٠) والطرخانية (١١) ومدرسة القلعة (١٢) والعزية (١٣) والعذراوية (١٤) والمعينية (١٥) والدماغية (١٦) [و] المقدمية (١٧) والشبلية (١٨) والاقبالية (١٩) والنتحية (٢٠) ومدرسة القصاعين

ولهم بالجامع الاموي مدرسة واحدة وتعرف (٢١) بزاوية الخلبيين [1] .

ولهم خارج دمشق عشر مدارس وهي (٢٢) المدرسة الزنجارية [2] (٢٣) والمعظمية (٢٤) والمرشدية (٢٥) والشبلية (٢٦) والفرخشاهية (٢٧) والعزية (٢٨) والخاتونية (٢٩) والركنية (٣٠) والعلمية [3] (٣١) والماردانية .

آخر مدارس الحنفية

* * *

ذكر عدد مدارس الطائفة الحنبلية

وجملتها عشر مدارس . من ذلك داخل دمشق ست مدارس وهي :

(١) المدرسة الحنبلية (٢) والجوزية (٣) والمسمارية (٤) والصدرية .

ولهم بالجامع الاموي مدرستان: وهما (٥) حلقة الاوزاعي [4] (٦) وحلقة المحراب [5]

ولهم خارج دمشق بجبل الصالحية خاصة اربع مدارس . وهي: (٧) دار الحديث الأشرفية (٨) والصاحبية (٩) والضيائية (١٠) ومدرسة الشيخ ابي عمر رحمه الله

آخر مدارس الحنابلة .

---

(١) في الأصل : الحلبين .

(٢) في الأصل: الزنجالية ، وفي مختصر تنبيه الطالب للعلموي : الزنجارية ، ويقال لها الزنجيلية

(٣) في الأصل العالمية ، والصواب ما أثبتناه لأنها منسوبة الى علم الدين سنجر المعظمي .

(٤) في شذرات الذهب حوادث سنة ٣٤٧ وفيها توفي القاضي أبو الحسن بن حزام ... وهو آخر من كانت له حلقة بجامع دمشق يدرس فيها مذهب الأوزاعي ويقول النعيمي في تنبيه الطالب (٢ : ٣١١) مخطوطة المجمع العلمي : وجدت بخط الشيخ تقي الدين الاسدي في تعداد مدارس الحنابلة : للحنفية والحنابلة حلقة الاوزاعي ، وللحنابلة حلقة السفينة وحلقة المحراب .

(٥) أي محراب الحنابلة

ذكر مدارس الطائفة المالكية

وهي اربع مدارس ، وكلها داخل دمشق وهي : (١) المدرسة النورية (٢) والشرابيشية[1] (٣) والصمصامية .

ولهم بالجامع الاموي واحدة وتسمى (٤) حلقة السفينة[2] .

* * *

ذكر عدد مدارس الاطباء

الموقوفة على المشتغلين بعلم الطب خاصة وهي ثلاث مدارس ، منها مدرستان داخل دمشق وهما (١) المدرسة الدخوارية ، والمدرسة الدُنيسرية ، ومدرسة واحدة خارج دمشق وهي المدرسة اللبودية .

آخر مدارس الأطباء .

* * *

فجملة عدد المدارس المذكورة المفصلة ههنا احدى وتسعون مدرسة

تفصيلها

المدارس الشافعية ثلاث واربعون مدرسة .

المدارس الحنفية احدى وثلاثون .

المدارس الحنبلية عشر مدارس .

المدارس المالكية اربع مدارس .

[مدارس] الأطباء ثلاث .

فصل ثان

في عدد دور الحديث النبوي وجملتها اثنان وعشرون داراً

منها داخل دمشق ست عشرة داراً وهي : (١) دار الحديث الأشرفية

(١) في الأصل : والشرابية (٢) تقدم نص النعيمي عنها والعلموي عدها مدرسة حنفية ، وذكرا أن للمالكية زاوية في الجامع الأموي ملاصقة للمقصورة الحنفية من غربي الجامع

(٢) والنورية (٣) والظاهرية (٤) وتربة أم الصالح (٥) والنفيسية (٦) والقوصية (٧) ومشهد عروة (٨) والكروسية (٩) ومقصورة المالكية ، وتعرف بمقصورة الخضر [١] أيضاً (١٠) والفاضلية (١١) وقراءة حديث بالمدرسة الناصرية (١٢) والصدرية الحنبلية (١٣) والقليجية [٢] الحنفية (١٤) والشقيشقية (١٥) والدوادارية العلمية (١٦) ودارالحديث السكرية وهي سكن الشيخ تقي الدين ابن تيمية ، أعاد الله علينا من بركاته .

ودور الحديث التي في خارج دمشق ست هي : (١٧) دار الحديث العزية بشرف [٣] الميدان .

وبجبل الصالحية خمسة وهي : (١٨) دار الحديث الأشرفية (١٩) والضيائية (٢٠) والعالمة (٢١) والسراجية (٢٢) واليغمورية .

فصل ثالث

في عدد دور القرآن بدمشق

وهما داران : داخل دمشق (١) مدرسة ابن المنجا [٤] (٢) وبجبل قاسيون مدرسة الشيخ ابي عمر .

فصل رابع

في ذكر عدد الخوانك التي بدمشق للرجال والنساء

اخبرني الشيخ عبد الله غلام شيخ الشيوخ صدرالدين ابن حموية من جريدته فقال: عدة الخوانك والربط التي بدمشق اربع واربعون ما بين خانقاه ورباط .

منها داخل دمشق اثنا عشر خانكاه [٢] (١) الخانكاه السميساطية [٥]

(١) مكانها موضع محراب الحنابلة اليوم وهي غير مقصورة المالكية (٢) في الاصل: القليجة
(٣) في الأصل : بسوق الميدان والمراد بالشرف الشمالي ، والعزية هي التي تقابل مدرسة التعويز الأولى من جهة القبلة ، والمراد بالميدان ميدان المرجة (٤) هي دار القرآن الوجيهية منسوبة للشيخ وجيه الدين محمد بن عثمان المنجا المتوفى سنة (٧٠١) راجع دور القرآن في دمشق للنعيمي ص (٥٠) ومختصره للعلموي ص (٨) (٥) في الأصل : السمياطية

(٢) الأندلسية (٣) الشهابية (٤) النجمية (٥) لخلاحية (٦) دويرة حمد [1]
(٧) المحدبة (٨) الثوبانية (٩) الاسدية (١٠) رباط الشيخ ابي البيان .

ومنها خارج دمشق اثنا عشر خانكاه[٢] وهي (١١) خانكاه خاتون
(١٢) المجاهدية (١٣) وخانكاه الطاحون (١٤) النجيبية (١٥) الحسامية (١٦) الطواويس
(١٧) قصر شمس الملوك (١٨) الشقاربة [2] بالشرب (١٩) المقدمية (٢٠) والشبلية
(٢١) مسجد ابي صالح (٢٢) خانكاه الناصرية . قال :

وعدد الربط وهي الخوانك التي تختص بالنساء عشرون رباطاً .

منها داخل دمشق خمسة عشر رباطاً وهي : (٢٣) رباط الحبشية (٢٤) ورباط
الفرز خليل (٢٥) ورباط جاروخ (٢٦) ورباط اسد الدين (٢٧) ورباط الست عذرا
(٢٨) ورباط الركن الفلكي (٢٩) ورباط بالدق (٣٠) رباط الاسا كفة (٣١) ورباط
الخواجبية (٣٢) ورباط صارم الدين المطروحي (٣٣) ورباط جمال الدين المطروحي (٣٤)
ورباط النجارين (٣٥) ورباط باب الجابية (٣٦) ورباط السقلاطوني (٣٧) ورباط البغدادية

ومنها خارج دمشق خمس ربط وهي : (٣٨) رباط المزة المعروف بالخواجبية
(٣٩) ورباط اسد الدين (٤٠) ورباط ابن سويد بالصالحية (٤١) ورباط الجبقيق
(٤٢) ورباط فيروز .

آخر عدد الخوانك والربط

يقول الحسني جامع هذا الجزء : وقد انشأ الصاحب عز الدين حمزة المعروف
بابن القلانسي (٤٣) رباطاً بجبل الصالحية قريباً من حمام الزهوري وتم بناؤه
والفراغ منه في آخر سنة عشرين وسبعمائة . فصارت عدة الربط والخوانك
مع هذا الرباط خمساً واربعين .

يتبع :

---

(١) هي التي كان يسكنها المؤلف (٢) كذا في الاصل : وهي التي باق منها بعض قبة في بستان المأذنة قرب الربوة ولا يزال فيها حجر نقش عليه اسم الشقاري. فوق السين ثلاث نقط ولكن القاف مهملة من النقط والذي في تنبيه الطالب وشذرات الذهب : السقاري

العامي والفصيح [1]

- ٦ -

تابع لما نشر ج ٢٠ ص ٤٢٣

دابك على دابه

د ا ب — وقالت العامة دَابَكْ على دَابُهْ ودرْدابك على درْدابه بمعنىً واحد أي عادتك جارية على وفق عادته وأنت ماضٍ في تتبع حالاته

وفي اللغة الدَّأب بالهمز العادة وتركُ الهمز لغة يقالُ فيها داب يدوب دَوْباً كما يقولون دأب يدأب دأباً وهو الدَّيْدَبون والدَّيدن قال الفراء أصله دأبت الا ان العرب حولت معناه الى الشأن فهو مجاز كما في الأساس والدأب أصله في كلام العرب هو الدؤوب اي الاجتهاد في السير

وأما الدرْداب فهو محرّف من الديدب ابدلوا الياء راءً ومدُّوا حركةَ الدال الثانية فولدت الفاً كما قالوا في تبيهس تبيهرس اذا تبختر وربما يقال ان اصله من الدُرْبة وهي العادة . دَرب في الأمر دُربة اذا اعتاده وهي الدُراية أيضاً وتدرَّب اعتاد ..

د ب ب دَبّه — وقالوا دَبَّهُ اذا رماه من علو الى سفل أو ألقاه على الأرض دَفْعاً وهي إما من ذبَّ عنه اذا دفع ومنع والذبُّ في اللغة كما جاء في لسان العرب الدفع والمنع والطرد ذبَّ عنه يذب ذَبّاً اذا دفع ومنع وقال في موضع آخر وذبَّ الذباب وذبَّبَه نحّاه ولا يزالون في العراق يقولون ذَبّه بمعنى القاه. أو يقال هو من تبهُ بمعنى أهلكه وعذّبه وهذا الوجه هو ظاهر الكلفة .

د ب س الدبُّوس — الدَّبُّوس بفتح أوله واحد الدبابيس هكذا تلفظه العامة وهي المقامع من حديد وغيره عن أئمة اللغة وكأنه معرب دبوز قال في التاج والصواب ان يكون مفرده (دُبوس) بالضم كذا ضبطه غير واحد ..

---

(١) كتابي « رد العامي الى الفصيح » .

ثم استعير لما يُخرم ويُجمع به الورق والثياب وهو ابرة موضع خرتتها كُرة تمنع انفلاتها ثم عم لكل ما يخرم به الورق والثياب ولو لم يكن ذا كُرَة وبه سمي ما يجمع به الشعر ويُحفظ نظامه دبوساً . وهذا في اللغة يسمى العقاص وفسروه كما جاء في التاج نقلاً عن بعضهم بأنه مثل الشوكة تصلح به المرأة شعرها وهو في الأصل خيط تشدّ به أطراف الذوائب .

د ب ش الدبش — الدَّبْشُ عند العامة (بالفتح) رذال الحجارة واسقاطها وفي اللغة الدَّبَش (محركة) سقط المتاع من أثاث البيت ، وربما كان محرفاً عن الجماش وهو ما يوضع بين الطي والجال في البئر ويكون غالباً من هذه الحجارة (راجع ج م ش)

وتقول العامة دَبَّش الحائط اذا وضع وراء الساف (المدماك) من هذا الدبش ليقويه ويقوي دعمه كما يوضع جماش البئر

ويقولون دَبَّش له وكلامه دَبْشي اذا كلمه بكلام جاف غليظ وهو مأخوذ من الدبش هذا .

د ب ق الدبق دَبِق عليه — وتقول العامة دبّق على الشيء اذا لزمه ولصق به وفي اللغة الدبق بالكسر والدابوق عن الفراء والدبوقاء (من كتاب سيبويه) غراء يصاد به الطير وقال الفراء هو حمل شجرة في جوفه كالغراء يلزق بجناح الطير . ودبّقه ودبقه اصطاده بالدبق فتدبق ودبّق في عيشته لصق

فاستعمال العامة صحيح فصيح .

د ب ك الدَّبكة — ويقولون دَبَك اذا رقص الدَّبكة وهي ضرب من الرقص الريفي فيه خطو متقارب ثم يضرب الراقص برجله الأرض ويقفز الى غير موقفه الأول وهكذا حتى يتم دورة الحلقة .

وأحسب انها من دَرْبَك لغة في كَرْبَد قال صاحب التاج في مادة ك ر ب د كربد في عدوه جدّ فيه وأسرع وقارب الخطو كدربك . فكأن الذي

جاء في هذا المعنى لغتان كربد ودربك والعامة اخذت باللغة الثانية وحولت الراء باء ثم ادغمتها في اختها . وتعاقبُ الراء والباء له مثيل في الفصحى فقد جاء الأصحر والأصحب لذي اللون الضارب الى الحمرة وقالوا نقر البيضة عن الفرخ ونقبها .

د ب ل الدَبلَة — ويقول العامي لمن يغتاظ من عمله ويجلب عليه الهم دَبلتني يا فلان ورَبيت الدَبلة على قلبي وأنا مدبول منك . ويعرفون الدبلة بأنها داء في الجوف ينشأ من الهم

والدَبلة في اللغة خراج في الجوف والدبال قروح تثقب الجوف وهي الدُبلة والدُبيلة بالتصغير كما في القاموس مأخوذة من الاجتماع لأنه فساد مجتمع بقوله صاحب التاج

دوبل — ويقولون دَوبَل اذا أطرق برأسه الى الأرض والاسم عندهم الدَوبَله ويراد بها أنه تشبه بالدَوبل وهو الخنزير لأن من عادة الخنزير ان يطأطئ برأسه الى الأرض دائماً .

د ج د ج دجدَج . تشتش — وقالت العامة دجدَج لحمه وتَشتَش اذا كثر واسترخى وتشتش الوَرَم اذا رَبا وانتفخ في استرخاء فاذا قالوا تشّ الورم فانهم يعنون به انه ذهب ونشّ

أما اصل دَجدَج فهو في ما أرى تجنيج على البدلية اذا صح قول الجوهري بأن معناه كثر لحمه واسترخى ولكن صاحب القاموس خطأ الجوهري وقال إنما هو تبجبج بالباء الموحدة وردّ صاحب التاج على القاموس بأن الذي ردّ به (على الجوهري) هو قول الهروي .

نقول ان اصلها بجبج تجنباً للخلاف المذكور واما الابدال بين النون والدال فهو وارد في الفصيح كما في قولهم مَرَن على العمل ومَرَد عليه . والدال والباء أيضاً يتعاقبان مثل قولهم زبّد شدقه وزبّب اذا تكلم فظهر الزبد عليه ووَصب بالمكان ووصد اذا أقام وثبت .

د ح د ل دحدله – وقالوا دحْدَله اذا دحرجه أو لفّه كالأسطوانة وألقاه على الأرض وهو في اللغة دحدره بالراء (راجع ح د ل) ٠

د ح س الداحس والدوحاس – الداحس والدوحاس عند العامة بثرة أو قرحة في الاصبع أو اليد ترم وتؤلم والفعل منها عندهم دَوْحَست الاصبع أي أصابها الدوحاس وهو في اللغة الداحس والداحوس كذا في التاج وسئل الأزهري عن الداحس فقال هو بثرة تظهر بين الظفر واللحم فينقلع منها الظفر ورواية اللسان «فقال قرحة تخرج باليد تسمى بالفارسية برْوَرَة» ٠ وقال الزمخشري في الأساس «مابي داحس ٠ وهو تشعث الاصبع وسقوط الظفر قال مُزرِّد :

تشاخت ابهاماك ان كنت كاذباً ولا بَرِئا من داحس وكُناع[1]

أقول وقد اختلفت الرواية في هذا البيت فرواه في اللسان تشاخص بالصاد المهملة ونسب الرواية الى ابي علي وبعض أهل اللغة وذلك في مادة (د ح س) ثم أعاد الشاهد في مادة (ش خ س) بالسين المهملة بعد قوله تشاخس قِحفا رأسه اذا تباينا واختلفا ٠

وجاء في التاج في المادتين بالسين المهملة ونسب الرواية الى ابي علي فهل رواها ابو علي على الوجهين أو ان احدهما غلط والذي يلوح لي ان رواية السين هي أصح الثلاث وان كان يصح تخريج الروايتين الاخريين على وجه صحيح

أما تشاخس فقد جاء في التاج يقال ضربه فتشاخس قحفا رأسه أي تباينا واختلفا عن ابن دريد وقد استعمل في الابهام ٠ اهـ ٠

وأما تشاخص فقد جاء في اللغة وشخص الجرح انتبر وورم عن الليث وفي المحكم شخص الشيء يشخص شخوصاً انتبر وشخص الجرح ورم ٠ اهـ ٠

وأما تشاخت بالتاء فهي من شَخُتَ شخوتة فهو شخت وشخيت وهو النحيف الجسم الدقيقه وقيده في لسان العرب لا من هزال ونسبه صاحب التاج الى غير اللسان من الأمهات أيضاً ٠

---

(١) الكُناع قصر اليدين من داء على هيئة القطع والتعقف ٠

د ح ش دَحشه — ويقولون دحش الشيء في الشيء اذا أدخله بقوة وهي في اللغة دَحسه بالسين المهملة . قال في اللسان دحس الثوب في الوعاء : أدخله قال :

يؤرِّها بسمعد(1) الجنبين كما دحست الثوب في الوعائين

وقال في النهاية الدَحس والدَس متقاربان ومنه حديث عطاء : حقّ على الناس ان يدحسوا الصفوف حتى لا يكون بينهم فُرَج أي يزدحموا ويدسوا أنفسهم بين فُرَجها . اهـ . وفي حديث سلخ الشاة فدحس بيده حتى توارت الى الابط

وعلى هذا فتكون العامة أبدلت السين شيناً وهو وارد في الفصيح كالروسم والروشم والتشمير والتسمير . أو يكون من دَخَس قال في اللسان يقال دخس في الشيء اذا دخل . الليث الدَخْس اندساس شيء تحت التراب كما تُدْخس الأثفيّة في الرماد وكذلك يقال للأثافي دواخس قال العجاج :

« دواخساً في الأرض الا شُعَفا » اهـ .

د ح ل دحل في الأمر وداحل فيه — وقالوا دحل في الأمر اذا عالج ويقال كثيراً ما دحلت فيه حتى أجاب بمعنى حاورته ورددت عليه الكلام مرات حتى أجاب ويقولون داحَله في ثمن السلعة أي رادّه وماكسه . وفي اللغة الدَحل المماكس في البيع حتى يتمكن من حاجته وداحله ماكسه عن التهذيب .

د خ ش المداخشة — المداخشة والمداغشة (على البدل) عند العامة الممارسة والاختلاط في الأمور يقولون عرَف فلان كيف يتصرف لكثرة مداخشته .

وجاء في اللغة دغمشوا وتدغمشوا اذا اختلطوا في حرب وصخب وما أشبه ذلك . الأولى عن ابن الاعرابي والثانية عن ابن عبّاد .

دوح الدودَحة — وقالوا فلان يتدودح في مشيه وهو يمشي دَوْدَحة أي مشية القصار السمان

(1) اسمعدّ امتلأ غيظاً واسمعدت أنامله تورمت .

الدودح في اللغة القصير السمين وقال صاحب التاج الدودح كجوهر الغليظ البطن والدَوْدَحة السِمَن مع القِصَر ذكره ابن جني ولم يفسره وفسره صاحب القاموس . وهو لغة في الدَحْدَح والدحداح . ورجل دَحْدَح ودِحْدِح ودحداح ... قصير غليظ البطن كذا في لسان العرب

والعامة لا تزال تعرف الدَحْدَح لهذا المعنى ومن أمثال عامتنا في جبل عامل «كل قصير ودحْدَح يتشي وقلبو يقدح وكل طويل وهايف يتشي وقلبو خايف» يريدون من هذا المثل ان القصير شجاع والطويل جبان .

درب الدرْب — الدَرْب عند العامة الطريق مطلقاً . والسالكوه هم الدرّابة وقد تدَرَّب نحو الشيء أي أخذ طريقه اليه

ولكنه في اللغة أخص من ذلك فهو باب السكة الواسع والباب الأكبر وكل مدخل الى بلاد الروم والطريق غير النافذ فاستعمال العامة ، وهو استعمال الخاص في العام ، من المجاز .

دردر ما عاد دَرْدَر علينا — وقالوا ما عاد دَرْدَر لهذه الجهة وما عاد دردر علينا أي لم يتحرك لقصدها ولا سلك الطريق اليها وهو من دَرَز الطريق أي مدرجته كما في اللسان وقالت العرب ادرّه حركه وبه فُسر الحديث (بين عينيه عرق يُدِرُّه الغضب) أي يحركه هكذا فسره في اللسان وجاء فيه أيضاً درَّ الفرس دريراً ودرةً عدا شديداً أو عدواً سهلاً متتابعاً .

وتدردر يذهب ويجيء . يترجرج . قال الراجز :

اقسم ان لم تأتنا تَدَرْدَرُ ليقطعن من لسان دُرْدُرُ

أي تتدَرْدَر .

والعامة صاغت من درر الطريق فعلاً فقالت أولاً تدرر أي سلك دَرَر الطريق ثم قالت تدردر أي تدرج على مدرجة الطريق أو هي من تدردر المضاعفة أي تذهب وتجيء .

د ر غ دَرَّغه بالوحل — ويقولون درغه بالوحل ودردغه (للتكثير) اذا لطخه به وأصلها رَدَّغه والعرب قالت ردّغه بالتشديد وهو من الرَّدَغة والردْغة وهي الطين . ومكان رَديغ وَحِلٌ . وفي النهاية والرَّدغة بسكون الدال وفتحها طين ووحل كثير وتجمع على رَدَغ ورِداغ وفي الحديث منعتنا هذه الرِداغ عن الجمعة .

د ر ف الدَرْفة — الدَرْفة عند العامة مصراع الباب ولكل باب درفتان قال في التاج وهكذا يستعمله العوام . قلت : وهكذا الى اليوم وبعضهم يعجم الدال فيقول ذرفة .

وأصلها فيما أرى الدَفّة حوّلت الفاء الأولى راء كما حولوها في كدّسه فقالوا كردسه بمعنى جمع بعضه فوق بعض وقد استعمل ابن بطوطة الدَفّة لمصراع الباب . والدَفة من كل شيء جانبه أو صفحة جنبه ودفتا المصحف جانباه

ثم توسعوا في الدُف والدَفة فأطلقوهما على الألواح التي يتخذ منها مصراع الباب فقالوا لكل لوح منها دفّ واشتقوا منه فعلاً فقالوا دفّ السقف اذا بسط الألواح فوق خشبه .

د ر ك ب دَرْكَبه ودكربه — وقالوا دركبه بمعنى القاه من علو الى سفل دفعًا ودحرجة ، وربما كان أصلها زردبه اذا دحرجه والقاه في زرداب وهو منحدَر السيل والزاي والدال يتعاقبان في الفصيح مثل دحل عنه وزحل والمستوفد والمستوفز في قعدته وكذلك يتعاقب الدال والكاف مثل صدمه وصكه اذا دفعه وحشد القوم وحشكوا

أو أصلها دحقبه اذا دفعه من ورائه دفعًا وكأنهم قالوا فيها دقحبه أولاً (على القلب) ثم انتهت بالابدال الى دكربه

أو أنها من دكم في صدره اذا دفع ودكمه داس بعضه على بعض أو جمعه أبدلت العامة الميم باء وهذا الابدال كثير في كلامهم فصارت دكبه ثم زيدت

الراء ثانية فصارت دركبه وهذه الزيادة أي زيادة الراء معروفة في كلامهم فهي في العامي من الفصيح شَرْبَكَه وَشَبكَه وتخربطت البلاد وتخبّطت اذا وقع فيها الفساد وفي الفصيح على الفصيح مثل خشب العمل وخشربه اذا لم يحكمه وبحث التراب وبحثره راجع (ح ر ث ٠) ٠

د ق ق المِدقّة الدِقماقَة — مُدُقّة الكُبّة هي التي تسمى في جبل عامل الدقماقة وجمعها عندهم الدقاميق ولكن تحريفها بهذا الشكل عن المدقة غريب ٠ وهي ما يُدق به اللحم وهي المِدَق والمِدَقة (وصفاً) والمُدُقة (اسماً) ولا يخص أهل اللغة بها ما يدق به اللحم وانما هي عندهم المِرْفس قال في التاج ورفس اللحم وغيره منَ الطعام رَفْساً دقَّه وقيل كل دقٍ رفس وأصله في الطعام والمِرْفَس لما يدق به اللحم اهـ ٠

د ق ن الدَقن — جاء في الأَساس ٠ وأهل بغداد يقولون في دَقْنك أو في لحيتك ٠ وقال صاحب التاج بعد نقل هذا القول وكذا عند عامة اهل مصر وليست بفصيحة وأقول وكذا هي عند العامة في بلاد الشام وأما الفصيح فيقال دَقَن في لحي الرجل اذا لكزه بجمع كفيه ويقال للمحروم دُقِن في لحيته كما في الأَساس ٠

والفصيح في الدَقْن الذَقَن محركة بالذال المعجمه ، وهي مجتمع اللحيين من اسفلها (مذكر) جمعه اذقان وذقون وأما تسمية الشعر النابت عليه ذقناً فهو مولد ٠

احمد رضا

كتاب مُوقد الأذهان ومُوقظ الوسنان

في الألغاز النحويّة والنكت الأدبيّة لابن هشام

في خزانة كتب مسجد أحمد باشا الجزار في مدينة عكا وبضمن مجموعة صغيرة بالقطع الأصغر من الصغير طول الصفحة منها (١٧) سانتيمتراً وعرضها (١٠) سانتيمترات وفي كل صفحة منها ١٥ سطراً وفي السطر الواحد من ست كلمات الى عشر كلمات كتيّب صغير الحجم بالاسم الذي عنونّا به هذه المقالة جاء في مقدمته وهو بخط أحمد بن سليمان المفتي الشافعي نسخه في ٢١ ربيع الأول سنة ١١٨٨ هـ :

« بسم الله الرحمن الرحيم : قال الامام العلاّمة جمال الدين عبد الله بن يوسف ابن هشام رحمه الله تعالى أما بعد حمد الله الفاتح عقد الاعجاز المانح بالايجاز جاعل علم العربية في العلوم كالطراز فيه تنكّ مقفلات الألغاز وينفضح ما في التنزيل من الايجاز في وجه الاعجاز وصلاته على أفضل الأنبياء الذي أسكت بفصاحته الخطباء والشعراء والرّجاز وعلى آله وأصحابه الذين من ائتمّ بهم فقد فاز .

فقد جمعت في هذه الأوراق اليسيرة شذرة من الألغاز النحوية ونبذة من النكت الأدبية جعلتها لاستخراج الأحاجي عنواناً وعلى حلّ ما لم اذكره معواناً فالشيء يعرف بمثله والوابل يستدلّ عليه بطلّه والعذر في اختصاره أني جمعته فيما بين صلاتين وبمقدار ما ينظم الناظم بيتاً أو بيتين والله اسأل ان يرزقه من الحضرة الشريفة حظاً ويرمقه من الكريم لحظاً ورتبته على أربعة فصول : الأول في الأحاجي المعنوية ، الثاني في الأحاجي اللفظية ، الثالث في الاشارات الخفية ، الرابع في التصحيفات اللوذعية وسميته موقد الأذهان وموقظ الوسنان والله اعتضد وعليه اعتمد .

اعلم ان اللغز النحوي قسمان أحدهما ما يطلب به تفسير المعنى والآخر ما يطلب به تفسير وجه الاعراب» وجعل الفصل الأول فيما يراد به تفسير المعنى وأتى على تفصيل وتحليل ثلاثة عشر بيتاً استشهد بها .

ثم جاء الى الفصل الثاني في الألغاز اللفظية وهي التي يراد بها تغيير الاعراب وتوجيهه لا بيان المعاني . وأتى باثنين وعشرين بيتاً كشواهد وحللها وعللها .

ثم جاء الى الفصل الثالث في الاشارات الخفية التي لا يعقلها الا العالمون ولا يتنبه لموقعها الا المخلصون .

ثم جاء الى الفصل الرابع في التصحيفات اللوذعية فقال :

«أول من تكلم في ذلك علي رضي الله عنه فقال كل عنب الكرم تعطيه يريد كل عيب الكرم يغطيه .

وقال أيضاً :

ذكر في مجلس التصحيف فادعى شاب حاضر معرفته فقيل له ما تصحيف تخنثني فقال تصحيف حسن فاتهم في سرعة جوابه . فقال شاعر من بلنسية ما تصحيف بلنسية فقال أربعة أشهر فقال الشاعر صدق ظني انك تنتحل ما تقول وأي نسبة بين أربعة أشهر وبلنسية فقال الشاب :

علي نحت القوافي من معادنها   وما علي اذا لم تفهم البقر

فتنبهوا بعد انصرافه فاذا أربعة أشهر ثلث سنة (أي تصحيف بلنسية) فخجلوا منه .

وكتب الى المعتمد بن عباد شخص من الاخوان :

واذا صفا لك من زمانك واحد   فهو المراد وأين ذاك الواحد

فوقع في الكتاب وأين ذاك الواحد . صحف تعرف . فلما قرأه طار مسروراً لأن تصحيف أين ذاك أنت ذاك ..

ومن ملح ابن عباد هذا في التصحيف انه خرج مع وزرائه باشبيلية فاجتازوا في الموضع الذي يباع فيه الخبز والجبن فالفوا هناك جارية من أحسن الناس

وجهًا وأكثرهم بذاءة وفحشًا وتبرجًا فابتدأ علي بن عمار وقال الخبّازين فقالت نعم والجبّانين فلم يعرف الحاضرون ما أرادا

فسألوا ابن عمار فقال « إنه قال اخبا زَيْن وقالت اخنا شَيْن فأين هذه الأذهان ».

تعريف علم الألغاز

أما علم الألغاز فقد عرّفه ملاّ كاتب چلبي الشهير بحاجي خليفة أيضًا في كتابه كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون فقال في « ج ١ ص ١٣٨ طبعة الاستانة » :

هو علم يتعرف منه دلالة الألفاظ على المراد دلالة خفية في الغاية لكن لا بحيث تنبو عنها الأذهان السليمة بل تستحسنها وتنشرح اليها بشرط ان يكون المراد من الألفاظ الذوات الموجودة في الخارج . وبهذا يفترق من المعمّى . لأنّ المراد من الألفاظ اسم شيء من الانسان وغيره وهو من فروع علم البيان . لأن المعتبر فيه وضوح الدلالة . والغرض فيهما الاخفاء وستر المراد .

ولما كان ارادة الاخفاء على وجه الندرة عند امتحان الأذهان لم يلتفت اليها البلغاء حتى لم يعدوهما أيضًا من الصنائع البديعية التي يبحث فيها عن الحسن العَرَضي ثم هذا المدلول الخفي ان لم يكن ألفاظًا وحروفًا بلا قصد دلالتها على معان أخر بل ذوات موجودة يسمى اللغز وان كان الفاظًا وحروفًا دالة على معان مقصودة يسمى معمّى . وبهذا يعلم ان اللفظ الواحد يمكن ان يكون معمّى ولغزًا باعتبارين لأن المدلول اذا كان ألفاظًا فان قصد بها معان أخر يكون معمّى وان قصد ذوات الحروف على أنها من الذات يكون لغزًا وأكثر مبادي هذين العلمين مأخوذ من تتبّع كلام الملغزين وأصحاب المعمى وبعضها أمور تخييلية تعتبرها الأذواق ومسائلها راجعة الى المناسبة الذوقية بين الدالّ والمدلول الخفي على وجه يقبلها الذهن السليم . ومنفعتها تقويم الأذهان وتشحيذها . اهـ .

بيد ان كشف الظنون لم يذكر كتاب موقد الأذهان وموقظ الوسنان المبحوث عنه .

ومن هذا الكتاب نسخ مخطوطة في دور الكتب بالقاهرة وباريز وبرلين .

نبذة في الألغاز والأحاجي

ويظهر أن ناسخ الكتيب راقه الموضوع فألحق به نبذة في الألغاز والأحاجي قال انه جمعها من كلام الفضلاء ونظام النبلاء .

وبدأ هذه النبذة بنقل ما ذكره ابن رشيق القيرواني في كتاب العمدة في صناعة الشعر وتقدم تحت عنوان « ومن اللحن والمحاجاة » :

حلّوا عن الناقة الحمراء أرحلكم والبازل الأصهب المفعول[1] فاصطنعوا
ان الذئاب قد اخضرّت براثنها والناس كلهم كبر[1] اذا شبعوا

ونقل عنه أيضاً هذا البيت :

أحاجيك عبّاد كزينب في الورى ولم تؤتَ الاّ من صديقٍ وصاحبِ

وجوابه :

سأكتم حتى ما تحسّ مدامعي بما انهلّ منها من دموعي السواكبِ

وجاء ناسخ الكتاب الى المتأخرين فقال :

كتب الشيخ شمس الدين محمد بن داود المقدمي للشيخ حسن البوريني ملغزاً في وَرْدٍ وذلك سنة ٩٨٦ ونقل السؤال مع الجواب نظماً من الرويّ والقافية نفسها وزاد البوريني في الجواب فكتب للمقدمي ملغزاً في عِقد فأجابه الثاني على سؤاله هذا .

ثم قال الناسخ : كتب الشيخ الفاضل شمس الدين محمد المغربي المالكي نائب الحكم بدمشق الى الشيخ حسن البوريني المتقدّم ذكره ملغزاً في شام ونقل القصيدة ونرى أن نشير الى ما قصدَ السائل بنقل بعض أبياته :

ماذا تقول بلفظٍ عدّ أحرفه ثلاثة يا اماماً حاز عرفانا
اسم لمُدنٍ بأفضال لقد شهرت معروفة نزلت يا صاح قرآنا

(١) كذا في الأصل ورواية الأمالي : المقول ، بكرٌ (المجمع)

وقلبها بعض قوت الانام يُرى   وثلثها فعل أمر بعضه بانا
وان تزله بقى ما للأنام غنىً   عنه وتلقاه بين الناس طوفانا
وان تُصحف ترى أصلاً لذي عدد   وفرعاً كيف ذا كانا (؟)

ويظهر انه سقطت كلمة من عجز البيت الأخير فانه غير مستقيم الوزن .
فأجابه البوريني بقصيدة جاء فيها :

وشام طرفي بريق اللغز متضحاً   وأعلنته زناد الفكر اعلانا
هو اسم بلدتنا أعني دمشق وقد   يجيء فعلاً مبيناً الذي كانا

وقال الناسخ أيضاً :

كتب الشيخ شمس الدين بن المنقار الحنفي الى الشيخ شمس الدين محمد الصالحي الهلالي ملغزاً في « أمس » فأجابه وكتب شمس الدين محمد الصالحي الى شمس الدين ابن المنقار الحنفي ملغزاً في اسم زينب سنة ٩٧٧ هـ فأجابه وكتب بعضهم ملغزاً في يراع ثم نقل جواب المجيب المجهول ويظهر أن السائل يدعى محمداً فقد جاء في ختام القصيدة الجوابية هذه الأبيات :

محمد السامي الجناب ومن غدا   له كرم الأخلاق دون التكرّم
همام لقد أضحت مآثر فضله   على جبهة الدنيا كغرّة أدهم
ومولىً اذا ضنّ السحاب بوبله   علينا سقانا مسجاً بعد مسجم
له سؤدد حلّ السما كأين رفعةً   وذلك إرث فيه من عهد آدم

ثم أورد بعض ألغاز وقال فأجاب الطبرانيّ ولم نعرف اسم هذا الطبراني الذي يجب ان يكون من طبرية بفلسطين لأن الطبرانيّ ينسب اليها كما ينسب الطبريّ الى طبرستان . ثم قال :

وكتب الى الملاّ أسد بن معين الدين التبريزي المدرّس في المدرسة الناصرية البرانية بدمشق المحميّة ملغزاً في أسد ولم نعرف من الذي كتب فأجابه التبريزي بما يجب . وقال أيضاً :

وكتب بعضهم للعلامة عماد الدين ملغزاً في قدح فأجابه ولم يتسن لنا معرفة عماد الدين هذا ولعله كان من معاصري الناسخ ·

وقال بعضهم ملغزاً في مكوك الحائك ثم جوابه وقال بعضهم محاجياً في عنفوان وأورد سؤالاً يتضمن الفرق بين (غداً وأمس) أرسل الى التبريزي المتقدم ذكره فأجاب عليه شعراً كالسؤال ولكنه أردفه بهذه العبارة :

« الحمد لله وكفى وسلامه على عباده الذين اصطفى · وبعد فيقول الفقير الى الله الغني أسد بن معين الدين الشافعي جعل الله غده خيراً من يومه وأمسه ورحمه عند مواراته في رمسه ان الذي سنح في خاطري في الجواب من غير مراجعة رسالة ولا كتاب ان غداً ليس مثل أمس حتى يلزمه حكمه في البناء لأن أمس كلمة على ثلاثة أحرف فبناه أهل الحجاز على الكسر اذا أريد به اليوم الذي قبل يومك لتضمنه الألف واللام وليس كذلك (غداً) لأن غداً لامه محذوفة والدال عين الكلمة كيد ودم فلو بني لزمه العدول عن الأصل مرتين مرة من جهة حذف لامه ومرة من جهة بنائه لأن البناء في الاسماء على خلاف الأصل · والعدول عن الأصل مرتين في الكلمة الواحدة اجحاف لها · وهذا قريب من قولهم في بعض الكلمات مثلاً حتى لا يتوالى في الكلمة الواحدة إعلالان وقولي ان لامه محذوفة نص عليه غير واحد من أعلام العلماء حتى ان الشيخ الامام اباعمرو عثمان الشهير بابن الحاجب بنى عليه جوابه عن اللغز المشهور وهو قوله :

ربما عالج القوافي رجال تلتوي تارة لهم وتلينُ
طاوعتهم عينٌ وعينٌ وعينٌ وعصتهم نونٌ ونونٌ ونونُ · اهـ ·

وبعدُ فقد قصدنا بنقل بعض هذه الألغاز الاشارة الى بعض العلماء المعاصرين للزمن الذي كتبت فيه المجموعة وربما كان بينهم من لم يترجم له أو يشتهر أمره وبحسبنا ذلك عذراً ·

عبد الله مخلص

مخطوطات ومطبوعات

فلسفة التشريع في الاسلام

وضعه صبحي محمصاني[1]

« الدكتور في الحقوق ، ورئيس غرفة في محكمة الاستئناف ، والمدعي العام السابق لدى محكمة الاستئناف الشرعية ، وأستاذ المجلة والقانون الروماني في الجامعة الأميركية في بيروت » .

الكتاب من القطع الكبير يقع في ٣٥٠ صفحة ، حسن التبويب والترتيب ، جيد الورق والطبع ، أخرجته مطبعة الكشاف في بيروت سنة ١٣٦٥ هـ = ١٩٤٦ م

مهد المؤلف لكتابه بمقدمة عرض فيها الغرض الذي من أجله وضع كتابه . فكان مما قاله : « ومن الحقائق التاريخية الثابتة ، ان مظاهر الحياة الاجتماعية متغيرة بتغير الأزمنة والأمكنة ، ولما كانت الشرائع والأحكام مظهراً من هذه المظاهر ، أدركنا سبب اختلاف الشرائع باختلاف العصور والبلدان ، وأدركنا سبب تلونها بصبغة الأمم والأجيال الخاصة ؛ تبعاً لعاداتها وتقاليدها واميالها ونزعاتها ...

الى أن يقول :

« .. وأرجو ان أتوصل بذلك الى ايضاح وجهة النظر الاسلامية في التشريع ،

(١) هكذا أورد اسمه « محمصاني » بالتنكير . واذا لم يكن من حقنا أن ندخل عليه (ال) التعريف فيصبح « المحمصاني » كما هو الأصل ، وكما تقضي به القواعد العربية ، فان من حقنا أن نتساءل عن السبب الذي جعل كثيراً من العرب ولاسيما في ساحل الشام ، وخاصة المسلمين ؛ يولعون بتجريد اسمائهم من التعريف تجريداً لا ينبت على الاستعمال . ذلك : انك اذا تكلمت عن هذا الكتاب القيم ، أو نقلت عنه . تقول : فلسفة التشريع للمحمصاني ، ولا تقول : لمحمصاني . وهذه « ساحة الدباس » في بيروت ، لا تقول فيها « ساحة دباس » على رغم ما كان من رغبة صاحبها في تجريد اسمه من التعريف ، مشايعة للأجنبي واتباعاً لأساليبهم التي لا تتفق والأساليب العربية .

الى الأجانب ، والى المثقفين بثقافتهم ، ايضاحاً حقيقياً . وأرجو ان أتوصل الى ازالة ما تركه بعض الناس في الأذهان من التشويش والتدجيل . وقد كان من هؤلاء طائفة من المستشرقين ، عودونا الكتابة في مواضيع لا يحسنون لغتها ، أو لا يعرفون مراجعها ...

وأرجو أن أتوصل أيضاً الى تقريب الأسلوب القانوني الغربي الى المطلعين على الشرع الاسلامي ...»

وهذا قول حسن ، وأحسن منه أن المؤلف وفق توفيقاً كبيراً ، الى تحقيق كثير مما قصد في تأليفه اليه .

جعل الأستاذ المؤلف كتابه أبواباً ، قسمها فصولاً .

في الباب الأول : « تعريف علم الفقه وتقسيمه » ، وفي الباب الثاني « لمحة تاريخية » بحث في فصوله عن المذاهب الأسلامية الحية والبائدة ، وعن المذاهب الشيعية ، ثم عن الاشتراع في البلاد الشرقية وعن تاريخ القوانين الأوربية .

وفي الباب الثالث « مصادر الشرع الأسلامي » ألم فيه بالأدلة الشرعية : الكتاب والسنة والاجماع والقياس والاجتهاد .

وفي الباب الرابع : « مصادر التشريع الخارجية » : تغير الأحكام ، والحيل الشرعية ، والتشريع الوضعي المباشر ، والعرف والعادة ، وعلاقة الشريعة الاسلامية بالشريعة الرومانية .

وفي الباب الخامس : « بعض القواعد الكلية » كالقصد في الأفعال ، والبينات والاقرار واليمين وغيرها ..

وقيمة الكتاب في أن صاحبه ألفه تأليفاً ، لم ينقله نقلاً ، ولا ترجمه ترجمة ؛ وجهود المؤلف مقروءة في صفحات كتابه : من دراسة ، ومناقشة ، وتعليل ؛ واحاطة بالموضوع ، وغرض واضح له ، وبيان لائق به ، وبسط تاريخي يكاد يكون وافياً . ثم ان المؤلف في كثير من المواطن يأتي بالاحكام

الشرعية ، فيوضحها بالأمثلة يضربها عليها ، ليقربها الى الأذهان ، فتستقر فيها .

ونحب أن نقف قليلاً عند الفصل الخامس من الباب الرابع الذي تكلم فيه عن « علاقة الشريعة الاسلامية بالشريعة الرومانية » فلقد أورد دعوى « فون كريمر » في كتابه : « تاريخ الثقافة الشرقية في أيام الخلفاء » بأن مواضع الشبه بين القانون الروماني والشرع الاسلامي عديدة وأهمها :

١ — قاعدة البينة على المدعي

٢ - سن البلوغ

٣ — بعض أحكام المعاملات التجارية

وقد فند الأستاذ المؤلف دعوى « كريمر » تفنيداً وجيهاً فقال في : « البينة على المدعي » انها قاعدة تستند في الشريعة الاسلامية الى الحديث الشريف : « البينة على المدعي واليمين على من أنكر » ومعلوم ان الحديث أقدم تاريخاً من الفتوحات الاسلامية في البلاد التي كانت خاضعة للشريعة الرومانية . ومن ثم لا يمكن ان يكون مقتبساً عن هذه الشريعة » اه .

ونؤيد قول المؤلف ونزيد عليه ، ان هذه القاعدة عرفها العرب وعملوا بها حتى قبل الاسلام ؛ فقد سمعت أول ما سمعت عن قس بن ساعدة الايادي : « البينة على من ادعى واليمين على من أنكر » وقد أقر صاحب الرسالة (ص) هذه القاعدة فنسبت اليه وجعلت في جملة الحديث . وكونها جاهلية ، أنفى لها من القانون الروماني ، وأبعد شبهة عن ان تتصل به بسبب .

ورد المؤلف على « كريمر » في القضية الثانية وهي سن البلوغ رداً رفيقاً فقال : « ليس في مسئلة سن البلوغ والرشد في الشريعتين شبه جلي . فعند الرومان كان البلوغ محدداً بتمام السنة الثانية عشرة للفتاة ، وتمام الرابعة عشرة للفتى . ولكن الشريعة الاسلامية في ـ الرأي السائد ـ اعتبرت ان منتهى سن البلوغ هو خمس عشرة سنة . »

ونعزز قول المؤلف في هذه القضية بقولنا : ان الشريعة الاسلامية قائم جانب كبير منها في المعاملات ، على أسس من العبادات ، وهي الأحوال الشخصية . والبلوغ شيء طبيعي له سن معلومة ، فكان طبيعياً ان يكون هذا البلوغ الذي تبنى عليه أحكام دينية ، أساساً للبلوغ تقوم عليه أحكام زمنية .

وأما القضية الثالثة وهي الشبه في بعض احكام المعاملات التجارية ، فقد دفع المؤلف قول « كرير » دفعاً مفحماً ليس لنا ما نزيد عليه ، الا قولة عامة تتعلق بالشبه بين القوانين عامة وهي :

ان الناس لا يستطيعون ان يعيشوا من غير قانون ، فاذا لم يعرفوا قانوناً خلقوه خلقاً . اعتبر ذلك في ما يقع في القرى التي لم يدخلها قانون ولا علم ، فانهم يفصلون في كثير من دعاويهم فصلاً موفقاً ينطبق على العدل ، ولا سيما في التنازع على الحدود . فان لهم في ذلك أصولاً وقواعد يعجز عنها ، أو عن يأتي بخير منها ، أكبر المشترعين . وهؤلاء البدو لهم عوارفهم (قضاتهم) يحكمون بينهم بالنصفة والحق

أيرى « كرير » وأمثال كرير : ان العرب الذين كانوا تجار الشرق منذ أقدم عهد ، يحملون بضاعته من أقصاه الى أقصاه : يشترون ويبيعون ويبادلون ويقايضون ، ويصنعون ويستصنعون ، عاشوا بلا أحكام ولا أصول ، الى ان جاء الاسلام ووضعت الشريعة ، فأخذت هذه الشريعة هذه الأحكام عن القانون الروماني ؟ ! . .

ان لنا رأياً في ما قيل عن علاقة الشريعة الاسلامية بالقانون الروماني بسطناه في محاضرتنا : « القضاء في الاسلام » وقد أشار اليه المؤلف اشارة خاطفة . ونحن نوافق المؤلف في الخلاصة التي اجملها وهي :

« . . وان العادات التي اقتبسها الفقهاء ـ يريد فقهاء المسلمين ـ في البلاد التي كانت خاضعة للحكم الروماني دخلت الى التشريع الاسلامي ان لم يكن ما يناقضها في نصوص الشرع أو في مبادئه الأساسية . وعلى كل فالعادات هذه لم تكن رومانية بحتة بل كانت عادات تجارية معروفة عند العرب وعند باقي شعوب البحر المتوسط . وقد تأثر بها الرومان وأدخلوها في شريعتهم قبل المسلمين .

وان الشريعة الاسلامية ، كما تأثرت ببعض العادات الأجنبية القليلة ، كذلك تركت هي آثارها في مدنيات جديدة ناشئة ...»

بقي ان نقول : ان الشريعة متى كانت كذلك لا يجوز ان يقال فيها أنهـا شريعة الحية ـ كما قال المؤلف في غير موضع ـ بل يقال : انها شريعة اسلامية في جملة مصادرها مصدر الحي .

كذلك كان يجب أن يكون هذا البحث (علاقة الشريعة الاسلامية بالشريعة الرومانية) في غير باب : (مصادر التشريع الخارجية) لأن عامة المستشرقين ، وضعاف الايمان فينا ، يستمسكون بأوهى الأسباب لنفي كل مكرمة عنا ، وكل استقلال منا . فهم يجعلون من ذكر هذا الفصل في باب (المصادر) حجة علينا ، ويتركون كل ما فيه من حجة لنا ، ومن رأي سديد .

ومما تساءلنا عنه :

١ — قوله ان كلمة الشرع والشريعة في اللغة العربية مأخوذة من الشارع ؟ ..

٢ — وقوله ان الحاكم معناه الشارع . وهو الله عز وجل .. وما أحسب أن مثل هذا ورد صراحة في كلام شيخ من شيوخ الفقه من المتقدمين؟ ..

٣ — وقوله : ويعرف التقليد بأنه « اتباع رأي الغير دون فهم ولا حجة » ص ١٦٠ . وهو قول فيه نظر الا اذا كان المؤلف يريد بذلك العوام ، وما أحسب اياهم يريد . وأفضل من هذا ما نقله في الصفحة الـ ١٥٣ من تعريف الآمدي للتقليد بأنه « العمل بقول الغير دون حجة ملزمة » .

٤ — ثم قد يكون ظلماً للعرب الجاهليين ، أن يقول فيهم المؤلف : إنهم حرموا النساء حق الارث ، فهذه خديجة رضي الله عنها كانت صاحبة ثروة ، وكذلك خديجة أخت حاتم ، وكثيرات مثلها . فمن أين جاءتهن هذه الثروة ، لو أن الجاهلية كانت حرمت النساء من الارث حرماناً مطلقاً ، كما زعم الأستاذ المؤلف ومن أخذ عنهم ؟ ..

وأسلوب المؤلف صحيح ، وتعبيره دقيق فصيح ، يليق بالموضوع الجليل الذي عالجه . وقد أخذ على قانون العقوبات اللبناني بعض المصطلحات اللغوية ، فدل بذلك على عنايته بلغته ، وحرصه عليها ، ففتح لنا بهذا باباً للتنبيه الى بعض الفاظ ، اذا رأى هو رأينا فيها ، استدركها في طبعة جديدة . من ذلك :

جمع « سند » على « سندات » والصواب « أسناد » وعدّى فتش بـ « على » وقد يكون الصحيح تعديتها بـ « عن » . وقال : « طيلة اربعة عشر قرناً » والطيلة العمر ، ولا محل لها هنا الا بتأويل بعيد لا حاجة اليه . فلو قيل : « أربعة عشر قرناً » لأغنت وأدت المعنى نفسه ، أو زيد عليها كاملة . وأكثر من استعمال « توجّب » ، وهي لفظة وردت في كلام المتأخرين من الفقهاء ، أما في اللغة فقد وردت « توجب فلان » أي أكل في اليوم والليلة أكلة واحدة . وفي كلامه عن المصريين قال : « انهم حوالي سبعة عشر مليوناً » يريد قرابة . ولا يقال في مثل هذا الموضع « حوالي » ثم ان المصريين قاربوا ـ في السنة التي صدر فيها الكتاب ـ تسعة عشر مليوناً .

وجاءت في الكتاب « بما فيه » لادخال ما بعدها في حكم ما قبلها . كقوله : « ويقدر عدد الاسماعيليين في سوريا بما فيه العلويين بنحو عشرين الفاً ونصف » والصواب : وفيها أو ومنها محافظة العلويين . : ونصف الألف . « وهو يحتوي على أكثر من سبعة آلاف حديث بما فيه المكرر » والصواب وفيه المكرر . أما قولهم « بما فيه » فتعبير عامي .

ومن الاستعمال التركي الشائع في المحاكم الى يومنا هذا واستعمله المؤلف : « طرف » و « من طرف » فقال : « المهر يدفع للزوج من طرف الزوجة أو أحد ذويها » والأصوب : تدفعه الزوجة أو أحد ذويها . واذا كان لا بد من الاحتفاظ بمثل التعبير السابق ، يقال : يدفع من قبل الزوجة .

ومما نلاحظه استعمال : « لا يجب » في محل : « يجب ان لا » وحبًا بالاستقلال « بدلاً من » حبًا للاستقلال . والتوسع في استعمال التشريع بمعنى الاشتراع . الى أمثال هذه الهنات التي قل أن يسلم احد منها ، ولو كان من شيوخ الكتاب وأمرائه .

وما أشرنا الى هذا ، وأفضنا فيه ، الا خدمة لهذا الكتاب القيم .

عارف النكدي

السلام الاجتماعي

تأليف الأستاذ عبد المجيد نافع المحامي

يقع هذا الكتاب في ست وستين صفحة ومئتين . أخرجته « دار الفكر العربي » والمؤلف من الكتاب القليلين الذين انعتقت أقلامهم من عبودية أصحاب المال ، وأصحاب السلطان ؛ فهاجم الفريقين بقلم جري ، صريح ، في غير جمجمة ولا مواربة .

رأى ان قد « طغت موجة المادية خلال الحربين العالميتين : الأولى والثانية ، فأغرقت العالم في طوفان من المفاسد والشرور ، اذ أصبح جهد معظم الناس منصبًا على أن ينصبوا من الذهب صنماً ليعبدوه ، الى حد ان كثيراً من الكتاب والباحثين قد اصطلحوا على تسمية ذلك الفساد بأخلاق ما بعد الحرب » .

ورأى ما وراء ذلك من أخطار تهدد مصر ، فحمل « المصباح الأحمر ، لدرء الخطر الأحمر » .

ووجه رسالته الى المجتمع الرأسمالي يقول له :

« ويخيل لي ان المجتمع الرأسمالي يستحث انفجار البركان ، فعوضًا عن ان يعمد الى الاصلاح الاجتماعي ، تراه يلجأ الى وسائل التمع ، وأساليب التهريج والدعاية ، والمسكنات الوقتية ، والحلول السطحية ، ثم يشتري أقلام المرتزقة من دجاجلة الأدب والسياسة ، ويسخر خمائر المهرجين من أدعياء الدين والأخلاق ، جهلاً منه بأن الشعلة حين تضرب تزداد اشتعالاً ... وان الدعوة لا تقاوم

الا بالدعوة ·· وان الفكر الانساني كالهواء لا يدخل في قبضة احد ·· وان كل من يعمل للحقيقة والحرية أو ضدهما يخدمها على السواء ، وان من المحال على دجاجلة السياسة والأدب أن يطفئوا نور الحرية بأفواههم، ومن المتعذر على أدعياء الدين والأخلاق أن يحجبوا ضوء الحقيقة بأكفهم ·· »

« ·· وان تاريخ الانسانية قد تخضبت صفحاته بالدماء في معارك النضال بين الظالمين والمظلومين ، والمتخمين والجائعين ·· ونجد المظلومين في كل زمان ومكان . ينزعون الى رفع الظلم عنهم ، فالانسان يرضى ان يكون ظالماً ، ولا يرضى أن يكون مظلوماً ·· »

« ·· والسلام الاجتماعي الذي ننشده يتطلب حل المشكلة الاجتماعية ، على صورة تمحى معها : المظالم التي تفيض بها جوانب المجتمع الانساني ·· فلا تكون سعادة طائفة منتزعة من شقاء الآخرين ؛ ولا يكون الرخاء المادي لقوم مشتقاً من بؤس أقوام ؛ ولا يكون جماعة وكأنهم ولدوا للنعيم ، وجماعات وكأنهم ولدوا للعذاب ·· »

واذا كان المؤلف ـ بهذا الأسلوب الحق والصراح ـ يخاطب القلة الرأسمالية التي تتحكم بالكثرة البائسة ، فهو يخاطب الأمم المستعمرة بأسلوب لا يقل عن هذا الأسلوب جرأة وصراحة ، فيقول لهم : « ·· وكان من آثار الحرب أن تنخر ايمان الناس بالمثل العليا ، وتلاشي اعتقادهم بالأخلاق . ففي خلال المجزرة البشرية ، كان ساسة الدول يملأون سمع العالم بأنهم ما خاضوا غمار الحرب إلا دفاعاً عن الحق والعدل ، وحرية الشعوب الصغيرة ، وانه لا تلبث ان تضع الحرب أوزارها حتى يخلقوا عالماً جديداً تسود فيه المبادىء الصالحة . ثم هتفوا بالحريات الأربع ، وفي طليعتها التحرر من العوز .

··· وطويت صفحة الحرب الدامية ، وظن الناس ان ستنشر صفحة جديدة بيضاء من غير سوء تنقش عليها المبادئ العادلة . وكانت خيبة أمل مريرة للعالم

بأمره فاذا الحق للقوة ، واذا العدل هو الظلم المنظم ، واذا الحريات الأربع في القفاقيع الأربع ، واذا التحرر من العوز ينقلب الى مجاعة عالمية تهدد بالفناء ثلث سكان المعمورة أو يزيدون ، واذا العالم الجديد مهدد بحرب عالمية ثالثة ، تقضي على الحضارة الانسانية القضاء الأخير ..»

الى أن يقول :

« وتقول أخلاق الكتب : الصراحة أولى وأجدى ، وتصبح الأخلاق السائدة في المجتمع الانساني : الرياء فضيلة اجتماعية يا ويح من يكون محروماً منها .

وتجاهر أخلاق الكتب بأن الشرف قوام النجاح في الحياة ، وتدل اخلاق المجتمع على أن الشرف عاهة مستديمة .

وتصرح أخلاق الكتب بأن الكفاية شرط جوهري في تولي مناصب الدولة ، وتعلن أخلاق المجتمع : ان الكفاية جناية تجر على صاحبها الحسد وتجعله هدفاً للدسائس التي تمزقه تمزيقاً » .

فاذا انتهى المؤلف من هذا ، بعد حديث طويل في فصول عديدة ، التفت الى الوزراء الذين يثرون على حساب وطنهم وعن طريق مناصبهم . فقال لهم :

« ان اعمال الشركات الأجنبية ذات رؤوس الأموال الضخمة في مصر تتطلب جهوداً جبارة ، ونلاحظ ان بعض المستوزرين فينا يتولون رياسة وادارة عشرات من تلك الشركات الهائلة ، فهل العقل يسيغ .. انهم يستطيعون .. القيام بتعهداتهم الجسام في تلك الشركات ؟ ويسمي الوزراء الذين يعملون في الشركات بل للشركات ويلقبهم بـ« الشركاتيين » ويعددهم فرداً فرداً من اصحاب السعادة ، الى أصحاب المعالي ، فالدولة حتى أصحاب المقام الرفيع . ويكشف عن المبالغ الضخمة التي تؤديها لهم هذه الشركات .. لا للكفاية في المواهب ، بل لشراء المناصب ، واصحاب المناصب .

وقد عالج المؤلف في جملة ما عالجه : مشاكل الفقر ، والوقف ، والأرض البور ،

والصناعة ، والزراعة ، والاستعمار .. الى غير ذلك من الموضوعات التي تتصل بالسلام الاجتماعي . عالجها بحجج قاطعة ، وأرقام ناطقة .

وحبذا لو قام في كل قطر عربي ، مؤلفون يتناولون وزراءهم بمثل ما تناول به الأستاذ عبد المجيد وزراءه . فالوزير العربي في كل قطر — الا من عصم ربك وقليل جداً ماهم — خاتل صيد ، وان اختلفت الشباك . وقد انتقلت بعض الأقطار العربية بعوامل الحرب — لا بغيرها — من شيء قليل من الاستعمار ، الى شيء كثير من الاستثمار ، بفضل رجال الوطنية الأبرار ...

وبعد ، فكتاب « السلام الاجتماعي » كتاب ما نستطيع وصفه ، بل هو الذي يصف نفسه : بأبحاثه وبأرقامه وبوضوحه وجرأته . جزى الله خيراً عبد المجيد نافع ، على كتابه المفيد النافع .

ع . ن

ما الانسان

كتاب في ست وعشرين صفحة ومئة . من القطع المتوسط . وهو احدى سلسلات « الفكر الحديث » التي تخرجها « لجنة التأليف والترجمة والنشر » في مصر .

ألفه : مارك توين . ونقله الى العربية : أنور عمر . وليست قيمة الكتاب في أنه ألفه مارك توين فحسب ، ولكن قيمته في أن الرجل صرح بحقائق لم يجرؤ غيره ، أو لم يشأ أن يصرح بها . يقول المؤلف : « بدأت الدراسة من أجل كتابة هذه الأوراق منذ خمس وعشرين أو سبع وعشرين سنة . وكتبتها منذ سبع سنين . وقد راجعتها منذ ذلك الحين مرة أو مرتين كل عام ، وفي كل مرة كنت أشعر نحوها بالرضى ، وها أنذا أرجع اليها مرة أخيرة ، ولا أزال راضياً عما تعبر عنه من حقيقة » .

قال :

« وكل فكرة تشملها هذه الأوراق سبق ان فكر فيها (بل وقلبها كحقيقة لا جدال فيها) ملايين من البشر ـ ولكنهم كانوا دائماً يعمدون الى اخفائها مع

الاحتفاظ بها كعقائد شخصية ، ولماذا لم يصرحوا بها ؟ لأنهم كانوا يخافون نقد الناس حولهم ، ولا يقدرون على احتمال ذلك النقد .

ولماذا لم أنشرها أنا من جانبي ؟

لقد منعني نفس السبب على ما أظن . لا يمكنني أن أجد سبباً آخر » .

بهذه الكلمات السهلة الواضحة والحقيقة العارية من كل زخرف ، قدم المؤلف « أوراقه » وما في هذه الأوراق ؟ فيها الحقيقة كل الحقيقة جعلها المؤلف حواراً بين شيخ وشاب

فمن قول الشيخ : الرجال معادن . فهناك رجال من ذهب ، ورجال من صفيح ، ورجال من نحاس ، وآخرون من رصاص ، وغيرهم من صلب وهكذا ... والانسان يرجع قبل كل شيء الى « معدنه » والى المؤثرات التي تؤثر في هذا المعدن من بقايا وراثية وبيئة وروابط ، وليس هناك غير المؤثرات الخارجية وحدها تدفعه وتوجهه وتسيطر عليه .

واذا فرغ المؤلف من اقرار المبدأ ، ضرب عليه الأمثال من قصص وغيرها .

ورأي المؤلف ، يقوم على ان الناس انما يعملون ما يعملون في حياتهم ، ارضاء لذاتهم ، فـ « الدافع الوحيد للانسان ضمان ارضاء الذات » .

حتى التضحية في سبيل الوطن ، والعمل في سبيل الانسانية ، بل عاطفة الأمومة نفسها ان هي الا « ارضاء للذات » .

- يقول الشاب للشيخ :

أنت لا تستثني من هذا حتى عاطفة الأمومة ، تلك العاطفة السامية النبيلة ؟

الشيخ : لا ! فهي أكثر العواطف خضوعاً لذلك القانون . فالأم قد تعرى لتكسو طفلها ، وتموت جوعاً لكي ينال غذاءه ، وتحمل العذاب لتنقذه من الألم ، بل وتقبل على الموت لتضمن له الحياة . هي تتلذذ لذة قصوى لقيامها بهذه التضحيات . تعمل ما تعمله لتنال في النهاية هذا الجزاء : تقدير الذات ، رضا النفس ، السلام ، الراحة . قد تعمل نفس الشيء من أجل طفلك أنت ، اذا أمكنك الحصول على نفس الثمن .

الشاب : يالها من فلسفة ملعونة !

الشيخ : هي ليست فلسفة وانما هي حقيقة ... »

قلنا : نعم هي حقيقة ، بل الحقيقة كل الحقيقة . ونحن من هؤلاء الملايين الذين قال فيهم المؤلف : انهم فكروا في هذا الذي يقوله .

نعم فكرنا في هذا ولا نزال نفكر فيه : كلما رأينا رجلاً جعل من المبادئ الوطنية ، سلماً للمنافع الشخصية ، وكلما رأينا رجلاً يسلس قياده للسلطة الأجنبية ، استبقاء للمناصب الحكومية .

بل كلما رأينا موظفاً أطلق لنفسه العنان ، يأخذ الرشوات ، ويأتي المنكرات ، ويستحل المحرمات . وآخر وظيفته لا تكفيه ، فيعيش في الضيق والكفاف والحرمان . ولو شاء لعاش عيشة أصحابه ، واسعاً رزقه ، مقضية حاجاته — وموفورة مع مساوئه كرامته — فلا يفعل . يقولون : انه الوجدان . هذا رجل حي وجدانه ، وذلك رجل مات منه الوجدان . فنقول لهم :

ليس الأمر أمر : « وجدان » ولكنها : « شهوة النفس » .

هذا رجل صالح « يرضي شهوته » غير طالب جزاء ولا شكورا .

وذلك رجل طالح « يرضي شهوته » غير خائف تباعة ولا متجنب محذوراً ولا محظوراً

وبعد ، فانا نلفت النظر الى هذا الكتيب المنيد . ونشكر للمترجم فضله . وما نأخذ عليه إلا شيئاً في هذا الأسلوب ، الذي كان ينبغي أن يكون عربياً أكثر مما كان .

ع . ن

روض البشر

في أعيان دمشق في القرن الثالث عشر ١٢٠١ هـ — ١٣٠٠ هـ

تأليف الأستاذ الشيخ محمد جميل الشطي . طبع بمطبعة دار اليقظة العربية بدمشق

اعتمد المؤلف على ما دوّنه المدونون من أهل القرن الرابع عشر في تراجم رجال القرن الثالث عشر بدمشق ، وعلى ما سمعه من أهلهم وأبنائهم وأحفادهم . واهتم

للترجمة للفقهاء والمحدثين خاصة وتساهل فأدخل في جملتهم المتوسطين وأقل من المتوسطين ، ومن يترجم للرجال لا يخلق صفات لأناس لم يحرزوها بل يكتب ما وقع عليه من المعلومات ، وهذا كل ماتوجبه الذمة وكذلك كانت سيرة المؤلف ·
وما دمنا مجمعين على ان هذا القرن الثالث عشر أحط قرون الاسلام فقد تغتفر الترجمة لبعض رجال ليس فيهم الا أفراد قلائل جداً · من أمثال السيد محمد عابدين والشيخ عبد الغني الغنيمي الميداني وهذان العظيمان مما يستغرب نبوغهما في هذا القرن ·

ولا يؤخذ على المؤلف الا انه جرى على طريقة من ترجموا لأهل العصور الماضية أمثال النجم الغزي في الكواكب السائرة فترجم في جملة من ترجم لهم جماعة من المجاذيب أمثال ذيب الخلبوني والشيخ طاهر باطن والشيخ محمد ابو تقالة والشيخ حسين نشافش · فالكتب تكتب في العادة للخاصة ولمن يرجى إنتفاعه بها من العامة ، والخاصة لا تقيم وزناً لمن سلبه الله العقل وجعله والبهيمة سواء ·
لا جرم ان المؤلف الأستاذ انما كتب بعقلية القرن الذي ترجم لرجاله لا بعقلية هذا القرن · وقد روى قليلاً من شعر ذلك العصر ولم يكثر من الاستشهاد به لعلمه باسفافه · والشكر لعنايته على كل حال لحرصه على معالجة بعض النواحي من سيرة أهل بلدته بما وصل الى علمه وبلغه جهده ·

محمد كرد علي

من المهد الى اللحد

انطون الياس شكور

ريودي جانيرو ــ برازيل

شبه كاتب هذه القصة السيد انطون الياس شكور الكتب بالأشخاص فالكتاب في نظره انما هو شبه شخص يشاهده القارئ فيرى نواحيه ومزاياه · · ولا تغيب عنه الا صورة اللحم والدم فاذا كان بين القارئ والكاتب اتفاق في الفكر وائتلاف في الذوق فالمبادلة بالمودة والاعجاب واقعة بينهما وعلى هذا الرأي

جرى في كتابة قصته وطلب الى القارئ أن لا يحكم عليها الا بعد مطالعتها فانه قد يجد فيها مرآة تنعكس عليها طبائع القارئ وأفكاراً تترجم أفكاره ورغائب تحاكي رغائبه وسؤالات يرددها لسانه وهو لا يشك في أن قصته تساير الأذواق وتماشي المشارب ·

أما القصة نفسها فانها لا تخلو من كلام على القضاء والقدر وعلى ما وراء الطبيعة ومن خطرات في الحياة والأدب والاجتماع والفلسفة ولا يخلو بعض هذه الخطرات من إصالة الرأي وخاصة ما تعلّق منها بالألم والسعادة والثروة والحرب والشباب وحب الحياة ·

ولقد فتن صاحب القصة بالمتنبي فتنة جعلته يستشهد بروائع حكمه في أكثر قصته أما لغته فانها مجرّدة من التخيلات الجامحة فهي سهلة وقد تبلغ بها السهولة في بعض المواطن حدّ الرخاوة ·

شفيق جبري

عذارى

عزمي علي البغدادي

طبع المكتبة الكبرى للتأليف والنشر بدمشق

يشتمل هذا الكتاب على قصص في موضوعات مختلفة ، يجد القارئ فيها قدرة على الوصف وصحة في بعض الحكم على التاريخ والأدب ولكن هذا كله يشوبه في بعض المواطن خروج على اللغة والنحو فالكاتب يستعمل ألفاظاً لم يذكرها الفيروزابادي في قاموسه المحيط منها قوله : مستوجلة بدلاً من وجلة وقوله : القلب المألوم بدلاً من القلب الأليم أو المتألم أو المؤلم وقوله : استحس الخطر بدلاً من : حسّه أو حسّ به وقوله : استهول الإقدام بدلاً من : هاله وقوله : ولهة بدلاً من وله ووالهة وواله وميلاه وقوله: وأما بني العباس بدلاً من قوله : وأما بنو العباس ·

ولو تحفظ بعض التحفظ في استعمال مفرداته لكانت محاسن وصفه أتم وأكمل ·

ش · ج ·

٥ — منروفوكس ، شخصية الحيوان

The Personality of Animals

نقله الى العربية الأستاذ أحمد مدحت عبد الهادي ، ونشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة عام ١٩٤٦ — عدد صفحاته ٩٨ من القطع الصغير

جمع الأستاذ (ه . منروفوكس) في هذا الكتاب آراء العلماء المتأخرين في غرائز الحيوان ، وحواسه ، وذكائه ، ومنزلته الاجتماعية ، ثم وصف لنا حياته ولعبه ولغته ، واهتداءه الى موطنه ، وقدرته على الحساب ، بلغة سهلة وأسلوب واضح فجاء الكتاب خالياً من الاصطلاحات الجافة والاسهاب العلمي الممل . .

لقد كان القدماء اذا بحثوا في خصال الحيوان يذكرون مثلاً روغان الثعلب وحماقة الضبع ، وألفة الكلب ، ورأفة النمل ، وذكاء الفرس ، وبلادة الحمار ، وحنين الجاموس الى موطنه ، وعفة الطاووس ، وميله الى الزهو بنفسه والاعجاب بريشه . أما العلماء المتأخرون فيتحاشون الكلام عن أحوال الحيوان الداخلية ، ويقصرون بحثهم على المشاهدات الخارجية والتجارب العلمية . ولا فائدة من الكلام عن ميل الطاووس الى الزهو بنفسه لأن الانسان لا يستطيع أن يشعر بما يشعر به الطاووس الا اذا استحال هو نفسه الى طاووس . فخير لنا اذن ان نسلك في دراسة أفعال الحيوان طريقة موضوعية ، وأن نبين اقتران أفعاله بالحوادث الطبيعية الخارجية ، وننبذ كل الأحوال النفسية التي لا تقع تحت الحس والمشاهدة .

هذا ما فعله الأستاذ (هـ منروفوكس) . لقد نظر الى عالم الأحياء نظرة علمية خالية من التشبيه . الا أن ميله الى تيسير البحث اضطره الى الاقتصار على المسائل البسيطة . فلم يتعمق في الكلام عن حقيقة الغريزة ، ولا بحث في ذاكرة الحيوان وانفعالاته ولا في صور أفعاله المختلفة . والسبب في ذلك انه لم يجمع

هذا الكتاب الا لعامة القراء . أما خاصة من مزاولي هذا العلم فلم يعطهم فيه الا ما هو دون حاجتهم .

وقد ترجم الكتاب الى اللغة العربية بأسلوب سهل ، الا ان ضعف مترجمه في اللغة أوقعه في كثير من الأغلاط المزرية . ومن العجيب أن تتولى لجنة الترجمة والتأليف نشر كتاب علمي كهذا وتتغاضى عن تصحيح أغلاطه ، فان أغلاطه أكثر من أن تعد ، لو نسبت الى طلاب المدارس الثانوية لاستحيوا من الوقوع فيها .

فمن هذه الهنات قول المترجم : كي يتبعونها (ص ١٣).

وقوله : يستطيع الكلب أن يميز اثنان وثلاثين صوتاً (ص ١٩) .

وقوله : ان التركيب عضو السمع دخل كبير (ص ٢١) .

وقوله : ان بعدي الورقتان كانا متساويين (ص ٢٤) .

وقوله : نرى الأحمر أحمراً والأزرق ازرقاً (ص ٢٤) .

وقوله : وانه ليس مصاب بعمى الألوان (ص ٣٥) .

وقوله : وفي اليوم التالي ازاد قوة الاضاءة (ص ٦٤) .

وقوله : اكثر من عشرة مرات (ص ٨٣) .

وغير ذلك كثير .

فلو عنيت لجنة الترجمة والتأليف بتصحيح أغلاط هذا الكتاب لأحسنت الى المترجم وأتت في ذلك ما هو مأمول منها ومقدر فيها .

جميل صليبا

آراء وأنباء

تاريخ حكماء الاسلام

كتب الينا العلامة اغناطيوس افرام الأول برصوم الاستدراك الآتي على هذا الكتاب:

ص ١٦ : كان حنين من أهل الحيرة لا من بغداد ، وتعلم ببلاد الروم لا ببلاد الشام ، وكان طبيباً للمتوكل ، وفي زمانه لمع نجمه وعاصر تسعة خلفاء لا المأمون والمعتصم فقط ، وتوفي في أيام المعتمد في ١ كانون الأول سنة ٨٧٣ ...

ص ١٩ : لم يذكر أحد شيئاً عن اسلام اسحق بن حنين على كثرة من ترجم له ، وابن النديم القريب العهد منه أولى بالتصديق من البيهقي ، فان اسحق توفي اخر سنة ٩١٠م وابن النديم الذي يخمّن مولده نحو سنة ٣٢٥ حلت وفاته سنة ٩٩٥ أو نحو سنة ١٠٠٠

ص ٢٦ : ان ابا الخير الخمّار أو خمار ولد في آخر سنة ٩٤٢ ، وكان موجوداً سنة ٩٩٧ التي فيها ملك السلطان محمود بن سبكتكين الذي استولى على خوارزم سنة ٩٩٩ في رواية ابن الأثير وابن خلكان وأبي الفداء و في ١٠١٦ في رواية ابي الفرج ابن العبري ، ويقول البيهقي انه لما استولى عليها حمل المترجم الى غزنة وعرض عليه الاسلام فأبى وعمره جاوز المائة ، ثم نسب اليه الاسلام ، ثم روى وفاته على أثر دعوة السلطان اياه ، أي قبل سنة ١٠٣٠ التي فيها توفي محمود ففي سنة ٩٩٩ كان عمره ٥٧ وسنة ١٠١٦ كان ٧٤ ، لا ١٠٠ ، والأرجح انه توفي بين السبعين والثمانين من عمره ، واذا كان معظماً عند السلطان حتى ان هذا قبّل له الأرض على ما روى ابن أبي أصيبعة (مج ١ : ٣٢٢) فكيف يعقل ان يكون عرض عليه الاسلام ، فضلاً عن ان كل من ترجم له أو نوّه به صرح بنصرانيته ؟

ص ٤٣ : ابو الفرج عبد الله ابن الطيب كان قسيساً وكاتباً للجاثليق ايليا الأول وعالماً باللغة الآرامية لا الرومية أي اللاتينية كما ذكر ، وأراه تصحيفاً في

اللفظة ، فان الرومية كانت عصرئذ مجهولة في الشرق ، وكانت وفاته سنة ١٠٤٣

ص ١٣٧ : لم يذكر المؤرخون طبيبًا حكيماً اسمه عبديشوع بن يوحنا ولم يرد في تاريخي الحكماء وطبقات الأطباء ذكر جاثليق اسمه عبديشوع من كبار الأطباء ، وكل ما جاء في هذا الأخير مج ١ ص ٢٣٩ ان ابا علي بن مكيخا النصراني سأل عبديشوع الجاثليق عن أطباء بغداد سنة ٣٦٤ (٩٧٤ ـ ٩٧٥). وهذا هو عبديشوع الأول نُصب سنة ٩٦٣ وتوفي عام ٩٨٦ ، ونوهت تواريخ أصحابه الكلدان بوفور حظه من العلم الديني ليس الا ، وكذلك كان الجاثليق عبديشوع الثاني المعروف بأبي الفضل ابن العارض (١٠٧٤ ـ ١٠٩٠) وقام عندهم أيضاً عبديشوع الثالث ابن المقلي (١١٣٨ ـ ١١٤٧) ولم يرد في تواريخهم جاثليق عارف بالطب على الاطلاق ، وعبديشوع بن بهريز ابو سعيد الذي كان موجوداً سنة ١٠٢٨ وصار مطراناً لاربل والموصل كان أيضاً من ذوي العلم الديني ، وعدّه ابن أبي أصيبعة من نقلة الكتب ، ومؤرخا الكلدان القديمان اللذان يُرجع اليهما هما : ماري بن سليمان وعمرو بن متى الطيرهاني — فنرى ان الذي ذكره البيهقي هو بختيشوع بن يوحنا (لا عبديشوع) طبيب المقتدر والراضي المتوفى سنة ٩٤١ (طبقات الأطباء ١: ص ٢٠٢ و٢٠٣) وقد صحف اسمه في نسخة المؤلف .

(حمص) . اغناطيوس افرام

ملاحظات على ديوان ابن عنين

قرأتُ مقدمتكم لذلك الديوان المفيد بشوق وإنعام نظر فأعجبني المذهب الذي ذهبتم فيه من إعطاء ابن عنين حقه ، ووزْن أدبه بالقسطاس المستقيم ، لا كما يفعل المتهافتون في دراستهم الأدبية والتاريخية ، طلباً للجاه العلمي الذي هم محرومون ، ومخادعة للنفس الضعيفة التي تستجيب لكل ناعق ، وذهاباً مع الأهواء التي لا يقرّ لها قرار .

ولقد ـ والله ـ نصبتم في المقابلة بين النسخ نصبًا ظاهراً وأحسنتم الإشراف على الطبع ، وذكرتم أقوالاً ستكون مأثورة كقولكم في ص ٢٩ من المقدمة « وهو

في هجائه شرس عنيف وقع بذيء متفنن في مهاجمة خصمه ...» . وهذا من الحق الذي لا ريب فيه ، فان ابن عنين أتلف أدبه بذلك الهجاء المقذع السافل !!

وقد رأيتكم حفظكم الله تعترفون بأنكم لم تجدوا تراجم لجماعة من الرجال الواردة أسماؤهم في الديوان ومن يدعي بأنه يستطيع الاحاطة بمثل هذا الموضوع الصعب ؟ أجل ورد في ص ١٠٧ من الديوان قول جامعه « وزعف القطب السرخسي فقال ... » وعلقتم عليه أنكم لم تجدوا له ترجمة وأنه لعله « القطب النيسابوري شيخ ابن عنين » . قلت : قد ترجم ابن الفوطي في معجم الألقاب ـ وهو في الخزانة الظاهرية ـ قطب الدين السرخسي وقال « قطب الدين أبو المكارم محمد ابن محمد بن عثمان السرخسي النحوي ، كان أديباً فاضلاً دخل في المائة السابعة ، أنشدني له شيخنا برهان الدين عبد العزيز بن احمد الختني ببراعة له في ترتيب مخارج الحروف [1] .... » وذكر له أبياتاً . فيكون رآه في ايران .

وجاء في ص ١٠٧ أيضاً « أخا الفضل شمس الدولة ابن جميل » وقلتم في الحاشية إن نسخة (ب) جعلت ذلك « لنا » والصحيح ما ذكرتم في المتن ولكنكم لم تشيروا الى ترجمة ذلك الرجل ، وكان من مشهوري رجال الدولة العباسية وقد ترجمته بتفصيل في « مجلة الغري » .

وجاء في ص ١٨٢ من الديوان :

« والعز عبد الرحيم سيدنا   مطيلس للقضاء بالشرب »

فقلتم « لعله يريد بعبد الرحيم القاضي الفاضل » ولكن القاضي الفاضل لم يكن يلقب بعز الدين بل بمحيي الدين ولا ولي القضاء ، وأنا أظنه « عز الدين عبد الرحمن ابن الحسين بن الخضر بن عبدان القرشي الدمشقي المعدل ، ذكره الحسن بن صصري الدمشقي في معجم شيوخه وقال : قدم بغداد وسمع بها من القاضي أبي الفضل محمد

(١) المجلد الرابع «ص٣٢٣» من نسختي الخطية وله ترجمة في الجواهر المضية في طبقات الحنفية وذكر فيها أنه سمع الحديث بهراة وتوفي سنة [٦٠١] ه

ابن عمر الأرموي ، توفي في شعبان سنة أربع وثمانين وخمسمائة ودفن بكشف جبرئيل[1] » . والشاهد المعدّل من أرباب القضاء يومئذ .

وورد في ص ٢٠٣ اسم واعظ يعرف بالشمس الواسطي ولم تذكروا من أمره شيئاً و« هو الشيخ الأجل ابو عبد الله محمد بن ابي زكريا يحيى بن أبي المكارم ابن الحسين الطائي الواسطي الواعظ المنعوت بالشمس ، ولد بواسط العراق ونشأ بها ولقي جماعة وقدم مصر بعد سنة تسعين وخمسمائة وسمع بها وحدث ووعظ وسئل عن مولده فقال سنة احدى أو اثنتين وسبعين وخمسمائة بواسط ، وكان قد تقدم على أقرانه في الوعظ وحصل له قبول تام من العامة ، توفي بمصر في مستهل ربيع الآخر سنة ٦٣٢ بالموضع المعروف بسفح المقطم ودفن بقربه من الغد ، ذكر ذلك زكي الدين المنذري في كتابه « التكملة لوفيات النقلة[2] » وفي مكتبة البلدية بالاسكندرية مجلدان من التكملة المذكورة .

وجاء في ص ٢٢١ « وقال في ابن مازة » وفي الحاشية عن الوفيات « ابن مارة » وعن شرح لامية العجم « ابن مادة » . قلت : جاء في ترجمة ابن عنين من تاريخ ابن الدبيثي أنه ابن مازة ، وترجمه في بابه بقوله « محمد بن عبد العزيز بن محمد بن عمر ابن عبد العزيز بن عمر ـ وعمر هذا لقبه مازه ـ وأولاده يعرفون ببني مازه ... » وترجمه القرشي في الجواهر المضية « ج ٢ ص ٨٠ » وقال « وعمر الجد الأعلى يعرف بمازه وأولاده كل واحد منهم مذكور في بابه وعمر هذا لقبه مازه وأولاده يعرفون ببني مازة ... » ثم ذكر في باب الكنى « ابن مازه عمر بن عبد العزيز ابن عمر بن مازة برهان الأئمة » .

وورد في ص ٢٢٨ قول ابن عنين « والحاكم المصري وابن التنّبي » فذكرتم في الحاشية كلمة على « تنّب » المنسوب اليها ، ولم تذكروا كلمة على التنبي الذي أراده ابن عنين وهو « الرئيس الأجل أبو القاسم عبد المجيد بن صاعد بن سلامة الأنصاري

(١) معجم الألقاب « مج ٤ ص ١٦ » من تدختي

(٢) أصول التاريخ والأدب من مجموعاتنا المخطة « مج ٢٧ ص ٣٩٣ »

المعروف بابن التني ، سمع الحديث بدمشق من الحافظ أبي القاسم ابن عساكر مؤرخ دمشق وغيره وصحب الملك العادل أبابكر ابن أيوب وترسل عنه الى بغداد وغيرها من البلاد وكانت له عنده الحرمة العظيمة والمنزلة الكريمة ، توفي بالقاهرة في ثامن شعبان سنة ٦١٣ ودفن من الغد بسفح المقطم ، ذكر ذلك الحافظ زكي الدين المنذري في التكملة لوفيات النقلة ، كما في مكتبة الاسكندرية ، ونقله عنه جمال الدين ابن الصابوني في « تكملة اكمال الكمال » في أنساب الرجال [١] .

هذا ما بدا الي في أثناء تقليب الديوان وعسى الله أن يوفقني لقراءته بالترتيب والتعقيب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

مصطفى جواد

استدراك على ترجمة الأمير شكيب ارسلان

قرأت في آخر الجزء الثاني من المجلد (٢٢) تلك الترجمة الحافلة للمرحوم العلامة الكبير الأمير شكيب بقلم الأستاذ عارف النكدي . وأعتقد ان هناك أعمالاً جليلة قام بها المرحوم هي مخبوءة في الزوايا . من جملتها كتابه الذي كان أرسله للسيد أسعد العينتابي أحد وجوه حلب من طبرق حينما أتى اليها ليشاهد عن كثب جهاد أهل طرابلس الغرب ومن حولها مع الايطاليين بقيادة المرحوم أدهم باشا قولي . والكتاب أعطي لمجلة الجامعة الاسلامية الحلبية وسينشر فيها عما قريب .

ورأيت في الترجمة ان من جملة مؤلفاته « حسن المساعي في تاريخ الامام الأوزاعي » والحال ليس كذلك فالكتاب مؤلف من قديم . ولكن المرحوم نشره وعلق عليه تعليقات جليلة مفيدة جداً . وقد قال في مقدمة النشر . وبعده فانني منذ سنتين اطلعت في برلين اذ أنا أنقب في خزانة الكتب الملوكية على كتيب

(١) المرجع المذكور « مج ٣ ص ٩٥ »

اسمه «محاسن المساعي في مناقب ابي عمرو الأوزاعي» لم يذكر فيه اسم مؤلفه ٠ وانما ذكر في آخره اسم ناسخه الخ ٠

لما تلوت هذه العبارة عزمت على البحث عن المؤلف وأخذت في التنقيب الى أن ظفرت به في الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع (ج ٢ ص ٧٣) فاذا هو احمد بن محمد الموصلي الدمشقي المتوفى سنة ٨٧٠ وقد قال في ترجمته ما نصه ٠

وأفرد مناقب كل من تميم والأوزاعي في جزء سمى الأول تحفة الساري الى زيارة تميم الداري ٠ والثاني محاسن المساعي في مناقب ابي عمرو الأوزاعي ٠

وعلى أثر ذلك كتبت للمرحوم الأمير بعشوري على المؤلف وأرسلت له جميع ترجمته وذلك بتاريخ ربيع الثاني سنة ١٣٥٧ و ٣١ أيار سنة ١٩٣٨ ٠ وجاءني الجواب منه من برلين وقد كان وقتئذ هناك ونص كتابه :

أشكر لك جداً الهدية التي أهديتني واليها هديتني وهي ترجمة احمد بن محمد الموصلي الحنبلي الذي ظهر انه هو صاحب محاسن المساعي في ترجمة الامام الأوزاعي ٠ ولقد صح حدس السيد علال الفاسي الذي قرأ في فهرس خزانة الكتب المصرية أن صاحب هذا الكتاب هو ابن حجر العسقلاني فاستبعد ان يكون هو وكتب اليّ برأيه ٠ ثم ان عندي من الأخ كرد علي كتابة ضمنها كتابة للمستشرق كرنكوي عن هذا الكتاب متى رجعت الى جنيف ان شاء الله أنسخها لك ٠ على كل حال سنعيد طبع الكتاب ونضم اليه ما جدّ عنه لدينا من المعلومات اهـ

محمد راغب الطباخ

حول قبر معاوية رضي الله عنه

كنت كتبت للمجلة ما عثرت عليه من التراجم التي قيل فيها أنه دفن بالقرب من قبر معاوية رضي الله عنه في الباب الصغير ٠ وكتبت لها عما رأيته في تاريخ القرماني من ان الأمير احمد بن طولون عمر في سنة ٢٧٠ قبة عالية وعلق فيها قناديل وجعل هناك قراء ٠

والآن عثرت في الجزء الخامس من المنتظم للحافظ ابن الجوزي على ما يتعلق بقبر معاوية قال في ص ٧١ في حوادث سنة ٢٧٠ وفيها بنى احمد بن طولون أربعة أروقة على قبر معاوية بن أبي سفيان وأمر ان يسرج هناك وأجلس اقواماً معهم المصاحف يقرأون القرآن اهـ .

فالقرماني يقول لنا قبة عالية وابن الجوزي يقول لنا أربعة أروقة وهي تأخذ مساحة واسعة وهما متفقان على ان البناء كان سنة ٢٧٠ فأيهما أصح ومتى خربت تلك القبة أو الأروقة . لعل هناك من يكشف لنا عن الحقيقة نقلاً عن تواريخ دمشق أو غيرها .

ر . ط

هدية ملكية

أهدى جلالة الملك فاروق حفظه الله الى المجمع العلمي العربي عدداً من المؤلفات التي طبعت على نفقة الخاصة الملكية . فالمجمع الذي يشكر لجلالة الملك المعظم هذه اليد البيضاء على العلم والأدب يرجو من الله أن يمدّ في عمر صاحب الجلالة ، ويتمنى لمصر اطراد التقدم والرقي في ظل مليكها الفاروق رعاه الله . وهاك اسماءها :

١ — كتاب اعجاز القرآن للأستاذ مصطفى صادق الرافعي .

٢ — ترجمة كتاب اسماعيل « الخديو المظلوم » وضع الأستاذ كرابيتس لفؤاد صروف

٣ — تاريخ مصر في عهد الخديو اسماعيل باشا وضع الياس الأيوبي (الجزأين الاول والثاني)

٤ — المحفوظات الملكية « بيان بوثائق الشام » للأستاذ اسد رستم (اربعة اجزاء)

٥ — كتاب « تاريخ المساجد الاثرية » للأستاذ حسن عبد الوهاب (الجزء الأول والثاني) خمس نسخ .

٦ — الرحلة السلطانية في الوجه القبلي (مديرية قنا)
٧ — « « « « « (مديرية المنيا)
٨ — « « « « « (مديرية بني سويف)
٩ — « « في اقليم البحيرة
١٠ — « « في اقليم المنوفية
١١ — « « « « القليوبية
١٢ — « « « « الدقهلية
١٣ — « « « الوجه البحري (مديرية الشرقية)
١٤ — الرحلة الملكية في اقليم الفيوم
١٥ — « « لارساء الحجر الأول في قناطر نجع حمادى
١٦ — « « في الصحراء الغربية .

17 - L'Egypte sous le Règne de Fouad Ier (Foulad Yéghen)
18 - L'Egypte Pittoresque (Paul Tremblay et Fredric Boissonas)
19 - The Art of Egypt through the ages
20 - L'Histoire des Campagnes Navales de Mohamed Ali et d'Ibrahim (Durand Viel)
21 - L'Histoire Militaire de Mohamed Ali et de Ses Fils (G. L. Weygand)
22 - Précis de l'Histoire de l'Egypte
23 - Il Corpe Epistolare Privato de Bernardino Drovetti (Pr. Giovanni Marro) .

المؤتمر الثقافي الأول

النشاط الثقافي في جامعة الدول العربية

قررت اللجنة الثقافية في الأمانة العامة لجامعة الدول العربية عقد أول مؤتمر ثقافي عربي في لبنان في الثاني من شهر ايلول القادم للتداول في الأسس الواجب

اتباعها في تدريس الموضوعات التي لها علاقة مباشرة بالتربية القومية العربية كاللغة العربية والتاريخ والجغرافيا والتربية الوطنية ، ودعت اليه عدداً كبيراً من الأساتذة الاختصاصيين في هذه الموضوعات وبعض رجال التربية والتعليم في الأقطار العربية ، كما دعت اليه وزارات المعارف والمعاهد العلمية وبعض الهيئات الثقافية في البلاد العربية لابداء آرائهم في الطرق الفنية والتربوية الواجب اتباعها . وقد وجهت اليهم اسئلة في نقاط جوهرية في كل موضوع من الموضوعات السابقة ، وذلك تمهيداً للمباحث التي ستجري في المؤتمر .

وقد طبعت اللجنة الثقافية نشرة تبيّن غاية المؤتمر ووسائل اعداده مع التقارير الأولى للجنة التحضيرية وأسئلتها . فرأينا أن نلخص لقراء المجلة بعض ماجاء فيها .

جاء في التمهيد « ان أول أمر تحسن البداية به لايجاد مستوى ثقافي رفيع موحد بين البلاد العربية ولتوحيد اتجاهات تلك الثقافة هو العناية بمواد الثقافة العربية وأسلوب تعليمها .. فاذا هي استوفت حقها من تلك العناية كانت سبباً لوحدة العواطف القومية ولتقارب الاتجاهات العقلية بين البلاد العربية » .

لذلك رُئي أن تكون مهمة المؤتمر الثقافي الأول البحث في أمرين هما :

الأول — وضع حد أدنى مشترك لمواد الثقافة العربية في مراحل التعليم الابتدائية والثانوية .

الثاني — تحسين طرق تدريس اللغة العربية .

ثم وصف التمهيد مراحل العمل في المؤتمر وبين وظائف لجنته التحضيرية ووظائف اللجان الفرعية ووظائف الشعب المحلية في الحكومات العربية وواجبات أمانةسر المؤتمر .

أما اللجان الفرعية التي انبثت من اللجنة التحضيرية العامة فهي لجنة اللغة العربية ، ولجنة جغرافية البلاد العربية ، ولجنة التاريخ العربي والتربية الوطنية . وقد حضرت هذه اللجان تقاريرها وأسئلتها ثم عرضتها على اللجنة التحضيرية فأقرتها ودرجتها في النشرة المطبوعة . وهي أربعة تقارير :

الأول – تقرير لجنة اللغة العربية ويتضمن بحثاً في الهدف الذي نرمي اليه في تعليم اللغة العربية مع بحث مقتضب عن المناهج وأساليب التعليم والكتب وطبيعة اللغة والمعلم .

والثاني – تقرير لجنة التاريخ العربي ، وفيه ان الحد الأدنى الذي يجب توافره للمواطن العربي من التاريخ في مرحلتي التعليم الابتدائي والثانوي هو تعريف المتعلم ماضي بلده على أنه بيئة لها مقوماتها ، ثم على أنه جزء من بيئة أوسع ، وهي العالم العربي ثم على انه جزء من العالم الانساني بأجمعه .

والثالث – تقرير حول التربية الوطنية واعداد المواطن العربي ، جاء فيه ان لتعليم التربية الوطنية والمعلومات المدنية والأخلاقية ثلاثة اتجاهات يجب مراعاتها : ١ – اهتمام المرء بالوطن الخاص ، وهو الوطن المحلي ، ٢ – اهتمامه بمجموعة خاصة من الأقطار ، وهو الوطن العربي ، ٣ – اهتمامه بالعالم كله ، وهو الوطن العالمي .

والرابع – تقرير لجنة الجغرافية ويشتمل على أربعة اقسام : ١ – الأسس العامة التي تراها اللجنة صالحة لمناقشة الموضوع مناقشة تفصيلية بواسطة الشعب المحلية ، ٢ – اقتراحات مبدئية خاصة بتطبيق هذه المبادئ في مراحل التعليم الابتدائي والثانوي أو ما يعادلها ، ٣ – اقتراحات مبدئية بالأساليب التي تراها اللجنة ضرورية لحسن تدريس جغرافية الأقطار العربية ، ٤ – أسئلة ترى اللجنة توجيهها الى الشعب المحلية لتبدي رأيها فيها الى جانب وجهة نظرها في الأسس والمبادئ التي اتجه اليها تفكير اللجنة .

وكما اشتمل تقرير لجنة الجغرافية على أسئلة موجهة الى الشعب المحلية فكذلك اشتملت التقارير الثلاثة الأولى على أسئلة أخرى لا يتسع المجال لدرجها كلها هنا .

ولا شك أن هذا العمل الذي تقوم به اللجنة الثقافية للجامعة العربية حيوي ، جدير بالاهتمام اذ أن نتائجه ستؤدي الى اثارة نهضة تعليمية ثقافية مشتركة تكون دعامة الوحدة الروحية والعقلية بين العرب .

مؤتمر آثار الشرق

تقوم ادارة الثقافة العامة لجامعة الدول العربية ، بتهيئة عقد مؤتمر لاخصائي الآثار في البلاد العربية المختلفة باسم «مؤتمر آثار الشرق» غايته المحافظة على تراث الشرق العربي والاهتمام بالثقافة الأثرية وتبادل الآراء العلمية والفنية وتقوية الصلات بين الشعوب العربية . وقد دعت الادارة المذكورة جميع دول الجامعة العربية لانتداب اخصائيين في الآثار لهذا المؤتمر كما أشركت فيه بعض الأثريين في فلسطين .

وقد تقرر عقد هذا المؤتمر في ٢٣ أغسطس (آب) القادم في سورية .

مسابقة

لتأليف نشيد خاص للجامعة العربية

تدعو ادارة الثقافة بجامعة الدول العربية الأدباء والشعراء العرب اينما كانوا لتأليف نشيد خاص للجامعة العربية بالشروط الآتية :

١ — أن يكون النشيد باللغة العربية الفصحى .

٢ — أن يكون بلغة سهلة يشترك في فهمها الجمهور .

٣ — أن يكون وزنه وأسلوبه مما يحسن توقيعه وتلحينه .

٤ — أن يكون حجمه مناسباً لا مفرطاً في الطول ولا في القصر .

٥ — أن يكون باعثاً على تقوية الشعور بالعزة والوحدة القومية .

٦ — يحق لكل عربي أياً كان قطره ان يشترك في المسابقة .

٧ — تمنح مكافأة قدرها مائة جنيه للفائز .

آخر موعد للتقديم أول يوليو (تموز) سنة ١٩٤٧

فهرس الجزء الخامس والسادس من المجلد الثاني والعشرين

الصفحة

مخطوطات ومطبوعات

آراء وأنباء